# استكشاف المسيحية الأولى

بحث عن اللاهوت السري المضطهد للطوائف المسيحية الأولى

حتى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية

بقلم

الدكتور

محمد بنتاجة



دروب للنشر والتوزيع


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

# استكشاف
# المسيحية الأولى




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين





الطبعة العربية ٢٠١٦

رقم الإيداع (٢٠١٥/٢/٣٩٤)

التحرير : هيئة تحرير
تصميم الغلاف : نضال جمهور
الصف والإخراج: سامي أبو سعدة
المطبعة: سمير منصور للطباعة





عمان - العبدلي
هاتف: 4626626 6 962+
تلفاكس: 4614185 6 962+
ص. ب: 520646 الرمز البريدي: 11152

# مقدمة

يحاول هذا الكتاب أن يجيب على أسئلة طرحتها منذ عشرة سنوات وهي: كيف كانت المسيحية في القرن الأول والثاني والثالث؟ وهل ما أسمعه من علماء الاسلام صحيح عن تغيير وتحريف الديانة المسيحية؟ وإذا كان هناك تحريف لديانة المسيح عليه السلام فهل بقية شواهد على الديانة الصحيحة للمسيح عليه السلام؟ وكيف يمكننا تمييز الحقيقة عن الهرطقة؟ وبأية مرجعية؟

الواقع وفي تلكم اللحظة لم يكن لدي أدنى شك باعتباري مسلما بل ومسلما متدينا وحافظا للقرآن الكريم حول النظرية القرآنية، وفي النقل التاريخي للقرآن باعتباره كلمة الله. لكن سرعان ما تبين لي أن هذا المعتقد إن صح في مجال الايمان الدوغمائي فهو لا يصح في المجال العلمي الموضوعي. والسبب كما وضح توماس طمسن يرجع إلى «أن افتراض أن حكايات الكتاب هي روايات للماضي يؤكد وظيفة لنصوصنا تحتاج إلى إثبات عندما تتنافس مع وظائف أخرى أكثر وضوحا» (طمسن، ٢٠٠٦ صفحة ١١). ومعنى هذا الكلام كون نصوص القرآن لم تعد بروايتها للأحداث التاريخية الدينية منفردة بطابعها الإيماني الصرف ولكنها بدأت تزاحم مجالات اخرى وحقولا معرفية أوسع. فصارت تتخذ لنفسها وظيفة أخرى، وبالتالي فعليها أن تخضع للإثبات التاريخي للتأكد العلمي الموضوعي والمادي من المعلومات التي تبوح لنا به.

إني وعلى الرغم من دراستي للكتاب المقدس -منذ سنة ١٩٩٢ إلى الآن- فإني لم أقتنع يوما بالرواية القانونية عن المسيح عليه السلام. وبما أن للمسيح عيسى بن مريم مكانة خاصة في قلبي باعتباره شخصا ضحى في سبيل قضيته إلى أقصى حد وهو من أولي العزم من الرسل في الإسلام. ونظرا لكون الأسئلة تحتاج إلى أجوبة، فطبيعي أن نبحث عنها في بطون التاريخ. لا أقول التاريخ الاسلامي ولكن التاريخ المسيحي نفسه. فهو على تحيزه للمعتقد القانوني الذي اعتُمد في اوائل القرن الرابع الميلادي باعتباره تدوين المنتصرين

ضد المنهزمين، فقد أبقى على شوارد واشارات أحيانا تكون قوية على الحالة اللاهوتية والليتورجية للعالم المسيحي خلال القرون الثلاثة قبله.

ومن الجدير بالذكر أن قانون الايمان النيقاوي، كان ثمرة الفكر اللاهوتي الخاص بكنيسة معينة، لم تستطع حيازة الجماعة المسيحية الأولى المتصارعة. وقد حاول الآباء الذين كتبوا باليونانية شرح وتدقيق التعابير والنقاط الحاسمة في الإنجيل، والتي قد تكون تعرضت للتحريف والفهم تحت تأثير الفكر الهلليني واليهودية المتهلنة. وفي هذا الصدد كان الوضع المركزي ليسوع المسيح «الابن المتجسد» في ايمان الكنيسة، يتطلب الاجابة بوضوح على السؤال: عما إذا كان هو إلها أو أنه مجرد مخلوق متوسط بين الله والإنسان كسائر الأنبياء؟ واين هو الخط الفاصل بين الله والخليقة؟ وبين الله والآب ويسوع المسيح؟ أو بين يسوع المسيح ابن الله المتجسد وبين العالم؟ والظاهر من التاريخ وماجريات الصراع الطائفي الذي ألقى بظلاله على مجمع نيقية والتدخل السياسي لقسطنطين لصالح طائفة على حساب أخرى، مع ما صاحبه من الانتقائية في دعوة الأساقفة المخالفين، كلها أسئلة ألقت بظلالها على البحث التاريخي لهذه القضية، ومدى المصداقية التي اكتسبتها قرارات هذا المجمع.

لقد صار للكنيسة قانونها الخاص، المستفتى عليه ديمقراطيا. وصار واضحا للكنيسة في القرن الرابع أنه فقط عن طريق فهم الإنجيل على أساس عقيدة الثالوث المقدس، نستطيع أن ندرك تعاليم إنجيل العهد الجديد المنقح عن المسيح والروح القدس. حيث كان مركز الاعتراف بالإيمان يدور حول اعلان الواحدية في ذات الجوهر بين المسيح والله لأن الله في الإنجيل قد أعلن ذاته كآب وابن وروح قدس.

لقد لاقى هذا المعتقد الصاعد والذي بدى كأنه نهاية الجدل حول لاهوت المسيح والله قبولا واسعا! لكن التاريخ يقول غير ذلك. فقد اعترضت جل الطوائف المسيحية الأولى في العالم المسيحي على هذه القرارات. خصوصا طائفة آريوس وأصحابه الذين طالما اعتبروا ألوهية المسيح المساوي للآب في الجوهر والثالوث المقدس ضربا من

ضروب الأساطير والعقائد الشعبية الوثنية المنتشرة في العالم الروماني آنذاك. وكانوا دائمي التشبيه لعقيدة الثالوث بالعقيدة المثرائية والهلنستية المؤلهة للبشر والرافعة للقديسين إلى مستوى الآلهة المعبودة. وقد خاضوا مع دعاة مجمع نيقية مجادلات عميقة حول لاهوت المسيح وعلاقته بالله الآب.

لم يستطع اللاهوت النيقاوي اقناع الطبقات المسيحية المثقفة في العالم الروماني نظرا للتعقيد العميق في صيغة الثالوث التوحيدي المعتمد. الذي سيتبلور وبشكل تدريخي وتطوري عبر مجموعة من المجامع فيما بعد مجمع نيقية. لكن المؤكد ان الآريوسية وبشهادة الآباء الرسوليين الأوائل كادت تنمحي معها باقي المذاهب. كيف لا وقد صار ولقرابة قرن من الزمن الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية. وقبله صار هذا المعتقد الديانة الرسمية لمملكة تدمر على عهد الملكة زنوبيا.

لم أشأ الدخول في التفاصيل بشكل موغل، لأنني لم أقصد ابدا وما يكون لي ذلك الإحاطة بكل جوانب الموضوع. ولكني أردت تقديم إضافة تحليلية ورؤية من زاوية أخرى لقضية المسيحية الأولى خلال القرون الأربعة الأولى حتى سنة ٣٢٥ ميلادية. زمن انعقاد مجمع نيقية بتركيا. وقد حاولت تقديم رؤية عامة عن التعليم المسيحي الأول. ومخاضات تشكله، وبالتالي امتحان النظرية القرآنية حول الموضوع. وأيضا تقديم اسهام مغربي في مجال الأديان والنقد اللاهوتي للديانة المسيحية. مع أنني أعلم أن البيئة المغربية لم تشهد تلكم الاحتكاكات الدينية بين الاسلام باعتباره الدين الرسمي للدولة، وبين أديان أخرى بما فيها المسيحية. وهذا بطبيعة الحال لو وجد كان سيعطي الدافعية لمثل هذه الدراسات. كما كان من قبل في التاريخ الاسلامي المغربي حيث كان للشعب اليهودي حضورا بارزا في الحياة اليومية للإنسان المغربي المسلم، ودورا في المشهد العام لمملكتنا السعيدة. فكان لتلكم الاحتكاكات اليهودية الاسلامية أثرا في بلورة دراسات نقدية دفاعية اثرت المكتبة المغربية، ووسعت أفق الفقهاء وانفتاحيتهم على باقي الديانات، باعتبارها وجهات نظر مغايرة للألوهة وعلاقتها بالإنسان والعالم والوجود ككل.

## أ-أهمية موضوع الدراسة

وكما بينت آنفا، فهذا البحث ينصب على دراسة الأنماط العقائدية واللاهوتية التي سبقت ميلاد الديانة المسيحية الرسمية. وهذا أمر مهم جدا في تصوري، داخل مجال النقد الديني واللاهوتي للأديان. لأنني ومن خلال تتبعي لتاريخ الأديان عموما وتاريخ المسيحية على الخصوص، سنؤكد أو نعترض على مدى علمية وموضوعية القرآن الذي هو مرجعية أكثر من مليار وسبعمائة مليون مسلم. وكلهم يعتقدون ضياع ديانة المسيح كما نزلت من الله. وهذا اعتقاد خطير لأنه يؤدي الى ابطال خلاص الملايين من البشر إن صحت هذه الأطروحة!! وهذا من جهة. ومن جهة ثانية: خدمة الحقيقة التاريخية، ومحاولة **استكشاف اللاهوت السري للطوائف القريبة العهد من المسيح أو من تلاميذه.** خصوصا وان هذه الطوائف لم تزل تشهد حملة من الاضطهاد الداخلي، وهو امتداد للعلاقة المتوترة التي كانت بين الحواريين أنفسهم حول سوء التعليم الذي قدمه بعضهم ما اعتبره البعض الآخر خروجا عن تعاليم الإنجيل.

ومن جهة ثالثة: إزالة اللبس على ما اعتبر تاريخيا منتميا إلى طائفة الموحدين المسيحيين وليس منهم. وأقصد هنا القديس آريوس الذي جعله بعض المسلمين رمزا للتوحيد ولم يكن كذلك. وقد لوى بعض الباحثين أعناق الأدلة لإثبات وجود الاعتقاد القرآني لدى الطوائف الأولى في المسيحية فوقع اختيارهم على الرجل الخطأ.

ومن جهة رابعة: البحث يفتح نوافذ على مصادر عزيزة من التاريخ المسيحي. ويناقش ما كتبه الآباء الأولون من كتبهم الأصيلة في التعليم الديني. هذا يعطي للحقيقة التاريخية معنى آخر من المصداقية والوثوقية لأنها صادرة عن اصحاب الشأن.

ومن جهة خامسة واخيرة: فالبحث وفي خضم النقد التاريخي للمسيحية يحاول ابداء الآراء الأكثر تداولا في هذا المجال. وقد سار نحو وضع مقارني بين المسيحية التاريخية والمسيحية القرآنية. وهذا مهم جدا لكي يخلص القارئ للوضع الطبيعي للاعتقاد، ولكي يبلور قناعة حول مواضيع البحث دون الرجوع الى مصادر أخرى.

## ب- الدراسات السابقة

قبل أن أسرد عليك أخي القارئ بعض الدراسات التي سبقت دراساتنا، والتي استفدت منها الشيء الكثير. أنبه على أن موضع بحثنا ليس عن الهرطقات المسيحية. لأن الهرطقات لم تظهر إلا بعد تحديد الايمان القانوني أو الرسمي حتى صار ما عداه هرطقة. وإن كانت الطوائف المتصارعة منذ القرن الأول الميلادي يبدع بعضها البعض. لكنه تبديع غير ذي جدوى علميا لأن قانون الايمان المرجعي لم يحدد بعد. ولأن المنافسة على رأس الكنيسة يدفع عادة الفرق إلى التطاحن والتقليل من الآخر حتى يتسنى لها الفوز والتربع على عرش كنيسة المسيح.

اذن فدراستنا ليس عن الأرطقات ولم يكن همنا استقصاؤها، وكل المراجع والدراسات التي اعتمدناها عن الهرطقات الأولى ليست داخلة في موضوع الدراسة كليا، بل هي مصادر للمادة العلمية لعقائد المسيحية المختلفة التي من أجلها كتب هذا الكتاب، قصد تحليلها ومحاولة اكتشاف الصلة بينها وبين بيئتها التي نشأت فيها والكشف على أصولها وعلاقتها بشخصية السيد المسيح عليه السلام.

**من الدراسات التي استفدت منها:**

١. كتاب الهرطقة في المسيحية لـ ج. ويلتر، ترجمة: جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠٠٧.

٢. كتاب الأرطقات مع دحضها للقديس الكاثوليكي ألفونسو دي ليكوري، ترجمة: الخوري يوسف الياس الدبس، مطبعة الرهبة اللبنانية في دير سيدة طاميش في مقاطعة كسروان، ١٨٦٤ ميلادية.

٣. كتاب الشهادة لألوهية المسيح -ضد الآريوسيين- للقديس اثناسيوس الرسولي، عربها عن اليونانية: صموئيل كامل عبد السيد، ونصحي عبد الشهيد، مركز دراسات الاباء-بيت التكريس-القاهرة.

٤. كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، للبطريرك افتيشيوس الكنى بسعيد بن بطريق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥.

٥. كتاب الايمان بالثالوث: الفكر اللاهوتي الكتابي للكنيسة الجامعة في القرون الأولى، لتوماس ف. تورانس، ترجمة: دكتور عماد موريس اسكندر ودكتور جوزيف موريس فلتس، مكتبة بناريون، ٢٠٠٧.

٦. كتاب تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، للمطران كيرلس سليم سترس والأب حنا فاخوري، والأب جوزيف البولسي، منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠١.

٧. كتاب تاريخ قانون العهد الجديد، للأستاذ الروسي يوحنا كرافيذوبولوس، ترجمة: عامر خميس، جديدة عرطوز، ٢٠٠٤.

وأغلب هذه الدراسات على أهميتها التاريخية، والمواد العلمية التي توفره للباحث من أجل التحليل والمناقشة، تنطلق من منطلقات مدرسية دوغمائية. أي أنها بحوث تفترض القضية ثم تبحث لها على شواهد وأدلة من التاريخ. وهذه هي المشكلة لدى الباحثين في مجال الأديان المسلمين وغير المسلمين. مع أن المعلوم والمقطوع به استحالة الموضوعية الكاملة في مثل هذه المواضيع، فإن لم تؤطر الباحث خلفيته العقائدية فستؤطره خلفيته الأيديولوجية والفلسفية. وهذا لا يؤثر سلبا على العمل العلمي، اللهم إذا عارضنا الحقائق وسرنا متبنين الطرق الملتوية لتفادي مواجهتها. وهذا للأسف هو السائد في هذا المجال اللهم دراسات قليلة تكون أكثر موضوعية.

**ومن أهم تلكم الدراسات الموضوعية التي استفدنا منها:**

١. كتاب أسطورة تجسد الاله في السيد المسيح، وهو عمل لجماعي لبعض من كبار علماء اللاهوت المتحررين في العالم، تحت إشراف اللاهوتي والهرمينوطيقي الشهير البروفيسور جون هك، تعريب: نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥.

٢. كتاب الأصول الوثنية للمسيحية، لأندريه نايتون وإدغار ويند، ترجمة: سميرة عزمي الزين، المعهد الدولي للدراسات الانسانية.

٣. كتاب تاريخ الحضارة الهلينية لـ أرنولد توينبي، ترجمة: رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣.

## ت-المنهجية المتبعة

اعتمدت في هذا البحث على المستوى المنهجي التقني، المنهج الوصفي التحليلي: وهو «وصف للحقائق، ولميزان مجموعة معينة أو ميدان من ميادين المعرفة المهمة بطريقة موضوعية وصحيحة» (الخطيب، ١٩٨٥ صفحة ٦٢؛ خليل). اذ قمت بجمع المواد الموضوعية وتسجيلها كما وردت في مظانها، ثم بعد ذلك قمت بتحليل مضامينها وتتبع مختلف أفكارها في سياق نقدي تكويني. وقد سعينا إلى تضمين البحث أهم القضايا التي نعتقد تفكيكها وتفصيلها سيحدث فرقا في الموضوع، وسيساهم في تقريب وجهات النظر المختلفة، يقول ارنسون» إن إلزام الباحث بأن يُضمِّن بحثه كل شيء، بحيث لا يغادر صغيرة أو كبيرة ألا ويذكرها، لا يبرهن على أنه توصل إلى معلومات لا حصر لها، بل يبرهن على أن الباحث افتقر إلى تمييز الفروق بين الأشياء». وهذا المعنى المهم هو بالضبط ما ذهب إليه جون ويسلي *John Wesley Pewell* فمن كلماته الشهيرة في هذا الصدد: «**إن الرجل الغبي هو الذي يجمع الحقائق، أما الحكيم فهو من يختار المناسب من بينها**» ( روبرت. ا. داي، ، وآخرون، ٢٠٠٨ صفحة ١٠٦). كما اعتمدت المنهج التاريخي والتاريخ النقدي للنصوص والآثار الدينية الموروثة. وركزت على ملاحظات وتدوينات الباحثين الذين ترجموا المخطوطات المكتشفة.

كما اعتمدت التحليل التاريخي للأحداث التاريخية، معتمدا المنهج الموضوعي قدر استطاعتي وهو منهج يربط الأسباب بمسبباتها بعيدا عن أي كرستولوجيا أو ميتافيزيقا دوغمائية معينة في تناول الموضوعات. لأن الأمور الإيمانية الغيبية أمور غير علمية، وهي خاصة بين المؤمن وربه.

وقد يظهر لك أخي القارئ مذهبي ورأيي الخاص في مواضيع البحث في ثنايا التحليل والمناقشة دون التصريح بذلك في الغالب.

وأعتذر منك أخي القارئ المسيحي في تقديسي لبعض الشخصيات الدينية غير الأرثوذكسية(١)، لأنني وكما بينت من قبل لا أعترف بالمذهب الألوهي كمذهب قانوني في فترة ما قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية. لعدم وجود قانون للإيمان موحد بين جميع الكنائس آنذاك. فالكل عندي له احترامه باعتباره زعيما دينيا له جماعته التي يكرز فيها بالإنجيل الموروث عن الرسل. لا فرق بينهم حتى زمن مجمع نيقية حيث سيتضح القانوني من الهرطوقي.

لعلك أخي القارئ، ستلاحظ أيضا طغيان ضمير المتكلم للجمع «نحن» في البحث بدل ضمير المتكلم المفرد «أنا» التي أستخدمه الآن في هذه المقدمة. وقد يفهم خطأ أن الضمير الجمع المستخدم في البحث، قد يكون علامة على خيلاء أو استعلاء غير مبرر. لكن الأمر قارئي العزيز غير ذلك. يقول الدكتور امبرتو ايكو في كتابه: كفية تعد رسالة دكتوراه « الأمر ليس كذلك: ذلك أن استخدام «نحن» يعني أن ما يتم تأكيده في الرسالة قد يشارك فيه قراء آخرون. الكتاب عمل اجتماعي: فأنا أكتب وأقصد أن تقرأ لي وأن تقبل ذلك الذي أطرحه عليه من آراء...» (ايكو، ٢٠٠٢ صفحة ١٦٩).

اما عن سبب استخدامي لضمير المتكلم المفرد في المقدمة، فلأنها عمل شخصي بحت. أشرح فيها دوافعي الخاصة للبحث في هذا الموضوع وأهميته، وقد لا يكون لقارئي الكريم حاجة في مشاركتي هذه الدوافع الشخصية جداا.

### ج-طريقة توثيق البحث

استخدمت في توثيق البحث نظام *APA* المبرمج في وورد ٢٠١٠. ومع ما يتمتع به هذا النظام من ديناميكية وسهولة في الاستخدام، لكن عليه مؤاخذات أهمها أنه لا

(١) الأرثوذكسي أو الأرثوذكسية بمعنى المستقيم وغير ذي عوج. وليس المقصود المذهب الأرثوذكسي الذي في مقابل المذاهب المسيحية الأخرة كالكاثوليكية والبروتستانتية.

يظهر عنوان البحث ويكتفي بذكر اسم الكاتب. فما عليك قارئي العزيز سوى مراجعة المعلومات عن المرجع أو المصدر المعتمد ضمن لائحة المصادر والمرجع نهاية البحث.

أما عن التعليقات وبعض التراجم التي لابد منها، فقد ضمنتها في تعليق احالي نهاية الصفحة حتى تكون متابعا لماجريات الموضوع عن كثب ودون رجوع إلى آخر البحث.

فيما يخص النصوص الدينية سواء من الكتاب المقدس أو من القرآن أو من الكتب الدينية المرجعية، فإني أحيل على مكانها في صلب البحث عقب النص مباشرة. وكذلك الأمر في ما أوردته من بعض الأحاديث النبوية الاسلامية التي بينت مصدرها ودرجة صحتها عند المحدثين -إن وجد-.

## ح-شرح خطة البحث

جاء البحث مكونا من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

وكل فصل يتضمن جملة من النقاط الفرعية والتي بدورها تتضمن جملة من النقاط المتفرعة عنها. وقد يكون من المفيد للقارئ الكريم أن أقدم له الآن فكرة موجزة عن مضمون فصول هذا الكتاب الذي بين يديه.

يتناول **الفصل الأول** المسيحية النيقاوية ومخاضات التشكل: حيث دأبت على اعطاء تصور عام عن الوضع العقائدي بعيد وفاة المسيح أي في زمن الحواريين. وكيف بدأ الشقاق وسط الكنيسة بعد دخول بولس في المجموعة الرسولية، والسجالات واللاهوتية التي دارت بينه وبين أتباع المسيح على راسهم القديس برنابا والقديس بطرس وأخو يسوع المسيح القديس يعقوب رأس الكنيسة وقائد المسيحيين الأورشليميين. بينت أن الرسل الاثنا عشر لم يختلفوا عن ممارسة الناموس اليهودي في شيء اللهم في بعض الإصلاحات التشريعية التي جاء بها المسيح وأكثرها ذات مغزى أخلاقي وروحي أكثر منه مادي طقوسي. بينما أراد القديس بولس توسيع دائرة الكرازة المسيحية لتشمل الوثنيين بعد أن كانت مقصورة على اليهود خراف بيت اسرائيل الضالة. أراد أكثر الرسل ابقائها دعوة

حصرية على اليهود، وقد تبع بولس بعض الحواريين لأنهم اعتقدوا فيه نفعا للخدمة. فقد كان بولس رجلا يهوديا مثقفا بارعا في اليونانية والعبرية والفريجية ومطلعا اطلاعا واسعا على فلسفة الاسكندرية والمدارس الفلسفية والقانونية الرومانية السائدة في زمانه.

دعوة الأمميين -الوثنيين- الى شريعة تدعوا الى الختان والى تطبيق الناموس اليهودي دعوة محكوم عليها بالفشل من أول وهلة. لأن اليهود لم يكونوا مرحب بهم في المجتمع الهلليني، وقد كانوا يعتبرون من الهمج الرعاع، نظرا لتكبرهم على ما يسمونهم الجوئيم أي الأمميين، وانغلاقهم الشديد، ومعاداتهم للأمم. فكان رد فعل المجتمع الروماني الوثني تجاههم الاقصاء والانكار والاحتكار وفي كثير من الأحيان الاضطهاد والقهر بقوة السلاح والدم(انظر كتاب حروب اليهود للمؤرخ اليهودي يوسيفيوس). فأسقط بولس في سبيل المسيحيين الجدد من اصل وثني كل الناموس الموسوي وأصر على أن الخلاص بالإيمان بيسوع المسيح ابن الله والكلمة المتجسدة فقط.

لقد تطور الخلاف اللاهوتي بين الحواريين من أتباع بولس وأتباع يعقوب أخو المسيح اليهوديين، أججه تعميد بولس للوثنيين الذين تمسحوا دون التخلي على الفكر الألوهي الوثني. فمزجوه بتعاليم المسيحية، فأعطى تعاليم جديدة سادت العالم المسيحي في صراع وتناحر حتى القرن الرابع الميلادي. بحيث ستتدخل الرؤية السياسية للإمبراطور قسطنطين من أجل عقد مجمع للأساقفة بنيقية سنة ٣٢٥ميلادية.

لم يدع للحضور كل اساقفة العالم المسيحي بل تمت عملية انتقاء ممهنجة لتأكيد عملية التصويت لصالح الألوهيين البولسيين ضد مذهب القديس آريوس الذي كان ينكر مساواة الابن للآب في الجوهر.

لقد كان آريوس موحدا لكن بتوحيد غير كامل. فمع اعتباره المسيح مخلوقا لله فقد جعله قديما مساويا لله في القدم. وأيا كان الأمر فقد كانت الآريوسية تنتشر انتشار النار في الهشيم، وهي أقرب الى المعتقد اليهودي من عقيدة تأليه المسيح التي كانت عقيدة هللينية محضة مغلفة بغلاف مسيحي. وبتحالف مع القوى السياسية تم حرمان آريوس واقرار السلطة الزمنية للكنيسة القائمة على عبادة المسيح باعتباره الله المولود والمتجسد في ابن الإنسان يسوع المسيح.

كما ناقشت في هذا الفصل قضية الخلاف الذي دار بين المسيحيين الأوائل في تقرير الموقف الكاثوليكي الأرثوذكسي حول الحواري يهوذا الأسخريوطي. إن الاختفاء المفاجئ لهذه الشخصية من المشهد بعد أن كان فاعلا فيه، بدأ يفتح المجال للتكهنات. فاختلف الحواريون فيه وتبعهم في ذلك العالم المسيحي بين المخون له وهو الموقف الأرثوذكسي التي عليه غالبية الكنائس اليوم وبين المادح له وهو ما عليه أكثر الكنائس بداية المسيحية. وقد كانت الآريوسية الشهيرة في القرن الرابع من الطوائف المقدرة بشدة لدوره في عملية الخلاص. وبين هذه التجاذبات المسيحية ما على الباحث إلا الاقرار بعدم شهودية الرسل على اعتبار أن الاناجيل هي امتداد لتعاليمهم. وإلا فكتاب الأناجيل لم يكن لهم أي علاقة بالقريب والبعيد بزمن المسيح والرسل. فقد كانوا يستقون المعلومات من الروايات الشفهية المنتشرة في الثقافة الشعبية دون الاطلاع على الحقيقة اللاهوتية والتاريخية التي كرز بها الرسل في الآفاق. -وهو ما عليه جمع كبير من اللاهوتيين اليوم-.

وفي **الفصل الثاني**: نتحدث عن الأرطقات المسيحية باعتبارها النسخ الأولى لمخاض العقل الديني المسيحي. خصوصا مشكلة الغنوصية، هي تيارات دينية وثنية ظهرت قبل المسيحية لكنها تيارات نسكية صوفية تعتني بالروح وتهمل الجسد وتضاد العالم المادي وتُعنى بالعوالم المثالية. وهي فلسفات متأثرة بالأفلاطونية الحديثة. بعد كرازة بولس في الوثنيين فتح المجال أمام الغنوصيين للتعميد. وقد جاؤوا بمذهبهم وأدمجوه في المسيحية.

وقد عادى الغنوصيون اليهودَ وشريعتهم واستعاضوها بالممارسات الطقسية الوثنية. كيف لا وقد ألغى لهم الرسول بولس الخلاص بالناموس والطقوس والختان. وفي هذه الفترة -أي قبل مجمع نيقية- كان العالم المسيحي غاصا بالتيارات المسيحية الغنوصية. وكل تيار له من الكتابات الكثيرة التي تشرعن أساطيره وتقوي نظريتهم للمسيح والله والوجود والعالم. فقد كان منهم عبدة الحية كالحشتائيين وعبدة الأيونات-كيانات الهية ثانوية- وعبدة المسيح الكلمة المتجسدة- وعبدة المبدأين: اله الخير واله الشر-القديس بطليموس على سبيل المثال- وعبدة مريم أم المسيح وعبدة الشمس على اعتبار أن جسد المسيح كان هناك!...الخ

كما تحدثت في هذا الفصل عن الوثيقة الموراتورية باعتبارها أقدم وثيقة بين أيدينا تتحدث عن قانون العهد الجديد. مع ما تضيفه للكتاب المقدس من رؤيا بطرس التي تنكر صلب المسيح وأن المصلوب هو الشبيه لا المسيح نفسه. ومتضمنة ايضا سفر راعي هرماس وهو سفر منكر لألوهية المسيح وينص على بشريته. تساءلت لماذا تم حذفهما من الكتاب المقدس وقد كانا موجودين فيه على الأقل سنة ١٧٠ ميلادية؟

وفي النقطة الرابعة والخامسة تحدثت بشيء من الاسهاب على محتوى رؤيا بطرس وكتاب الراعي لهرماس وما ينطقان به من نفي ألوهية المسيح ونفي الصلب عنه. وقلت أنه قد يكون دليل ومؤشر على نمط اللاهوت في الكنيسة الأولى الذي لم يكن وبالتأكيد على ما هو عليه الآن.

وفي **الفصل الثالث** تحدثت فيه على المذهب الآريوسي ومشكل انكار اللاهوت في المسيحية. وفيه أثرت جدل المصادر المسيحية وهي تفصيل للنقطة الثالثة الخاصة بالوثيقة الموراتورية. وقد تتبعت فيه نماذج من الكتب المقدسة لدى الآباء الرسوليين ابتداء من القرن الأول إلى القرن الرابع. كما ناقشت مشكلة الألوهية لدى الطوائف المسيحية الأولى وقد كان تأنيس المسيح هو أصل اللاهوت ثم طرأ عليه التأليه.

وفي النقطة الثالثة ناقشت مكانة الآريوسية في العالم المسيحي وقد بينا من المصادر المسيحية انتشار الآريوسية ما شكل تهديدا للمذهب التأليهي خصوصا في المناطق الجديدة التي فتحتها الآريوسية ما لم تطأها المسحية المؤلهة.

لقد ادعى بعض العلماء من المسلمين قديما وسايرهم بعض المعاصرين ومنهم اللواء أحمد عبد الوهاب والمهندس فاضل سليمان وغيرهما، في كون الآريوسية مذهب توحيدي وفقا للرؤية الاسلامية. وبالمقارنة مع المرجعية الإسلامية، فالآريوسية وإن كانت قريبة من الاسلام لكنها بناء على الأصول الاسلامية تعد كفرا وشركا لأنها تزعم قدم المسيح مع الآب وأنه خالق العالم. كما كانت تقول بنسبية الحقيقة الدينية...

وفي **الفصل الرابع** بينت فيه الرؤية القرآنية للمسيحية التي جاء بها عيسى بن مريم. وفي خضم هذا الزخم التاريخي، ادعى كثير من الباحثين الغربيين ابتداء من القرن العشرين عدم تاريخية المسيح. وقد جرى جدل كبير حول وجوده التاريخي. وتساءلت من سيشهد للمسيح بعد تتنامي حملة إنكاره في الدراسات الغربية الحديثة؟ إنه القرآن والمسلمون. فقد أعطى القرآن للمسيح وأمه مريم بنت عمران أهمية كبيرة من خلال الحكاية المقدسة، والمعبرة لهذه العائلة العظيمة. ولولا هذا الكتاب الكريم لاندثر ذكر المسيح بن مريم من تاريخ البشرية بعد أن أثبت عدم تاريخيته علميا. وأيضا لتنامي اللاإيمان وفقدان المعنى في العالم المسيحي اليوم، وانكماش الكنيسة على نفسها.

كما شهد القرآن والمسلمون تبع له بطهارة مريم العذراء وابنها المسيح، ورد على افتراءات اليهود في اتهامهم للمسيحيين باتباعهم لنبي مزيف ولد من علاقة زنى مع جندي روماني، كما يؤرخ بذلك التلمود الفريسي. إنها المعجزة الخالدة.

فلماذا لم يقم اليهود بإنزال عقوبة الزنا على مريم؟ ولماذا أبقوا على المسيح في اليهودية معززا مكرما؟ وهو يتتلمذ مع باقي ابناء اليهود الأرثوذكسيين المحافظين؟

إنه اللغز الذي لم يزل يحير المسيحيين واليهود معا حتى جاء القرآن فأظهر المستور وذكر بالمنسي.

وبتكريم القرآن للمسيح وأمه وأتباعه الذين يسميهم بالحواريين، فإنه قد ابقى على سيرته العطرة في قلوب مليار وسبعمائة مليون مسلم، والذين لا يصح خلاصهم بحسب المعتقد الاسلامي إلا بالإيمان به وبميلاده المعجز وبتولية أمه مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها. وبسائر الأنبياء والمرسلين. والمسلمون في تزايد مستمر على اعتبار الاسلام أسرع ديانة انتشارا في العالم. وهو الديانة الأولى عالميا كما شهدت بذلك الفاتيكان سنة ٢٠١١. وبعلو الاسلام تعلو معه روح المسيح. وشهادة القرآن الكريم ومحمد ﷺ والمسلمين ستعطي لهذه الشخصية الخلود في عالم الانسان الحي.

ثم وصفتُ بعد ذلك ديانة المسيح واشكالية طبيعته وعلاقته بالآب والعالم من خلال الرؤية القرآنية لتكتمل نظرة القارئ عن هذه الشخصية العظيمة التي غيرت العالم باسم الآب وزرعت فيه المحبة والأمن والسلام.

لعل أهم رسالة نلتقطها من التناول القرآني للمسيحية والسيد المسيح وعائلته المطهرة وهي: اتركوا الأمور على طبيعتها. فالإنسان بانفعالاته وأوهامه وقصر علمه يفسد الأشياء البريئة. ويغير من طبيعتها. ويعطيها لبوسا غير التي هي عليه. لقد تطورت النصرانية كما يقول القرآن من الفطرية السمحة السهلة إلى تعقيدات الفلسفات الشرقية واللاهوت الوثني الأسطوري في صورة اللوغوس والأيونات والتثليث...الخ وهذا بقدر ما أريد منه تقنين الديانة وتحصينها، وتدعيم اللاهوت الدفاعي فيها، بقدر ما أدخل فيها ما ليس منها، فصار كيانا جديدا مختلفا عن ديانة المسيح اليهودي الصالح والمصلح. فعسى أن نكون قد وعينا هذه الرسالة التي على بساطتها فهي تحمل خلفية عميقة عمق التاريخ نفسه.

والله الموفق

**محمد بنتاجة**

**مراكش. المغرب**



# الفصل الأول

## المسيحية النيقاوية ومخاضات التشكل

### ١-الوضع العقائدي بعيد المسيح: الاختلاف وتغيير الناموس لخلاص الأمميين

نظرة عابرة على كتاب «الأرطقات مع دحضها» للقديس ألفونسوس ماريا دي ليكوري وكتاب مؤرخ الكنيسة المرموق يوسابيوس القيصري الموسوم ب»تاريخ الكنيسة» وكتاب «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق: للبطريرك سعيد بن بطريق و»تاريخ يوحنا النقيوسي» الذي عايش الفتح الإسلامي لمصر، ستعلم القارئ مدى التشرذم العقائدي التي عرفته المسيحية بُعيد وفاة السيد المسيح عليه السلام.

وقد عرفت الأسرة المسيحية الأولى المكونة من الحواريين أو الرسل الاثنا عشر من تلاميذ المسيح حالة من الشقاق اللاهوتي والذهول بسبب الفقدان المفاجئ وغير المتوقع للمسيح، وعدم شهودية الوقائع اللاهوتية الكبرى-وقائع من قبيل الصلب والقيامة....

#### ١-أ-الانقسام حول الخلاص بالناموس

بعد موت المسيح اتفق الرسل على توسيع دائرة الجماعة المسيحية والتبشير بالإنجيل في الأمميين-اي الوثنيين-. لأن أكثر اليهودية لم تقبل بالمسيح مخلصا. قال صاحب الرسالة إلى ديوجيتوس[1]: «لقد أرسل الله الكلمة ليظهر للعالم. وقد استخف به شعبه،

---

(١) الرسالة دفاع عن المسيحية، في صورة خطاب موجه الى شخصية وثنية ذات مركز اجتماعي رفيع هو «ديوجينيتوس».

و قد تعددت الآراء من جهة شخصية مؤلف الدفاع فالبعض نسبوا هذا الدفاع الى القديس هيبوليتوس الرومانى في بداية القرن الثالث. وهناك رأى اخر ان الذى كتبه هو القديس كوادراتوس *Quadratous* تلميذ الرسل الذى ذكره كل من يوسابيوس وايرونيموس (جيروم) وفوتيوس، والذى كتب دفاعا عن

وبشـر به الرسـل وقد قبله الأمم وآمنـوا بـه...» (مجهـول ، ٢٠٠٤ صفحة الفصـل الثاني)، فسـافر اليهم وفد بقيـادة بولـس وبرنابـا وابن أختـه مرقـس وبقي أكثر الرسـل يبشـرون في اليهودية. تحت قيادة يعقوب أخو المسيح- رئيس الرسل والجماعة المسيحية في اورشليم.

مـا كان للوثنييـن تقبـل النامـوس اليهودي بسـهولة، لأسـباب عـدة من بينهـا صعوبة ممارسة شعيرة الختان وتحريم كثير من المأكولات الأساسية في النظام الغذائي الروماني- الخنزير والكلاب..- وكذلك تحريم بعض أنظمة البيوع التي تتخذ من الربا أساسا للترجح المالي والتجـاري بيـن الرومان آنـذاك. ولتجـاوز هـذه العقبات علـم بولس عـدم جدوى الناموس كله للخلاص إذ الخلاص بالمسـيح وليس بالناموس. وقد كان هذا التعليم محط رفض عريض وسـط اكثر الرسـل خصوصا الذي بقوا في اليهودية يكـرزون لليهود. وعلى رأسهم يعقوب أخو المسيح عليه السلام.

كتب بولس رِسَـالَةُ بُولُسَ إِلَى أَهْـلِ رُومِيَةَ يقـول فيهـا ١-٤ :٢: « فَمَاذَا نَقُـولُ إِنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَـدِ؟ ٢ لأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ - وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللهِ. ٣لأَنَّهُ مَاذَا يَقُـولُ الْكِتَابُ؟ «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِـبَ لَهُ بِـرّاً». ٤أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. ٥وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرّاً.»

---

المسـيحية ولكنه فُقد. وما تحويه الرسـالة الى ديوجينيتوس من انتقاد للوثنيـة واليهودية يتفق مع ما هو معـروف في التقليد عن كوادراتوس تلميذ الرسـل انه يهاجم الوثنيـة واليهودية كليهما. وفى هذه الحالة يكون وقت كتابة هذه الرسالة هو نهاية القرن الاول.

المخطـوط اليونانـى الذى يحوى هذه الرسـالة يرجـع الى القرن الثالث عشـر، وكان محفوظا في مكتبة ستراسـبورج، وهذا المخطوط يضع هذه الرسـالة ضمن كتابات القديس يوسـتيتوس الشـهيد. ولكن للأسف فأن هذا المخطوط احترق في سنة ١٨٧٠ م اثناء الحرب الفرنسية - الروسية. وكل المطبوعات التي نُشـرت للرسـالة تعتمد على هذه المخطوطة في نسبتها الى يوستيتوس، وفى هذه الحالة يرجع تاريخ كتابتها الى حوالى منتصف القرن الثاني.

وقد رد عليه يعقوب قائلا في رسالته، ٢: ٢٠: «وَلَكِنْ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْبَاطِلُ أَنَّ الإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ؟ ٢١أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابنهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ ٢٢فتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَانُ، ٢٣وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً» وَدُعِيَ خَلِيلَ اللَّهِ. ٢٤تَرَوْنَ إِذاً أَنَّهُ بِالأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ، لاَ بِالإِيمَانِ وَحْدَهُ».

وفي إنجيل يعقوب السري ١: ٩-٢-٣، نقرأ التأكيد على الخلاص بالكلمة وهي المسيح الذي بشر ثلاثة أمور أساسية: الايمان- المحبة- الأعمال: أي أعمال الشريعة الموسوية. يقول يعقوب الرسول «كونوا غيورين -أي حريصين متشبثين- بشأن الكلمة[1]، لأن شرط الكلمة الأول هو الإيمان، الثاني هي المحبة، الثالثة هي الأعمال، لأن من هذه جاءت الحياة. لأن الكلمة هي مثل حبة الحنطة. عندما شخص ما يبذرها فإنه يؤمن بها. وعندما تُنبت، هو يحبها لأنه يتطلع مقدما للعديد من الحبوب بدلا من واحدة... هكذا فإنه أيضا ممكنا لكم أن تنالوا ملكوت السماوات، ما لم تنالوه من خلال المعرفة، فإنكم لم تكونوا قادرين على إيجاده».

## ١-ب- الختان وأعمال الشريعة الناموسية

والختان من أهم أعمال الناموس وهو ميزة الموحدين عن الوثنيين. فلم يزل الجماعة الأورشليمية متشبثة به اللهم بولس وجماعته التي أباح تركه للوثنيين حتى سمي في التقليد الكنسي برسول الغرلة.

كان الرسول بولس وبرنابا يخدمان ويكرزان بكلمة الرب للخلاص في انطاكية، وحسب ما كان معمولا سابقا في هذه الخدمة لم يذكر احد الختان بأنه عملية لازمة للخلاص، ولكن جاء (بعض اليهود) يعلمون انه يجب ان يختتن المؤمن حسب عادة موسى لكي يتم الخلاص، وانتهى الامر بوجوب النزول الى اورشليم لمناقشة الرسل والمشايخ

(١) الكلمة هو يسوع المسيح. كلمة الله المتجسدة.

في اورشليم من اجل هذه المسألة اع ١٥: ٥-٦: «ولكن قام اناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا انه ينبغي ان يختنوا ويوصوا بان يحفظوا ناموس موسى فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الامر» في اول وصولهم اورشليم اثار عدد من المؤمنين المسيحيين من خلفية يهودية فريسية انه ينبغي ان يختتن الاممي المؤمن بالمسيح فاجتمع الرسل والمشايخ للنظر في المسألة واذا تابعت القراءة ستعرف ان بطرس وقف ليتكلم ويقول عما حصل له مع كرنيليوس الاممي الذي آمن (قصته في الاصحاح العاشر) وباختصار عندما كان بطرس يكلمه وتكلم بطرس انه اذا كان الله اعطاه علامة على قبول ايمانه بمعمودية الروح القدس وهو الأممي غير المختون؟؟؟ كيف لبشر بعد ذلك ان يضعوا قانون لم يضعه الله؟؟ ثم تكلم بعد ذلك بولس وبرنابا عن رحلتهم للكرازة بين الامم وكيف ان الله كان يصنع عجائب ومعجزات بينهم وهو ما أكد كلام بطرس ان الله يقبل ايمان الامم بغير شرط الختان ثم تكلم يعقوب (المعتبر رئيس كنيسة اورشليم في ذلك الوقت) وتكلم قائلا: «١٣ وبعدما سكتا اجاب يعقوب قائلا ايها الرجال الاخوة اسمعوني. ١٤ سمعان قد اخبر كيف افتقد الله اولا الامم ليأخذ منهم شعبا على اسمه. ١٥ وهذا توافقه اقوال الانبياء كما هو مكتوب. ١٦ سأرجع بعد هذا وابني ايضا خيمة داود الساقطة وابني ايضا ردمها واقيمها ثانية ١٧ لكي يطلب الباقون من الناس الرب وجميع الامم الذين دعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا كله. ١٨ معلومة عند الرب منذ الازل جميع اعماله. ١٩ لذلك انا ارى ان لا يثقل على الراجعين الى الله من الامم. ٢٠ بل يرسل **اليهم ان يمتنعوا عن نجاسات الاصنام والزنى والمخنوق والدم.**» ومقصود يعقوب عدم الاثقال على الوثنيين بالطقوس الناموسية الشديدة كالختان ابتداءا حتى يتمكن الايمان من قلوبهم وهذا من باب التدرج في الدعوة. لا كأساس للديانة لأن يعقوب ما كان ليغير الناموس اليهودي الذي يكرز به والذي يعد الختان من أعمال التي لا يتم الخلاص إلا بها. بعد ذلك استقر الامر على كتابة رسالة بهذا المضمون توزع على كل الكنائس التي آمنت بالمسيح في كل مكان، ويقوم بتوزيع هذه الرسالة اثنين من الشيوخ يذهبان مع بولس وسيلا الى انطاكية لتبليغ هذه الرسالة التي اجمع الرسل كلهم بالاتفاق عليها (رأينا وقد صرنا بنفس واحدة) كما سترى في مضمون الرسالة.

لكن بولس لم يبق وفيا لهذا الاتفاق. يقول الأستاذ اللاهوتي أوتو فليدرر: وبما أن بولس نقض اتفاق أورشليم بإصراره على نقض الناموس، فقد اعتبر المسيحيون المتهودون هذا الاتفاق لاغيا وغير ملزم لهم، وبدأت معارضه ضد بولس في كنائسه الأممية الخاصة به، ويصعب علينا أن نحدد مدى اشتراك الرسل الاصليون في حركة المعارضة تلك لأننا لا نمتلك معلومات بخصوص هذا الأمر. ولكن - وعلى الرغم من ذلك - عندما نرى احتجاج المتهودين بالأسماء الشريفة للرسل، واستشهادهم على مصداقيتهم أمام كنائس الأمم من خلال رسائل تقديم جلبوها معهم بدون شك من فلسطين، فمن الصعب أن نتخيل أن حركتهم هذه لم يشترك فيها الرسل الأوائل بالكلية. ويضاف الى ما سبق، أن لو كان الوضع على هذه الكيفية، فإن نبرة التردد التي نجدها في كلام بولس أكثر من مره في حديثه عن «ذوى السمعة»، « الأعمدة»، «الرسل البارزين»، وتأكيده على استقلاليته ومساواته لهم، سيكون أمرا عسيرا على الفهم» (فليدرر).

فقد أباح بولس لنفسه وللوثنيين كل مأكول وقال: «كل الأشياء تحل لي» (كورنثوس ٦:١٢).

أما عن الختان فقال: «لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة.» غلاطية ٥: ٦ وايضا «١٢ جميع الذين يريدون ان يعملوا منظرا حسنا في الجسد هؤلاء يلزمونكم ان تختتنوا لئلا يضطهدوا لأجل صليب المسيح فقط. ١٣ لان الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس بل يريدون ان تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم. ١٤ واما من جهتي فحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وانا للعالم. ١٥ **لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة.**» غلاطية ٦: ١٢ - ١٥. لقد فُهم كلام بولس تهوين من شأن الختان هو الأمر المميز لليهود ابناء الرب عن الوثنيين قامت الرسل المتهودين بحرب على تعاليمه أدت الى تشتيت الجماعة التبشيرية التي مع بولس نفسه. حيث تفرق عن أستاذه برنابا ومرقس وانفصلا عن بعضهما البعض بسبب هذه التعاليم الجديدة.

لقد كانت علاقة برنابا ببولس علاقة متميزة. إذ هو الذي قدمه للتلاميذ المتشككين

في توبة شاول الذي اضطهد الكنيسة ثم ادعى الرسولية من المسيح ذاته.(انظر أعمال ٩/ ٢٦)، ثم صحبه ست سنوات في رحلته التبشيرية في قبرص وأنطاكية، ثم اختلفا بعد ذلك، وانفصل كل منهما عن الآخر فما سبب الاختلاف؟

يقول سفر أعمال الرسل١٥: ٣٦-٣٩ «قال بولس لبرنابا: لنرجع ولنفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم!، فأشار برنابا أن يأخذ معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما (مرقس)...لا يأخذانه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في بحر قبرص». ولكن هل يعقل أن يكون هذا هو السبب في مشاجرة برنابا وبولس؟

يرفض المحققون هذا التبرير، ويرون أن الأمر أكبر من ذلك، فهو كما يقول برنابا يعود إلى تعاليم بولس غير اليهودية التي ينشرها في تبشيره. فقد جاء في مقدمة إنجيله: -وهو لا تعترف به الكنيسة منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥ميلادية- «كانوا عديمي التقوى والإيمان الذين قلوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم بولس» -برنابا، المقدمة/ ٢-٧-.

ويرفض المحققون ما جاء في أعمال الرسل في تحرير سبب الخصام بين برنابا وبولس، ويرونه محاولة لإخفاء السبب الحقيقي، ولعله الذي ذكره برنابا في إنجيله.

ويستدلون لرأيهم بأنه لا يعقل أن ينفصل الصديقان ويتشاجران بسبب اختلافهما فيمن يرافقهما. ثم إن بولس رضي فيما بعد برفقة يوحنا فقد أرسل إلى تيموثاوس٣:١٠ يقول له: «خذ مرقس، وأحضره معك، لأنه نافع لي للخدمة» وهو يوصي أخيراً فيقول: «يسلم عليكم استرخس المأسور معي، ومرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا، وإن أتى إليكم فاقبلوه» كولوسي٣:١٠.

ورغم تراجع بولس عن عدم اصطحاب مرقس إلا أننا لم نسمع بتاتاً عن تحسن العلاقة بين بولس وبرنابا. وقد اعترف القس بترسن سميث بأن الخلاف بين الرجلين كان خلافاً فكرياً.

إذن نستطيع القول بأن تلاميذ المسيح قد عارضوا دعوة بولس ووقفوا في وجهها، ودليل ذلك اختفاء ذكرهم عن عالم المسيحية بعد ظهور بولس. فقد اختفت كتاباتهم وحوربت. ولم ينج منها إلا إنجيل برنابا ورسالة يعقوب المضمنة في رسائل العهد الجديد والتي تمتلئ بمخالفة بولس وخاصة في مسألة الفداء.

كما اختفى ذكر الحواريين والتلاميذ من أعمال الرسل إلا قليلاً، فلا نكاد نعرف شيئاً عن هؤلاء الذين أرسلهم المسيح، وعن دعوتهم سوى ما نقل إلينا لوقا عن مقاومة أهل أنطاكية لتبشير بطرس المخالف لبولس. وعن رحلة برنابا مع بولس، ثم اختفاء ذكرهما من رسائل العهد الجديد بعد مشاجرتهما مع بولس.

وهكذا فالعهد الجديد وضعه بولس وتلاميذه، وأبعدوا عنه كل ما يعترض نهجه وأفكاره، وطال ذلك تلاميذ المسيح ورسله وحملة دينه إلى أمته.

## ٢-الانقسام حول الرسول يهوذا الإسخريوطي

لعل من أوائل الانقسامات التي دارت بين الحواريين بُعيد وفاة المسيح، هو اتخاذ موقف واضح من الرسول يهوذا الأسخريوطي. وهذا ما سنكتشفه بحسب المصادر المسيحية القانونية واللاقانونية التي بين أيدينا. وهي على كثرتها فبينها تضارب كبير يزيد الباحث حيرة ويضطره إلى وضع فرضيات قد تكون بعيدة عن حقيقة الوضع التاريخي. وحديثنا على يهوذا الأسخريوطي لم يكن من باب اللغو في القول، لأنه وكما سنرى سيفتح له باب للاطلاع على مدى الغياب المعلوماتي التي تصوره لنا المصادر المسيحية عن تلميذ من تلاميذ المسيح، رغم تأخره عنه. فكيف سيكون الحال في القضايا الميتافيزيقية التي تعتري حالة السيد المسيح نفسه وعلاقته مع الله؟؟

تنقل لنا المصادر القانونية قصة خيانة يهوذا للمسيح وتسليمه لليهود من أجل قتله صلبا، وقد استقر هذا التقليد السلبي عن يهوذا الأسخريوطي باعتباره رمز الخيانة في أعلى صورها[(١)].

---

(١) انظر النصوص في ما يأتي بعد.

وبعد وفاة المسيح تصور لنا المصادر القانونية المسيحية نظرة مختلفة وقلقة حول مصير يهوذا مسلّم المسيح لليهود وخائن العهد.

نقرأ نص إنجيل متى:

متى-٢٧-٣: حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ.

متى-٢٧-٤: قائلا: «قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا. فقالوا: ماذا علينا؟ أنت أبصر!»

متى-٢٧-٥: «فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه».

متى-٢٧-٦: «فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم».

متى-٢٧-٧: «فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء».

متى-٢٧-٨: «لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم»

متى-٢٧-٩: «حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة، ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل».

متى-٢٧-١٠: «وأعطوها عن حقل الفخاري، كما أمرني الرب».

اعمال الرسل-١-١٨: «فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم **وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها**».

اعمال الرسل ١-١٩: «وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي: حقل دم».

اعمال الرسل -١-٢٠: «لأنه مكتوب في سفر المزامير: لتصر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر».

فمصير الفضة: «في متى نجد يهوذا يلقي الفضة في الهيكل وفي اعمال الرسل يشتري بها حقل».

من الذي اشترى الحقل؟: في متى رؤساء الكهنة وفي اعمال الرسل لم يكن يهوذا لآنه ألقاها.

كيف مات يهوذا؟: في متى خنق نفسه وفي اعمال الرسل وقع فانشق بطنه.

سبب تسميه الحقل: في متى لأنه كان ثمن دم في اعمال الرسل لأن يهوذا مات فيه حيث انذلقت امعائه.

إشكال آخر:

يستشهد متى بالعهد القديم فيقول ان نبوءة الثلاثين قطعة من الفضة موجودة في سفر إرمياء النبي، ولكن ما ذكر في إرمياء كان ١٧ قطعة من الفضة:

إرمياء -٣٢-٩: «فاشتريت من حنمئيل ابن عمي الحقل الذي في عناثوث ووزنت له سبعة عشر شاقلا من الفضة».

أما الثلاثين قطعة من فضة فهي في زكريا:

زكريا-١١-١٢: «فقلت لهم: إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا. فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة».

زكريا -١١-١٣: «فقال لي الرب: ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب»

وهكذا أخطأ متى في استشهادة بسفر إرمياء.

ولعل السبب في هذه الناقضات هو محاولة كتّاب هذه المصادر التغطية على اختفاء يهوذا الإسخريوطي.

ولنأتي على ثلاثة نصوص تتعلق بيهوذا الإسخريوطي الخائن، وُضعت للتغطية على

اختفاءه، لنجد التناقض والتأليف الغير موفق الذي تم لهذا الأمر، وهو ما ورد في إنجيل متى٢٧: ١-٩ وأعمال الرُسل١: ١٥-١٩. ونترك للقارئ الحكم.

## النص الأول:

ورد في متى٢٧: ١-٩ «ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه. فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي. حينئذٍ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنهُ قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ. قائلاً قد أخطأت إذ سلمتُ دماً بريئاً. فقالوا ماذا علينا. أنت أبصر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف. ثُم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضةَ وقالوا لا يحلُ أن نُلقيها في الخزانة لأنها ثمنُ دمٍ. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرةً للغرباء....... حينئذٍ تم ما قيل بأرميا النبي».

إنهُ بعد رؤية يهوذا أن المسيح قد تم إدانته علماً بأنه لم يُدان بعد لأن بيلاطس لم يُعرض المقبوض عليه ولم يرهُ بعد ليُدينهُ، دفعوه إليه ولم يصله بعد، وبسرعه عالية وبوقت وجيز، لا يتعدى عدة ساعات، ندم صاحب التقوى والأخلاق العالية، ومن شدة أمانته وأخلاقه العالية رد الثلاثين من الفضة -هذا إذا حدث من هذا شيء-، هذا مع أنه كان يخون المسيح ومُتخصص بسرقة واختلاس أموال الاعشار، المُحترم يعترف بأنهُ أخطأ لأن المسيح بريء مما وشى به عنه وتآمره عليه.

إذا ندم لماذا لم يذهب ويعترف أمام بيلاطس بما أقدم عليه ويُنقذه إذا أستطاع مُعلمه عما هو مُقبل عليه، إذا كان مُعلمه هو من قُبض عليه وأنه بريء وسلم دماً بريئاً، وأنه هو الطليق ولهُ القدرة على ذلك، بدل أن يطرح الفضة في الهيكل وينصرف، وبدل أن يذهب ويخنق نفسه، ويموت قبل أن يُصلب من قُبض عليه ويموت.

كيف يقتل نفسه خنقاً قبل أن يُصلب ويموت المقبوض عليه، والمقبوض عليه لم يمثل بعد أمام بيلاطس وما يُدريه أن بيلاطس وغيره سوف يُدينونه، وقد ورد في متى٢٧: ١٩ «وإذ كان جالساً على كُرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلةً إياك وذلك البار. لأني تألمت

اليوم كثيراً في حُلمٍ من أجلـه» هذا إذا كان لهذا حقيقة، وما هذه السـرعة فـي الندم، البارحة قبض الثمن واليوم يجني الندم ينتحر خنقاً، لتآمرٍ ووشـاية وخيانة امتـدت لزمن طويل، يندم عليها خلال سـاعات، وربما المقبوض عليه لا يُدان أو قد ينجوا ويُعفـي عنه ولا يموت، أو يُطلق بدل باراباس، ومن اجل ذلك ندم وخنق نفسه ومات علماً بأن شيئاً من ذلك لـم يحدث لأن من دُفع إلـى بيلاطس هو يهوذا الإسـخريوطي، الذي لا اختلاف ولا شـك عند أحد أنه ليس المسـيح، فهو شـبهه في الشـكل والصوت، إلا أنه أهبل لا يُجيد الكلام أو الإجابة عن شـيء « أنت قُلت، أنتم تقولون أو يسـكُت، هل هذه طباع المسـيح هل هذه شـجاعة وجُرأة المسـيح» ولا يُجيد هـذا إلا الصُـراخ والاسـتجداء وعلامـات الخـوف والحُزن والتحسـر لإطلاق سـراحه، عندما قلب الله صورته طبق الأصل عن المسـيح، ليُعاقب مـع من يُعاقب من هؤلاء، ومن سيأتي من بعدهم، في إصرارهم على الولوغ والاستمرار في الضلال.

بالنتيجة نستنتج أن كاتب النص السابق، لـم يكن يمتلك من المؤهلات التي تمكنه من فبركة حكاية متماسكة وقادرة على الإقناع.

بينما النـص الثاني يتحدث عن يهـوذا الذي عاش بعدها، واشـترى حقـلاً واقتناه، أي أصبح مُلكا لهُ، ومن أيـن الثمن؟ من أُجرة الظُلم أي من الرشـوة، بينما النص السـابق يُخبر عن تركه للأُجره والثمن والرشوة في الهيكل وأخذ رؤساء الكهنة لها.

## النص الثاني:

وهو مـا ورد في أعمـال الرُسـل١: ١٥-٢٠ «وفـي تلك الأيـام قام بطرس في وسـط التلاميذ. وكان عدةُ أسـماءٍ معاً نحو مئة وعشـرين. فقال أيُّها الرجال الأخـوة كان ينبغي أن يتم المكتوب الذي سـبق الروح القُـدس فقاله بفم داود عـن يهوذا الذي صـار دليلاً للذين قبضوا على يسـوع. إذ كان معـدوداً بيننا وصار لـهُ نصيب في هـذه الخدمة. فإن هـذا اقتنى حقلاً من أُجرة الظُلم وإذ سقط على وجهه أنشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كُلها. وصار ذلك معلوماً عند جميع سُكان أورشليم حتى دُعي ذلك الحقل في لُغتهم حقل دما أي حقل دم..... لأنه مكتوب في سفر المزامير... «.

أينما تجد مكتوب في الأناجيل عبارة، ليتم ما هو مكتوب، أو أنه ينبغي أن يتم المكتوب، أو لأنه مكتوب في كذا، أو ما قيل في كذا وكذا، أو ما شابه ذلك، فيجب أن تتأكد أنه بدأ التحريف والتأليف من قبل الكتبة، وأن ما قبل ذلك أو ما بعده، يجب أن يكون من التحريف والتأليف في العهد الجديد، ليؤكد المُحرف صدق ما سيرويه من تأليف. طبعاً هذا النص الموضوع على لسان هذا التلميذ الطاهر بطرس، يتحدث فيه بطرس كما يُنسب له بعد مُغادرة المسيح لهذه الدُنيا، يتحدث عن أن هذا أي يهوذا أقتنى حقلاً، والاقتناء يعني أنهُ عاش وقام بشراء الحقل واستعماله. ثُم يُكمل من واضع القصة على لسان بطرس، بأن يهوذا بعد أن أقتنى الحقل، بعد شراءه لهُ واقتناءه واستعماله لهُ سقط على وجهه، أي أنه لم يخنق نفسه كما ورد في متى، ولم يُبين هذا النص سبب السقوط على الوجه، وهذا الانفلاق أو الانشقاق إلى نصفين ولنتذكر هُنا قصة انشقاق حجاب الهيكل إلى نصفين، لنتأكد أن الكاتب هو نفسه المُتخصص بالانشقاقات!!

ولنمعن النظر في رواية الذي انشق من الوسط، من غير الطبيعي أن تكون قد حصلت بالفعل، أو على الأقل وقعت بالصورة التي تصدرها لنا في الرواية القانونية. لأن مجرد السقوط لا يفتح البطن ويذلق الأحشاء. حتى لو سقط على حجر أو شيء حاد. وهذا يؤكد مرة أخرى عدم شهودية جميع الرسل فضلا على كتبة هذه الروايات. اللهم إذا فسر تفسيرا ميثافيزيقيا، وهذا أيضا لا يمكن قبوله إذ المعجزات لابد أن تستند إلى أصل مادي ولو بطرف خفي، وليس في القصة ما يؤكد أي تدخل فوق طبيعي في هذه القصة. أما انشقاقه إلى نصفين فهذه من تأليف الكتبة السُذج، ثُم تُكمل الرواية الكاذبة بأن الحقل الذي أقتناه يهوذا سُمي فيما بعد حقل الدم.

والظاهر أن اليهود أخذوا ما أعطوه ليهوذا، بعد أن وجدوا الرشوة معه عندما قلبه الله إلى صورة وصوت المسيح، واشتروا فعلاً حقلاً وسموه حقل الدم لتتم فصول المسرحية المكشوفة. وأوردوا هذه الروايات في العهد الجديد للتغطية على اختفاء عميلهم يهوذا، بطريقه ساذجة ومكشوفه، ولأنهم يعلمون لمن يكتبون، وكيف هي عقولهم، ولأنهم

يعلمون بكُل ما حصل، وعندهم علم الكتاب والتلمود وعلم التابوت. ومرروا المسرحية لنهايتها، على أن المسيح صُلب ودفن، وأكملوا المُفزع منها بالإيهام أنهُ قام من بين الأموات بعد أن سرقوا جُثة يهوذا من القبر، وتمثيل عملية خنقه وشنقه لنفسه.

ولعل السبب -وكما أسلفنا- في وضع هذين النصين المُتناقضين، والغير موفقين هو للتغطية على اختفاء يهوذا الإسخريوطي. من لحظة القبض على المقبوض عليه وتنفيذ إهانته ومُحاكمته وصلبه، حيث تم الشك صباحاً للجمعة من اختفاءه، وزاد التأكد من ذلك بقية نهار الجمعة وليلة السبت، وفي يوم السبت كان لا بُد لرؤساء الكهنة وللكتبة والفريسيين وغيرهم من اليهود من التصرف بسرعة، ويكونوا خططوا لذلك ليلة السبت، لأن من صُلب ومات على الصليب ليس المسيح، وإنما هو يهوذا وخوفاً من افتضاح الأمر، فقاموا بسرعة وبحكمة بطلب الحراسة على المقبور والقبر صباح السبت، من أجل إبعاد تلاميذ المسيح ومُحبيه والمُتعاطفين معه عن المكان والقبر، وسرقة جُثة المصلوب لليلة الأحد على راحتهم، وتمثيل شنقه بمعنى أنه خنق نفسه في نفس الليلة ومات.

لأن المسيح عليه السلام لم يعد لهُ وجود بينهم فهو رُفع ليلاً ولم يُشاهد الحدث إلا قلة من تلاميذه، وحل مكانه مسيح تقليدي مُشابه لهُ تماماً في الشكل والصوت، وقد قُبض عليه وحوكم وأُهين وصُلب ومات ودُفن، وبالتالي فلا وجود للمسيح الأصلي، ولا وجود ليهوذا الإسخريوطي، وإذا كان المسيح سيعود أو يقوم وحسب آية يونان التي وعد بها، فليس من هذا المكان وليس لهذا المكان الذي حدثت فيه هذه الأحداث، ولذلك لا بُد من التصرف وبسرعه.

وفي متى٢٧: ٦٢ -٦٦ «وفي الغد الذي بعد الاستعداد المقصود بالغد السبت لأن يوم الاستعداد يكون الجمعة اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيين إلى بيلاطس. قائلين يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المُضل قال وهو حي إني بعد وليس قبل أو خلال ثلاثة أيام أقوم. فَمُر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنهُ قام من بين الأموات. فتكون الضلالةُ الأخيرة أشرُ من الأُولى. فقال لهم بيلاطس عندكم حُراس. اذهبوا وأضبطوا كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحُراس وختموا الحجر».

وللكُل مُلاحظة على هذا النص، قولهم تذكرنا وقولهم بأنه قال بعد ثلاثة أيام أقوم من دفنه في القبر بنظرهم، وكان المسيح يقصد مكان آخر لقيامه، وليس قبل أو خلال وبالتالي إذا كان هو المسيح ودُفن مع غروب ليلة السبت، فبعد ثلاثة أيام يجب أن يقوم بعد الغروب لنهاية يوم الاثنين، والملاحظة الثانية طلبهم بضبط القبر إلى اليوم الثالث فقط وقصدهم وحسب رغبتهم هُم من بداية يوم الجمعة على أن يوم الجمعة هو أول يوم، لماذا لم يقولوا لنهاية اليوم الثالث، أو استمرار الحراسة للتماشى مع قولهم بعد ثلاثة أيام، لماذا اختاروا التوقيت ليلاً فاختاروا ليلة الأحد وهي الليلة التي هُم بحاجتها وحتى بداية اليوم الثالث أي فجر الأحد قبل طلوع شمسه.

إن هُناك تخطيط لسرقة المصلوب، وهُم يتهمون غيرهم وهُم من سيقومون بذلك في هذه الحالة لا حاجة لهم لنهار يوم السبت، لأنهم لا يستطيعون تنفيذ خطتهم نهاراً، لكن لا بُد من هذه الحراسة لمنع أي أحد من الاقتراب من القبر والمقبور، وحاجتهم فقط هي لليلة الأحد وظلمتها ولذلك لم تستغرق الحراسة أكثر من ١٨ ساعة، ولنفرض أنها بدأت الساعة ١٠ لصباح السبت، بعد طلبها من بيلاطس وموافقته عليها، وإحضار رؤساء الكهنة للجنود، والذهاب للقبر، وكان لا وجود لها قبل فجر وطلوع شمس الأحد ولنفرض على أعلى تقدير بعدم وجود حراسه قبل الساعة ٤ لفجر الأحد، ولا حاجة لهم لما بعد ذلك من فجر الأحد وطلوع شمسه وليوم الأحد، ولذلك سيُخلوا القبر والحراسة وربما أُخليت الحراسة بشكل مُبكر من قبل رؤساء الكهنة، منذُ حلول الظلام لليلة الأحد لأن حاجتهم هي للعتمة وللظلام، من اجل الظلام القادم وما سيوجدوه من ضلال، والحراسة تحت أمرهم كما أمر بيلاطس، وممكن رشوة الجنود أو تهديدهم أو تعاونهم معهم، كيفما كان الأمر فهم قادرون ومُتمكنون منهُ، اليسوا يهود والأقوى أليسوا كهنة، بل والأشد أليسوا رؤساء كهنة، هل ينسوا كم حقرهم المسيح عليه السلام وازدراهم وهزأهم، الم يُسميهم بأبناء الأفاعي، الم يُسميهم بقتلة الأنبياء والرُسل، هل ينسوا كُل ذلك.

كُل ذلك من أجل سرقة المصلوب من القبر وتمثيل شنقه أو خنقه لنفسه وهو ميت، في ليلة الأحد، وكُل ذلك تم ليلاً دون علم أحد، ولا أحد يعلم بذلك إلا من قاموا بتنفيذ هذا العمل من رؤساء الكهنة أليسوا كهنة، بل رؤساء للكهنة، والقول في اليوم التالي إن يهوذا ندم ورد الرشوة

وذهب وخنق نفسه، وربما عمدوا لتشويه وجهه حتى لا يُعرف لإكمال فصول المسرحية، وها هو سقط وتدحرج وتُشوه، ولا يُستبعد أنهم شقوه إلى نصفين لزيادة تمويه خلقته، ومن ثم إخلاء الحراسة عن القبر وتركه ربما قبل فجر الأحد بوقت طويل، بعد أخذ الجثة، وبعد ترتيب الكفن وعصابة الرأس، وترك الحرية لمن يأتي ليرى أن لا وجود لجُثة المصلوب وأنهُ قام.

ولذلك عندما جاءت المريمان إلى القبر، كان من الطبيعي أن لا يجدا القبر مُغلق بالحجر، لأن تركه مفتوح بعد إزالة الختم وإزاحة الحجر من قبل رؤساء الكهنة والجنود ومن تعاون معهم كان مُخطط لـهُ، كالتخطيط لترتيب الكفن وعصابة الرأس، بعد أخذ جُثة المصلوب، وكان من الطبيعي أن لا يجدا جُثة المصلوب.

أما عن وجود المسيح عند القبر وحدوث الزلزلة، فهذه زلزلة ووجود القلم الكاذب للكاتب التي لم تحدث إلا بما خطه قلمه الظالم. وعن وجود شخص أو شخصين يلبسان ملابس بيضاء، إن صح وجودهما إن لم تكُن كذبة أُخرى، فربما يكونان ملاكان فعلاً ليدلا من يأتي ليُخبر أن المسيح ليس هُنا لأنه رُفع بأمرٍ من الله مُنتصف ليلة الجمعة، لحظة القبض على الشبيه لهُ تماماً في الشكل والصوت يهوذا الإسخريوطي. وستكون عودته بأمر من الله بعد لجوءه لهُ، ليرى أُمه وتلاميذه إلى الجليل مُنتصف ليلة الاثنين ليوفي بآيته ٧٢ ساعة وهي آية يونان النبي. وإن لم يكونا ملكان فهما شخصان وُضعا بترتيب من رؤساء الكهنة، للتضليل أن المصلوب قام من القبر.

وإشاعة أن المسيح قام من القبر، بعد خداع وإيهام من جاءوا لرؤية القبر بذلك. «والمسيح قام من الموت ومات وداس الموت بالموت». وكُل الروايات التي وردت في الأناجيل بغير ذلك فهي من التأليف والتحريف، الذي صنعه اليهود للمسيحيين ولإضلالهم، كما أعترف بذلك إيللي رافاج وأكتشفه غيره.

وهُناك احتمال أن رؤساء الكهنة ربما سرقوا الجثة ليلة السبت ليلاً، بعد اختفاء يهوذا واكتشاف أن الجثة لهُ، ولذلك سارعوا بسرقتها ليلاً وبطلب الحراسة من بيلاطس من صباح السبت لمنع اي أحد من تلاميذ المسيح ومؤيديه أو المريمان من الذهاب للقبر، وافتضاح أمر سرقة الجثة بشكل مُبكر ومُلفت واكتشاف فُقدان الجثة للمصلوب، وافتضاح الأمر وعدم تطابق الآية التي تحدى بها المسيح عليه السلام اليهود.

### النص الثالث:

في رسالة بولص الأُولى لأهل كورنثوس ١٥ : ٣-٥ «فإنني سلمت اليكم في الاول ما قبلته انا ايضا: ان المسيح مات من اجل خطايانا حسب الكتب. وانه دفن وانه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وانه ظهر لصِفا **ثم للاثني عشر**».

### ١-ب- الرسل الاثنا عشر:

من هُم الاثني عشر كما يوردهم متى؟

في متى ١٠ : ١-٤ «ثم دعا تلاميذه الاثني عشر واعطاهم سلطانا على ارواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف. واما اسماء الاثني عشر رسولا فهي هذه. الاول سمعان الذي يقال له بطرس واندراوس اخوه. يعقوب بن زبدي ويوحنا اخوه. فيلبس وبرثولماوس. توما ومتى العشار. يعقوب بن حلفي ولباوس الملقب تداوس. سمعان القانوي ويهوذا الإسخريوطي الذي اسلمه».

في النص الأول في متى٢٧ : ١-٩ يهوذا ندم فوراً عند دفع المقبوض عليه لبيلاطس، ورد الفضة وذهب وخنق نفسه ومات، أي أنه موت نفسه وخنقها، قبل موت من قُبض عليه.

في النص الثاني في أعمال الرُسل١ : ١٥-٢٠ فإن هذا اقتنى حقلاً من أُجرة الظُلم وإذ سقط على وجهه أنشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كُلها.

في النص الثالث في رسالة بولص الأُولى لأهل كورنثوس ١٥ : ٣-٥ ظهور المسيح ليهوذا الإسخريوطي ورؤيته لهُ، بعد الادعاء بأنه قام من القبر ومن بين الأموات، **أي أنه كان موجودا مع التلاميذ وبرفقتهم بعد كُل الأحداث بمده طويلـه، وإلا لما قبلوا رفقته حتى يتلقاهم المسيح بعد قيامته وخائنه معهم؟! ولا وجود لندم وإعادة فضه، والذهاب لخنق نفسه في ذلك اليوم.**

وهنا ثمت توضيح بسيط: افتراضنا قصة الشبيه وتحديد الشبيه بيهوذا الأسخريوطي، لم يكم اعتباطيا، بل له في تصورنا أسبابا تبرره:

فيما يخص النقطة الأولى: وهي افتراض شبيه، فالداعي لها كما بينا وجود التباس وتناقضات غير منطقية في القصة الماسورية للأناجيل القانونية. وتفسير هذه التناقضات من الناحية العلمية يقتضي البحث عن تفسير من داخل المنظومة الدينية لا من خارجها، خصوصا وأن قصة الشبيه كانت من القصص المعروفة في القرن الأول المسيحي واستمرت حتى القرن الخامس بعد تهجين الفكر المسيحي والقضاء على المخالفين الذين كانت تسميه الكنيسة بالهراطقة.

لقد وردت هذه القصة في رؤيا بطرس وهي من الأناجيل المعترف بها في الكنيسة على الأقل حتى سنة ١٧٠ ميلادية حسب الوثيقة الموراتورية. كما وردت في رؤيا شيث وهي من مخطوطات المكتشفة في نجع حمادي وتنسب هذه الرؤيا الى جماعة القاينيين وجماعة السيزيان *Sethians* الشيثيين المحسوبة على الغنوصية، وهي إحدى الجماعات الدينية اليهودية التي كانت تقدس شيث *Seth* الابن الثالث لآدم. وكانت ترى، بحسب ما زعمته من أساطير أنه تجسد للمسيح، وكانوا ينظرون لأسطورتهم هذه كافتتاحية أو مقدمة لسفر التكوين، حيث يرجع وجودهم لما قبل المسيحية، وبعد المسيح طابقوا شيث مع المسيح كالإله المتجسد!! وقد شرح القديس إيريناوس[١] معتقداتهم وأساطيرهم

---

(١) إيريناوس هو قديس وأحد آباء الكنيسة، وواحد من أهم لاهوتيي القرن الثاني الميلادي، ولد على الأرجح بين عام ١٤٠ و١٦٠ م في مدينة إزمير. تلميذٌ للقديس بوليكاربوس. ترك آسيا الصغرى لأسباب مجهولة وذهب إلى غالية. كان كاهناً في مدينة ليون على أيام الإمبراطور مرقس أوريليوس. أُرسل إلى روما ليحصل على إيضاحات بشأن مشكلة المونتانية وبعد عودته منها بين عام ١٧٧ و١٧٨ م أقيم أسقفاً على ليون خلفاً لأسقفها الشهيد فوتينوس. عندما حرم البابا فيكتور الأول أساقفة آسية الصغرى بسبب الخلافات الفصيحة، قام إيريناوس بحثّهم على المصالحة. يقول عنه أوسابيوس بأنه عاش فعلاً ما يعنيه اسمه أي «صانع السلام» (تاريخ الكنيسة ٥ / ٢٤ / ١٧). في صراعه ضد الغنوصية، نجح إيريناوس في هدايةِ الكثير من أهل المنطقة إلى المسيحية. عن باقي حياته لا نعرف شيئاً أكيداً. بالنسبة لوفاته يخبرنا كل من جيروم وغريغوريوس دي تور بأنه استُشهد خلال عهد الامبراطور لوسيوس سيبتيموس سيفيروس نحو عام ٢٠٢ م، لكن هناك بعض الشك في صحة هذا الخبر.

الخاصة بالله وخليقة الكون، والتي تتكون من أساطير شديدة التعقيد، وكما وردت قصة الشبيه أيضا في إنجيل يهوذا[١] الذي أسلم المسيح بناء على ارادته وكأنه قدم نفسه فداءا لقداسته. ووردت قصة الشبيه أيضا في إنجيل برنابا. وقد استمر إنكار صلب المسيح دعوة الشبيه الى غاية القرن السابع الميلادي. فكان من المنكرين الراهب تيودورس (٥٦٠م) والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص (٦١٠م) وغيرهم. يقول جورج سايل: «إن السيرنثيين والكربوكراتيين، وهما من أقدم فرق النصارى، قالوا: إن المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل، وإنما صلب واحد من تلاميذه، يشبهه شبهاً تاماً، وهناك الباسيليديون يعتقدون أن شخصاً آخر صلب بدلاً من المسيح». وثمة فِرق مسيحية قالت بأن المسيح نجا من الصلب، وأنه رفع إلى السماء، ومنهم الدوسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية. وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح، ويرون القول بصلب المسيح وإهانته لا يلائم البنوة والإلهية ووقد صلب البديل عنه (باجه جي، ١٩٨٧ صفحة ٣٦٦)..غير أن بشارة برنابا -**النقطة الثانية**- حدد فيها الشبيه **بيهوذا الأسخريوطي** بينما في رؤيا شيث حدد **بسمعان القيرواني اليهودي**[٢] الذي انتدبه الجنود الرومان في مساعدة المسيح على حمل صليبه في الطريق إلى مكان

---

(١) النسخة الوحيدة المكتشفة بمصر لهذا الانجيل تعود إلى سنة ٢٨٠ م.

(٢) وهو قول فلوري وشيعته: ذكر القديس الفونسو ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: «إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشح ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ **أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان**، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء».

ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول المفسر جون فنتون شارح متى (ص ٤٤٠): «إن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن **سمعان القيرواني** قد صلب بدلاً من يسوع». (عبد الوهاب الصفحات ٢٧٣-٢٧٤).

وقد نقل أوريجانوس تقليداً شائعاً في عهده بأن يسوع كانت يستطيع في حياته أن يغير شكله وقتما وكيفما يشاء، ويقول إن هذا كان السبب في ضرورة قبلة يهوذا الخائن؛ وإلا فإن المسيح كان معروفاً لدى عموم أهل أورشليم. (لاهوتيين صفحة (مادة أبو كريفا)).

الصلب. وهذا المعتقد كان منتشرا كثيرا في الأوساط الكنسية في القرن الأول المسيحي، وقد اشتهر باسيليدس بهذا المذهب سنة ١٢٥ ميلادية (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٣). وقد حورب بشدة في رسائل أغناطيوس الأنطاكي *Ignatius* المتوفي عام ١٠٨ ميلادية. في إصدارها اليوناني، خاصة في الرسائل *ad Trall. 9، 10* و *ad Smyrn. 2*.

إن مثل هذا التضارب بين المصادر القانونية من جهة وغير القانونية من جهة أخرى في قضية ثانوية مثل قضية يهوذا الأسخريوطي، لمؤشر خطير على الهشاشة اللاهوتية التي بني عليها صرح اللاهوت المسيحي. فكيف ستتصور الاختلافات الأخرى الجوهرية التي عصفت بالكيان المسيحي والتي لم يحسم فيها حتى الآن من قبيل طبيعة المسيح والله والإنسان والعلاقة بينهم؟ بل وكل اكتشاف جديد إلا يزيد الوضع تعقدا وتأزما ويعمق حيرة الباحثين نظرا لغياب عنصر الثقة وتعدد العقائد المنسوبة إلى الرسل.

## ٣- مجمع نيقية: الدواعي والقرارات

كما أشرنا في النقطة من قبل فقد اتسم لاهوت بعيد المسيح حسب المصادر العقائدية المسيحية القانونية والأبوكريفية بحالة عميقة من الاختلاف والتضارب في خصوص أدق التفاصيل اللاهوتية وخصوصا القضايا الكبرى للديانة التي ترتبط بالإله المعبود وطبيعته ودوره في هذا العالم.

وقد ظهرت اتجاهات عقائدية كثيرة تتنافس فيما بينها على احتلال رأس الجالوت المسيحي، وأيها أقدر على احتواء الساكنة القلقة بين عقائد الوثنية وعقائد الأديان المسيحية النامية من مخلفات الهيلينية القديمة.

كالسيمونية والباسيلية والكيرينتوسية والكاربوكراتية والحشتائية والنيقولاوية وغيرها كثير جدا، وكلها يصعب علينا من الناحية العلمية التفريق بين المسيحي منها من المهرطق لأننا في هه المرحلة لم تتأسس بعد الكنيسة المؤسساتية بل كانت كل هذه الطوائف متخندقة في جب الكنيسة المسيحية الأم والتناحر بينها قائم إلى يومنا هذا لم يخبأ له حال.

وبعد تنصر الإمبراطور قسطنطين دعا إلى مجمع عالمي للفصل في القضايا الكبرى والاقتراع على طبيعة الإله والكتب المقدسة وقانون الإيمان والخلاص...الخ آنذاك تم تحديد ايمان الخلاص وما عداه اطلق عليه مصطلح الهرطقة بمعنى الخروج عن الإيمان الصحيح الأرثوذكسي.

## ٢-أ-دواعي مجمع نيقية سنة ٣٢٥م

أهم المجامع المسكونية هي الأربعة الأولى وهي التي أسست لعقيدة التثليث ووضعت لبناتها الأولى وهو ما سمية بمجمه مدينة نيقية التركية الذي انعقد سنة ٣٢٥ميلادية.

فقد اشتد الاختلاف بين المسيحيين حول شخص المسيح عليه السلام أهو:

أ- رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكبر.وهو قول تاودوطوس الدباغ البنطي وارتيمون وكيرينتوس وأبيون وتاودوطوس الصراف (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٥).

ب- أم أن له بالله صلة خاصة اكبر من رسول فهو من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب ولكن ذلك لا يمنع انه مخلوق لله لأنه هو كلمته. وهو قول القديس أبيون وهو من تلامذة القديس بطرس (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ١٦).

د- وقائل بأنه اله فهو الإله المتجسد. بولس ومرقيون١٥٠ميلادية وبرديصان السرياني (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٤).

ذ- وقائل بأنه إله مخلوق ناقص الألوهية وهو خالق العالم، وهو قول تاسيانوس (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢١) وآريوس ويوسيفيوس النيقوميدي وهو قول هابيل (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٣).

ح- ومن قائل بأن المسيح صورة هيولية لا جسدية مادية للإله. وهو قول تاسيانوس ويوليوس كاسينوس رأس شيعة الدوشاتين (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢١).هابيل من أهل القرن الثاني الميلادي (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٣).

خ- وزاعم أن المسيح هو من نسل شيث أو هو النبي شيث المتجسد. هو هول الشيتيين هم فرع عن الوالنتوسية سنة ١٤١ ميلادية (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٠)

ن- ورافض لعبادة الله غير المنظور وعابد للعناصر الأربعة-الطبيعة-، وهو قول بروبيدكوس (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٠).

ش-ومؤمن بإلهين، إله الشر إله العهد القديم وإله الخير إله العهد الجديد والمسيح بشر مثل البشر. هو قول مارسيون (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٢)

ع- وآمن آخر أنه تجسيد لله وفضل نفسه على الرسل ودعا الناس إلى عبادته، وفرض صيامات وطقوسا خاصة. وهذا هو مونتانوس من أهل القرن الثاني. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٣).

غ- وقائل سنة ٧٣ ميلادية: إن الله لم يخلق العالم والمسيح ليس الها، والشريعة اليهودية ضرورية للخلاص. وهو قول المبجل ميناندروس (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ١٥).

ر- المسيح لم يخلق العالم، ولكن خلق العالم بسبب اقتران الروح القدس بزانية التي ولدت أربعة أيونات-أرواح الهية أقل من الآلهة- فولد من هؤلاء الأربعة أيونات الأيوني الشرير فخلق الآلهة والملائكة والناس وسبعة أرواح الشياطين. وهو قول النيقولاويين من أهل القرن الأول الميلادي (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ١٨)

ز- زعم باسيليدس أن العالم خلقه الآب المدعو بابراساس الذي خلق نوس يعني الفهم الذي خلق اللوغوس أي الكلمة الذي خلق فروناسيس أي الفطنة وهي برأت صوفيا وديناموس أي الحكمة والقدرة اللتين فطرتا الملائكة وهم خلقوا السماء الأولى وبعض ملائكة آخرين وهؤلاء خلقوا أيضا سماء ثانية وعلى هذا النسق تصولوا إلى أنهم صوروا ثلاثمائة وخمس وستين-٣٦٥- سماء بمقدار

ايام السنة وكان اله اليهود رئيس ملائكة الرتبة الثانية. ولما أراد الاستلاء على جميع القبائل ثار عليه جميع الرؤساء فأرسل الله نوس ابنه البكر لينقذ الناس من الملائكة الذين خلقوا العالم. ونوس هذا هو المسيح يسوع. وكان قوة هيولية وكان يتشح ما شاء من الهيئات. وأنه أخذ صورة سمعان لما أرادوا صلبه فصلب سمعان القروي لا يسوع الذي صعد إلى السماء دون أن يراه أحد[١].

ف- وزعم أحد المصريين سنة ١٤١ ميلادية أن العالم خلقته الأيونات وأنكر تجسد المسيح وزعم ان جسده أتى من السماء. وهو قول والتينوس (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ١٩)

وممن دخل في هذا الجدل الديني أيضاً فلاسفة لهم أراء فلسفية، أرادوا أن يفهموا ما اعتنقوه جديدا على ضوئها وعلى مقتضى منطقها.

وكانت تلك الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات الرومانية لأنهم شغلوا بدفع الأذى ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث وكانوا يستترون بدينهم ولا يظهرونه ويخفون عقائدهم ولا يعلنونها حتى إذا ما رزقوا الأمان ظهرت وبرزت على السطح.

لقد كانت أصول العقيدة المسيحية، إبان المرحلة التي سبقت مجمع نيقية لا تزال في الطور الضبابي، إذا أمكن القول. لم تكن الحقائق الإلهية قد أصبحت بعد تلك النجوم الثابتة التي ستشع بريقها في القرون اللاحقة... وسجالات تلك الحقبة كانت لا تزال تنحني جانبا مسألة الثالوت، التي ستثير لا حقا جدالات عنيفة جدا، فلن يعلن بروزها، قبل ظهور الآريوسة وإدانة مجمع نيقية الأول (لهاويلتر، ٢٠٠٧، صفحة ٤٧).

كما أوجد فريدرخ أوفربيك *F. Overbeck* أستاذ التاريخ الكنسي في جامعة بال،

---

(١) - وهذا قول باسيليدس الإسكندري وهو من أهل القرن الأول الميلادي. ومعتقده في هيئات المسيح الهيولية موجودة في إنجيل يهوذا الأسخريوطي القبطي واتخاذه لصورة سمعان القروي موجودة في رؤيا شيث من مخطوطان نجع حمادي.

منعطفاً أساسياً في تاريخ المسيحية حين أوضح أن الفراغ الأساسي للعقيدة المسيحية وغياب أي موضوع متجانس اضطرها، لكي تتمكن من الاستمرار، إلى الاستحواذ على العقائد والفلسفات السائدة آنذاك وتنصيرها وفقاً لكل عصر، من القرون الأولى حتى القرن التاسع عشر، حينما بدأ النقد العلمي والتاريخي... وما يؤكده أوفربيك عن وجه حق هو: «أن رسالة يسوع كانت التبشير بالملكوت فقط، وحينما لم يتحقق هذا الملكوت واختفت فكرة انتظاره بين المسيحيين، فقدت المسيحية كيانها ولم تعد ذات موضوع، وأن مصداقية الأناجيل لم تعد باقية إلا في الأوساط الكنسية الأصولية».

ستتطور تلكم النماذج من المعتقدات الأولية من كلا القرنين الأول والثاني الميلادي لتأخذ أشكالا أكثر تعقدا وأنحى نحو الفلسفة اللاهوتية منها إلى اللاهوت المحض.

فظهر مذهب سابيليوس وبولس السميساطي وماني وترتليانوس وأريجانوزس وبوفاسيانوس وآريوس وغيرهم. ولعل أهم موضع لاهوتي طرح في جيل القرن الثالث هو قضية الطبيعة المزدوجة أو المفردة للمسيح وبدت الموضوع الكثر إثارة للخلاف من التفاصيل الأخرى.

وفي الواقع الجدل اللاهوتي لم يزل مستمرا منذ عهد الرسل، والخلافات اللاهوتية ابتدأت بينهم واستمرت إلى يومنا هذا، يقول ج. يلتز «ومن بين آباء الكنيسة، كان أسقف أنطاكيا أغناطيوس أول من اتهم الهراطقة، في نهاية القرن الأول، بانتهاك وحدة الكنيسة. ففي رسائله، يهنئ الأفسسيين على عدم تقبل عقائد باطلة، ويوصي التراليين بالابتعاد عن الدوستية-تلك النبتة الغريبة التي تشكل الهرطقة-.وفي القرن الثاني كتب الشهيد يوستينيانوس بحثا عن الهرطقات يصف فيه من يستلمون لها ب-فاقدي الإيمان-و - الزنادقة-و -المجدفين-.وفي كتاب من النوع عينه كتبه في الفترة عينها أسقف ليون إيريناوس، يبدو هذا الأخير أقل عنفا، وقد حذا حذوه في ذلك في القرن الثالث، أوريجانوس وترتيليانوس. هؤلاء المشهورون الثلاثة يكتفون بإعلان أن الهراطقة، الذين ينسبون أنفسهم كذبا إلى المسيح يسيؤون إلى تعاليم الكنسة المألوفة (ويلتر، ٢٠٠٧ صفحة ٢١).

في القرن الثاني يُعلن القدّيس إيريناوس على وجود أربعة أناجيل رابطًا إيّاها بأربعة جهات المسكونة، والأربعة رياح الرئيسيّة، والأربعة وجوه للكاروبيم، قائلاً: لم يكن ممكنًا

أن تكون الأناجيل أكثر أو أقل ممّا هي عليه في العدد. فإنه إذ يوجد أربعة أركان للعالم الذي نعيش فيه وأربعة رياح رئيسيّة، وقد انتشرت المسيحيّة في العالم كله، ولما كان الإنجيل هو عمود الكنيسة وقاعدته١تي٣: ١٥ وروح الحياة، بهذا كان من اللائق أن يوجد للكنيسة أربعة أعمدة فتتنسّم عدم الفساد من كل ناحية، وتنعش البشريّة أيضًا.

نرى أنه من المفيد الحديث عن بعض المعتقدات اللاهوتية الفلسفية التي ظهرت خلال القرن الثالث. وأكتفي هنا بالسميساطية المؤنسة للمسيح التي كانت في صراع شديد مع التيارات المؤلهة. ويرى القديس بولس السميساطي بطريك أنطاكية، أن الله واحد، أي أقنوم واحد، وفي هذا الأقنوم يمكننا أن نميز بين اللوجوس والحكمة، وهما عبارة عن صفتين وليسا أقنومين. خرج اللوجوس[(١)] من الله أو انبثق منه منذ الأزل، وهو الذي كان

---

(١) لوغوس: وهي من أشد الكلمات أهمية وأكثرها غموضا في الفكرين الغربيين الديني والفلسفي، إذ تدل في سياقات شتى على مدلولات متعددة، كالخطاب، اللغة، العقل الكلي، كلمة الإله، من بين معان أخرى.
«اللوغوس» أي «الكلمة» هو اللقب المقابل للقب «الابن» عند آباء ما قبل نيقية، ليشرحوا به علاقة الابن بالآب كعلاقة تنأى عن أي رباط مادي، أو في المقابل تحمي أي انفصال للابن عن كيان الآب. فـ«كلمة الله» هو صفة الله الذاتية، وصفته الجوهريّة بآنٍ واحد. وبناء على ذلك، يكون الابن باعتباره صفة ذاتيّة لله –والله ذات واحدة– غير منفصل عنه، باعتباره صفة جوهريّة فيه. ولأن الله جوهر واحد فهو فيه وغير خارج عنه.
وفي ذلك يقول العلّامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤ م.): {كما تخرج الكلمة من العقل دون أن تمزّقه، أو تُحسب الكلمة منفصلة أو منقسمة عن طبيعة العقل، هكذا وعلي هذا النمط ينبغي أن ندرك علاقة الابن بالآب الذي هو صورته}. فالله الابن هو العقل الأزلي، والكلمة الأزلي، لأن الله أزلي في إدراكه. واللوغوس كنطق الله صار وسيط الخلق من العدم عندما قال الله ليكن فكان، وهو ما نقرأه عند الشهيد يوستينوس مثلًا.
والمسيح هو قوة الله وحكمة الله، وهما صفتان أزليتان في الله، لأن الله لم يكن قط بدون حكمة أو بدون قوّة كما يذكر القدّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩ م) وكلمة «لوغوس» كانت معروفة من قبل في الآثار الوثنيّة واليهوديّة: وأول استخدام لها كان في كتابات هيراقليطس *Heraclitus* الأفسسي حوالي سنة ٥٠٠ ق.م.
وعند فيلو كان اللوغوس هو «العقل الإلهي» الذي يحكم العالم، وهو الوسيط بين الله والكون المادي.
أما أول من استخدمها في العهد الجديد فهو القدّيس يوحنا اللاهوتي. ولكنه استخدم الكلمة بطريقة جديدة أبعد بكثير من فكر الأقدمين عنها. واستخدمها أيضاً القدّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧ م.). أما العلّامة كليمندس الإسكندري (١٥٠- ٢١٥ م.) فجعله المحور الرئيسي في تعليمه، حتي جاء القدّيس أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣ م.) فربط ربطا محكمًا وكاملًا بين هذا اللقب وبين تعليمه عن الفداء والخلاص.
ولازال هذا الاصطلاح «اللوغوس» مستخدمًا حتي اليوم في تسبيح الكنيسة القبطيّة، كما في ثيؤطوكيّة الاثنين والثلاثاء، كمثل قولنا: «كلمة (لوغوس) الله الحي الذي للآب، نزل ليعطي الناموس علي جبل سيناء» وأيضًا: «يسوع المسيح الكلمة (لوغوس) الذي تجسد بغير تغيير وصار إنسانًا كاملًا».

يعمل في الأنبياء، وأيضاً في يسوع الذي وُلد من العذراء، أي أن يسوع إنسان مثلنا تماماً، مع أنه أعظم من موسى والأنبياء، ولكنه إنسان كامل، وقد حلّ اللوجوس في هذا الإنسان يسوع لذا لابد من التمييز بينه وبين يسوع. فاللوجوس أعظم من يسوع لأن يسوع بشري مثلنا، ويقول أن كلمة الإله حل فيه بعد ولدته من العذراء ونشط بعد حلول اللوجوس على يسوع وقت عماده وارتبط به برباط المحبة القوية.

وبفضل رباط المحبة هذه استطاع يسوع أن ينتصر ليس فقط على الخطيئة بل أيضاً على خطيئة أجداده، لذا أصبح فادياً ومخلصاً لأنه تمّم مشيئة الله بطريقة كاملة، وبسبب أتحاد الكلمة الإلهية بهذا الإنسان يمكن القول أن المسيح هو الإله وليس بمعناها الحقيقي، ونشأ عن هذا المعتقد معتقد آخر وهو أنه كان في المسيح أقنومان وابناء للإله أحدهما بالطبيعة والآخر بالتبني، وبذلك أنضم إلى سابيليوس في انكار الثالوث الأقدس بقوله يوجد إله واحد تحسبه الكتب المقدسة بالآب وأن حكمته وكلمته ليست اقنوماً بل أنها في العقل الإلهي بمقام الفهم في العقل الإنساني.

وظل ما تقدم اسباب عامة مهدت وبإلحاح إلى ضرورة الفصل في الأمور الخلافية الكبرى خصوصا وظهور الآريوسة-نسبة إلى القس آريوس- وانتشارها الواسع في أرجاء الإمبراطورية الرومانية بدأ يهدد الكيانات العقائدية الأخرى، التي بدأت في التعاون من أجل القضاء عليها ومحاربتها.

## ٢-ب- السبب الخاص وآراء آريوس:

كان هذا الرجل في الإسكندرية مصر وقد أخذ على نفسه مقاومة التيارات المؤلهة للمسيح، فيما تدعو إليه من ألوهية المسيح فقام محاربا ذلك مقرا بوحدانية المعبود منكرا ما جاء في بعض الأناجيل الخاصة بالمذاهب المؤلهة، مما يوهم تلك الألوهية..

ومن أقواله: «أن الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الآب إذ لم يكن الابن» وكان يقول: الآب كان إذ لم يكن الابن، ثن أحدث الابن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق. ثم فوض الآب إلى الابن الذي يسمى الكلمة الأمر فكان هو خالق السماوات

والأرض وما بينهما كما قال في إنجيله المقدس: قد اعطيت كل سلطان على السماوات والأرض. فكان هو الخالق لهما بما أعطي من ذلك. ثم تلك الكلمة تجسدت فيما بعد من مريم العذراء ومن روح القدس فصار مسيحا واحدا (ابن بطريق، ١٩٠٥ صفحة ١٣٧).

ولم يكن بدعا في القول بهذه الفكرة بين المسيحيين بل إنها كانت معروفة مشهورة من قبله كما نقلناه من قبل.

وكان لآريوس أنصار في الإسكندرية، وكذلك ناصرته وآزرته كنيسة أسيوط، فما كان من بطريرك الإسكندرية إلا أن طرده ولعنه وزعم انه رأى المسيح في المنام يأمره بذلك وسبب استخدامه لهذا الأسلوب هو عدم مقدرته على مجادلة آريوس الذي سينتصر عليه بالحجة ولا شك.

غير أن هذا النفي لم يجد في القضاء على رأي آريوس فلما ولي أمر الكنيسة بطريرك آخر اسمه الإسكندر أخذ يعالج المسالة بنوع من الحيلة والصبر ولكن ذلك لم ينفع مع آريوس الذي غادر الإسكندرية إلى فلسطين.

وفي هذه الفترة كان الخلاف محصوراً بين آريوس وكنيسة الإسكندرية وكان لآريوس مناصرون داخل مصر وخارجها ككنيسة أسيوط وكنيسة فلسطين وكنيسة مقدونية ونيقوميديا...الخ، وهذا يدل على ذيوع وانتشار القول بعدم ألوهية المسيح في تلك الفترة.

فلما وصل الأمر إلى هذا الحد تدخل قسطنطين إمبراطور الرومان في الأمر بناء على اقتراح قدمه هوسيوس أسقف إسبانيا، فأرسل كتابا إلى آريوس والإسكندر بطريرك الإسكندرية يدعوهما إلى الوفاق ثم جمع بينهما ولكنهما لم يتفقا فجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

ويقول ابن البطريق ما نصه « بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان فجمع البطاركة الأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة وكانوا مختلفين في الآراء والأديان » (ابن بطريق، ١٩٠٥).

لقد أهين آريوس كثيرا وأتباعه من مكائد الكسندروس والمثلثة، وقد حرم عدة مرات

لدن مجامع صغيرة وخاصة بهم، وفي الحرم الثاني، أرسل آريوس رسالة إلى قسطنطين الإمبراطور، يدافع بها عن نفسه، فلم يقتنع الإمبراطور بكلامه فكادت تقوم حربا أهلية جراء هذا الفعل خصوصا وأتباع آريوس بلغوا الشرق والغرب يقول القديس ألفونسوا ليكوري «أما الآريوسيون فغضبوا لذلك جدا حتى اتصل غضبهم إلى أن يهينوا تمثال الملك مخدشين صورة وجهه بالحجارة...على أنه لما رأى نمار الخصام تزاد سعيرا يوما فيوما اعتنى بالتئام مجمع عام ازالة لهذه الشؤون ورسم ان يكون مكان المجمع مدينة نيقية في بيتينيا تميزا لها عن نيقية في تراسة...» (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٥٨)، إذن فالمجمع أقيم لهدف سياسي وليس ديني، ابتغاء الأمن الداخلي، وأيضا خوفا من انتفاضات جديدة على القيادة نظرا للتوسع الرهيب للآريوسية. وهذا ما سيفسر كما سنرى تأييد مجمع نيقية بضغط من الإمبراطور لمثلثة بدل المؤنسة-كما سنرى فيما بعد-.

كان المدعوون للمجمع سنة ٣٢٥ ميلادية مختلفو العقائد والمذاهب، أهمها كما لخصها البطريرك افتيشيوس ابن بطريق، ما يأتي:

١. أنه وأمه إلهان من دون الله. البربرانية ويسمون «المريميين»

٢. المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار. سابليوس وشيعته.

٣. لم تحبل به مريم وإنما مر في بطنها مرور الماء في الميزاب. البيان وأشياعه.

٤. المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وابتداء الابن من مريم، اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، ولذلك سمي ابن الله. بولس الشمشاطي وأشياعه.

٥. ثلاثة آلهة لم تزل: صالح وطالح وعدل بينهما مرقيون وأصحابه.

٦. المسيح إله. بولس الرسول وال٣١٨أسقفاً (ابن بطريق، ١٩٠٥ صفحة ١٣٥).

## ٢-ت- عدد المجتمعين:

اختلفت الأقوال في عددهم:

١. فالقول المشتهر أنهم ٢٠٤٨ (ابن بطريق، ١٩٠٥ صفحة ١٣٥).

٢. ٣١٨ أسقف وحشد كبير من رجال الدين النقيوسي، الفصل الثامن والسبعون (الكنسية، ٢٠٠١ صفحة ٥٠).

٣. ٣١٨ أسقفاً ومعهم عدد من المفكرين والفلاسفة ويقارب عدد الحضور ٢٠٠٠ شخص زكي شنودة في تاريخ الأقباط.

٤. ٢٧٠ زكي رستم في كنيسة مدينة الله.

٥. ٣٠٠ المصدر السابق.

والذي يظهر: أن عدد المجتمعين كان يزيد على ال٢٠٠٠من رجال الدين من البطاركة والقساوسة وفلاسفة ورهبانا وغيرهم. كما أن السؤال لم يزل مطروحا عن كيفية انتقاء المدعوين؟ لأنه من المؤكد أنه لم يستدع كل ممثلي المسيحية في المعمورة من الأساقفة والقساوسة، خصوصا الكنائس المسيحية الصغيرة والتي لا تتمتع بامتداد أفقي واسع.

لقد كانت ألوهية المسيح ابن الإنسان أهم مسألة مثيره للجدل في ذلك الزمن. وبالنظر إلى عقائد القساوسة الحضور في مجمع نيقية كما نقلها لنا البطريرك ابن بطريق -والتي مرت معنا سالف- فغننا نتبين الغياب السحيق للمئات من الطوائف المسيحية التي سجلها التاريخ الكنسي نفسه والتي عرفت فيما بعد بالمذاهب المسيحية الغنوصية. فأين هم ممثلو الحشتائيين عبدة الحية المقدسة، وعبدة سراكاس والشيثيين والكاربوكراتيون والمونتانيون...الخ

لقد كان الانتقاء القسطنطيني النيقاوي للأساقفة ممنهجا، لإعطاء الأغلبية الاقتراعية للمؤلهة على حساب المؤنسة والطوائف الجامعة بين المذهبين وقد كانوا أكثرية في العالم المسيحي آنذاك وآريوس نفسه يؤكد ذلك في رسالته إلى صديقه أوسابيوس أسقف نيقوميديا

وهو يشتكي له اهانة المؤلهين له برئاسة الكسندروس وأن مذهبه هو مذهب غالبية مسيحيي شرق الإمبراطورية قائلا...حتى طردنا من المدينة كأننا كافرون بالله لأننا لا نتفق معه في اعلانه الجهاري بأن الله ازلي والابن ازلي وبأن الآب دائما آب والابن دائما ابن من الله ذاته. وبما أن اخاك **اوسابيوس القيصري وتيودوتوس وبولينوس واثناسيوس واغرغوريوس واتيتس وكل أهل الشرق** يقولون أن الله كان قبل الابن وبدون بداية فهم محرومون... (الشماس القمص، ١٩٢٤ صفحة ١٤٣). وإلا فمن الناحية الإيمانية، فمجمه نيقية أول تجربة انسانية تقترع على الإله، بينما الإيمان هو شيء قلبي داخلي خاصة بكل فرد. إنها السياسة التي توجه اختيارات الألوهة زمن النيقاوية، وأينما حلت السياسة في الدين إلا وأفسدته وأحدثت ظلما ستجني الأجيال القادمة تبعاته. مع أننا لا ندري على وجه اليقين ما حدث بالفعل وعدد المدعوين وتفاصيل انتمائهم الديني، لأننا نستقي من مصادر الكنيسة بعد تقنينها في مجمع نيقية، ومن الطبيعي أن يتم حذف كل الجدالات والآراء المنافسة للاهوت الكنيسي الفتي. مع أنه أبقى على شواهد كثيرة لإقصاءات عقائدية كثيرة ومتوقعة.

بدأ المجمع اعماله بانعقاد الجلسة الاولى فكثر الجدال واللغط والغضب وانقضت الجلسة الاولى بدون جدوى وفي اليوم التالي تقدموا للمناقشة فوقف آريوس وقال «ان الابن ليس مساويا للاب في الازلية وليس من جوهره وان الآب كان في الاصل وحيدا فاخرج الابن من العدم بإرادته وان الآب لا يرى ولا يكيف حتى للابن لان الذى له بداية لا يعرف الأزلي وأن الابن له لاهوت مكتسب». فحال سماع الآباء هذه الكلمات ضجوا ضجيجا هائلا وصموا اذانهم كيلا يسمعوا كلامه.

واخذ آريوس يدافع عن معتقده فانبرى له اثناسيوس وقال ما مجمله «إن الابن دون الآب لكونه تجسد كما جاء «لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون لأنى قلت انى ماض الى الآب الن ابى أعظم منى «أي انه بناسوته يمضى الى الآب الذى هو أعظم من ناسوت الابن اما لاهوته فينظر في قوله «انا والآب واحدا» وان الابن بولادته الأزلية من الآب قد ملك كل سلطان وقال ان المسيح تكلم في مواضع كثيرة بحسب كونه الها صار انسانا».

ورد عليه آريوس في كلام مجمله «ان الابن قال ابى أعظم منى ومعنى ذلك ان الابن اصغر ولا يساوى الآب في الجوهر، وقال ان المسيح قال «اعطيت كل سلطان في السماء والارض ومعنى ذلك انه نال السلطان من ابيه لأنه أعظم منه وغير مساو له وقال ان المسيح نسب لنفسه عدم معرفة ساعة الدينونة فاذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون الها؟، وقال أن المسيح قال أنا لا اقدر أن اصنع مشيئتي بل مشيئة من أرسلني، فاذا هو عبد للاب ودونه، واستشهد بيوحنا الذى قال في بشارته عن الابن:كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فهذا القول يدل على ان الابن الة استخدمها الآب لصنع الخلائق فالابن اذا ليس الها خالقا -وكثر الجدال في هذا المجمع فبعضهم سائل اذا كانوا يعترفون ان الابن ليس مخلوقا بل هو قوة الآب وحكمته وصورته وانه هو الله حقا فنظر بعضهم إلى بعض وتشاوروا همسا ثم قالوا اننا نوافق على ذلك لأننا نحن البشر ندعى صورة الله ومجد الله وأشياء كثيرة يقول عنا الكتاب انها قوته حتى ان الجراد سميت بقوات الرب واما من جهة القول بأنه إله حقيقي فلا مشاحنة فيه إذ انه جعل أو تعين هكذا ولم يلق أحد من الفريقين اية عبارة يعبر بها عن فكرة الا وقام الفريق الاخر بإضعاف قوتها ونفيها. فاقترح اثناسيوس ان تضاف كلمة *homo-ousion* أي مساو في الجوهر او ذو جوهر واحد للتعبير عن هذه الحقيقة بطريقة موجزة واضحة فعارض اليوسابيون في استعمال هذه اللفظة بدعوى انها ليست من الكتاب وغير ملائمة وقابلة للتأويل ثم اقترحوا استبدالها بلفظة *homi-ousion* أي مشابه في الجوهر والفرق بين الكلمتين حرف واحد وهو «يوتا» باليونانية والقبطية ولكن ما أعظم الفرق بين اللفظين في المعنى وبقدر معارضتهم بقدر ما ظهر للأغلبية انها العبارة المقصودة بالذات للتميز بين من يؤمن بصحة لاهوت المسيح وبين من يعتقد بما هو اقل من ذلك فصودق على اقتراح اثناسيوس بأغلبية هائلة ولم تزد الاقلية عن سبعة عشر صوتا وقوبلت هذه النتيجة بالسرور التام وتقرر ان يكون قانون الايمان هكذا:

**«نؤمن باله واحد الله ضابط الكل الخالق السماء والارض ما يرى وما لا يرى ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور**

**اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر الذى به كان كل شيء هذا الذى لأجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطى تألم وقبر وقام من بين الاموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد الى السموات وجلس عن يمين ابيه وايضا يأتي في مجده ليدين الاحياء والاموات الذى ليس لملكه انقضاء».**

## ٢-د-القرارات

ويلى هذا القرار حرم آريوس واتباعه وحرم بدعة سابليوس الذى اذاع آريوس ان معارضيه يقبلونها وبذلك اوضح المجمع النقطتين الاساسيتين في التعليم عن كلمة الله وهما تميز الاقانيم في اللاهوت وصحة الوهية المسيح

وبعد ان حكم المجمع بحرم آريوس وبدعته امر بنفيه وبحرق كتبه واعدام من يتستر عليها وارسل المجمع الى كنائس إفريقية يقول «قبل كل شيء وقع البحث امام الملك قسطنطين الكلى التقوى في اثم آريوس ورفاقه وعدم تقواهم وهكذا ايضا فلتكن اقواله واعماله وعباراته التجديفية التي استعملها لأنه قال مجدفا ان ابن الله من القدم وانه وجد زمان لم يوجد فيه وقال ان ابن الله من تلقاء ارادته قادر على الفضيلة والرذيلة وقال إنه مخلوق وعمل فكل هذا حرمه».

ولما انتهى المجمع من القضاء على آريوس صرف همه للفصل في مسائل اخرى:

ا/ تحديد يوم عيد القيامة فقرر بالإجماع ان يكون العيد المذكور في موعد واحد بجميع البلدان أي يوم الاحد الذى يلى البدر الذى يكون فيه عيد اليهود حتى لا يعيدوا قبل اليهود او معهم.

ب/ ثم نظر المجمع في امر شقاق ميليتس وامر بحفظ الحقوق والرتب.

ج/ النظر في معمودية الهراطقة تلك المشكلة القديمة فاعترف المجمع بمعمودية واحدة وحدد ان لا يقبل بعض من الهراطقة لا بالمعمودية لان معموديتهم

المعروفة اسما هي بالفعل غير صحيحة لعدم ارتباطها بالاعتراف بالثالوث الاقدس والبعض الاخر ان يقبلوا بلا معمودية لكون المعمودية المتممة عليهم لبثت غير فاسدة ولا ممسوسة من آرائهم لتعلقها بمواضيع اخرى لا تمس المعمودية

د/ حكم على ذوى الكهنوت ان يكونوا من اصحاب الزوجات وقد اراد جل الاعضاء ان يقرروا ضرورة تبتل كل رتب الاكليروس الا ان رائيهم لم يقبل وكان اشد معارضيه القديس بفنوتيوس اسقف طيبة الذى اشير اليه بانه فقد عينه اليمنى ويده اليسرى في الاضطهاد وهو اعزب اذ صرح بانه ليس من الواجب التثقيل على ذوى الكهنوت خشية حدوث ضرر للبيعة عوض النفع فاثر كلامه في الجميع لانهم عرفوا انه لا ينتفع من القرار أو عدمه وأكتفي المجمع بالحكم على الكهنة المترملين بعدم إعادة الزيجة وعلى ذلك سن المجمع عشرين قانونا في تلك الخصوص لا تزال موجودة إلى عصرنا هذا.

## ٢-ذ-موقف قسطنطين من المتناظرين

اجتمع أولئك المختلفون وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من ممثليها فعجب اشد العجب مما رأى وسمع، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من وأخلى دارا للمناظرة ولكنه جنح أخيرا إلى رأى بولسية نظرا لاتفاق ٣١٨ على تأليه المسيح ووحدة جوهر معه، فعقد مجلسا خاصا للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي.

وهكذا يتضح لنا انحياز قسطنطين لرأي بولس وأشياعه مع أنهم لم يشكلوا الأكثرية، كما أن معيار الترجيح ليس مبنيا على **العلم والحجة والبرهان**، وإنما على التصويت والأكثرية المتماسكة وهذا لا يعبر بالضرورة على الصوابية. مع أن أكثر الطوائف المسيحية الأولى كانت منكرة لألوهية المسيح خصوصا خلال القرنين الأول والثاني. يقول ابن البطريق « وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما وجلس في وسطهم واخذ خاتمة وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين فباركه الملك وقلده

سيفه وقالوا له اظهر دين النصرانية وذب عنه ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع منها ما يصلح للملك إن يعلمه ويعمل به ومنها ما يصلح للأساقفة إن يعملوا به » (ابن بطريق، ١٩٠٥ الصفحات ١٣٥-١٣٦).

بعد أن تداول المجتمعون الآراء في ذلك المجمع خرجوا بتقرير ألوهية المسيح عليه السلام وأنه ابن الله - أي من ذات الله، وأنه مساوٍ لله، وأنه مولود منه غير مخلوق.

كما قرروا أن هذا الإله تجسد بصورة البشر لخلاص الناس، ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامته من الموت، كما تم التقرير في الأناجيل المعتمدة وإدانة باقي الأناجيل وحرقها. كما تم لعن آريوس وأنصاره وحرق كتبه وحرق الكتب التي تخالف هذه القرارات.

والذي يظهر أن هم الإمبراطور الذي دعم القرارات بقوة السلطان كان متجهاً إلى نقطتين:

- الأولى: إزالة الخلاف الذي يهدد امن إمبراطورتيه.-كما أسلفنا- (سحاب، ١٩٨٦ صفحة ٤٨).
- الثانية: إرضاء غالبية شعبه من الوثنين إضافة إلى أن فكره لا يزال وثنياً.

ورغم تأييد الإمبراطور ونصره لهذا القرار بالقوة إلا أن الكثير من الأساقفة لم يلتزموا به لما رجعوا إلى كنائسهم وأخذوا يبثون ما يعتقدونه حقاً ومنهم طبعاً آريوس وأصحابه، بل إن بعض المصادر تذكر أن الإمبراطور نفسه قد رجع عنه فيما بعد ومكن لآريوس بل إنه لما كان على فراش الموت عُمِّد على مذهب آريوس.

## ٢-ر- معالم عقيدة التجسد النيقاوي: نموذج القديس اثناسيوس

أ- عقيدة الثالوث الأقدس والتجسد:

هناك علاقة وثيقة في كتابات القديس أثناسيوس بين عقيدة الثالوث الأقدس وعقيدة الفداء والخلاص الذي تم بتجسد الله الكلمة وموته وقيامته. وهو يربط في كتاباته بين تعليمه عن شخص المسيح كأحد أقانيم الثالوث الأقدس وعمل المسيح ـ ابن الله وكلمته ـ الأقنوم الثاني كفادٍ ومخلص! فكلا العقيدتان متلازمتان ومترابطتان!

يرى أثناسيوس أن ألوهية المسيح الحقة والتي لا يشوبها شيء بالمرة لا يمكن التعبير عنها بالكلام أو وصفها في تعبيرات، بل هي حياة معاشة، وهذا يتضح بشدة في محاربته لأفكار الآريوسيين ومحاولته لإثبات ألوهية الكلمة في علاقته بتجسد الله الكلمة من أجل فداء وخلاص البشرية.

ففي الحقيقة لقد كان القديس أثناسيوس يرفض حتى أن يسمع مجرد كلمة عن «مسيح» طالما أن هذا «المسيح» لن يجيء بفداءٍ وخلاصًا للبشرية.

ومبتدئًا من بشارة الرسل وما ترتب عنها من تعليم الكنيسة، علّم أثناسيوس عن المخلص الحقيقي وعن عمله الخلاصي... كخلاص حقيقي. وفسر كيف أن المخلص لابد وأن يكون كائن حقيقي إلهي في جوهره، بل لابد وأن يكون إله لكي يكون له الإمكانية الحقيقية لهذا العمل الخلاصي ولهذا فعند أثناسيوس أن المنكر لوحدانية الابن مع الآب في الجوهر، هو في الوقت نفسه يقلل من قدرة الابن، ويضعه في صفوف المخلوقات. وينكر بالتالي ويشكك في الخلاص الذى تم بواسطة الابن، والتي هو في الواقع كان ضرورة حتمية لأجل الإنسان. وهذا النكران يقود ـ حسب رأى أثناسيوس ـ إلى عدم الاعتراف بربوبية الابن حسب روح الإنجيل وأيضًا لعدم الإدراك العميق لأبعاد وهول الفساد والهلاك الذى حل بالإنسان بعد سقوطه من ناحية، ومن ناحية يقود لعدم الاعتراف بإمكانيات الخلاص التي تمت بواسطة تجسد الله الكلمة والتي أعادت الإنسان إلى شركة الثالوث مرة أخرى.

سقوط الإنسان كان السبب الرئيسي لتجسد الله «الكلمة» وذلك لمحبته للبشر، يُعّلم القديس أثناسيوس أن السقوط كان نتيجة فعل حر للإنسان ومن النتائج السلبية المباشرة لهذا الفعل الحر بل وأهمها هو الموت والفساد نتيجة الموت الذى عم البشرية نتيجة لذلك. وهذا ما يوضحه في الفصول الأولى من كتابه تجسد الكلمة ليثبت أن السبب الأول لعملية التجسد هو القضاء على الموت وإعادة الإنسان للحياة الحقيقية. تلك الحياة التي فقدها الإنسان نتيجة المخالفة وتعدى الوصية الإلهية والبعد بالتالي عن الله وفقد النعمة الإلهية. وفي الفصل الرابع من نفس الكتاب يذكر «أن نزوله إلينا كان بسببنا، وأن عصياننا استدعى تعطف الكلمة لكي يسرع الرب في إعانتنا والظهور متأنسًا»..

ب-أزلية المشيئة الإلهية بشأن التجسد وهدفها

لقد كان في علم الله السابق إمكانية سقوط الإنسان ونتائجه. كذلك أيضًا عملية التجسد وحتميتها. هكذا ركز أثناسيوس في الفصل الأول من كتابه تجسد الكلمة. أن الله منذ بداية خطته خَلق العالم بالكلمة وأيضًا سوف يخلّصه بالابن، وذلك لأن صفات الله التي لا يمكن أن تتغير أو تتبدل لا تسمح بأن يؤخذ قرار التجسد وخلاص الإنسان بعد سقوطه. كأن الله قد فوجئ بهذا الأمر، بل كان هناك، مشيئة أزلية. ويعود القديس أثناسيوس ليوضح هذا الأمر عندما يشرح بعض آيات الكتاب المقدس في رده على الآريوسيين (القديس اثناثيوس ، ١٩٨٤ صفحة المقالة الثانية، الفصل ٧٥)، إذ يقول سورة.. لأنه رغم النعمة التي صارت نحونا من المخلّص قد ظهرت كما قال الرسول، وقد حدث هذا عندما أقام بيننا، إلاّ أن هذه النعمة كانت قد أعدت قبل أن يخلقنا بل حتى من قبل أن يخلق العالم. والسبب في هذا واضح ومذهل، فلم يكن من اللائق أن يفكر الله بخلاصنا بعد أن خلقنا لكي لا يظهر أنه يجهل الأمور التى تتعلق بنا. فإله الجميع إذًا عندما خلقنا بكلمته الذاتي ولأنه كان يعرف أمورنا أكثر منا ويعرف مقدمًا أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين إلا أننا سنكون فيما بعد مخالفين الوصية، وأننا سنطرد من الجنة بسبب العصيان ـ ولأنه وهو محب للبشر وصالح فقد أعد من قبل تدبير خلاصنا بكلمته الذاتي ـ الذى به أيضًا خلقنا. لأننا حتى وإن كنا قد خُدعنا بواسطة الحية وسقطنا فلا نبقى أمواتًا كلية بل يصير لنا بالكلمة الفداء والخلاص الذى سبق إعداده لنا لكي نقوم من جديد ونظل غير مائتين. كما أنه في تفسيره لما جاء في رسالة معلمنا بولس إلى أهل افسس «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح يسوع، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قدامه في المحبة قديسين وبلا لوم، إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح نفسه «أفسس ١ :٣ـ٥ يتساءل أثناسيوس استنكارًا كيف اختارنا قبل أن نُخلَق إن لم نكن ممثلين فيه من قبل كما قال هو نفسه؟ كيف سبق فعيننا قبل أن يخلق البشر إن لم يكن الابن نفسه قد «تأسس قبل الدهور» آخذًا

على عاتقه تدبير خلاصنا؟،القديس اثناثيوس، ١٩٨٤، صفحة المقالة الثانية، الفصل ٧٦، ويعطى مثالاً رائعًا لكي يثّبت هذا التعليم فيقول: «ولأن الله صالح وهو صالح على الدوام وهو يعرف طبيعتنا الضعيفة التي تحتاج إلى معونته وخلاصه لذا فقد خطط هذا، وذلك مثلما لو كان مهندس حكيمًا يريد أن يبني منزلاً فإنه يخطط في نفس الوقت كيفية تجديده مرة أخرى لو دُمر يومًا ما بعد أن تم بناؤه. وهو يعد لهذا من قبل عندما يخطط، ويعطى للقائم على العمل الاستعدادات اللازمة للتجديد. وهكذا يكون هناك استعداد مسبق للتجديد قبل بناء المنزل وبنفس الطريقة فإن تجديد خلاصنا قد تأسس في المسيح قبلنا، كي يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه، فالإرادة والتخطيط قد أُعدا منذ الأزل، أما العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء المخلص إلى العالم «.القديس اثناثيوس، ١٩٨٤، صفحة المقالة الثانية، الفصل ٧٦.

ت-التجسد في مواجهة الطبيعة البشرية الساقطة

كانت وصية الله لآدم يوم أن وضعه في الفردوس، ألاّ يأكل من شجرة معرفة الخير والشر محذرًا إياه أنه يوم أن يأكل منها موتًا يموت. يضع القديس أثناسيوس هذا النص كأساس كتابي وكبرهان على ضرورة وحتمية التجسد.. إذ أن الموت صارت له سيادة شرعية علينا من ذلك الوقت، ويفسر عبارة «موتًا تموت» قائلاً إن المقصود بها ليس مجرد الموت بل «البقاء إلى الأبد في فساد الموت» (القديس اثناسيوس، ١٩٩٨ صفحة تجسد الكلمة فصل ٣). ولأنه لم يكن ممكنًا أن ينقض الناموس، لأن الله هو الذى وضعه بسبب التعدي، أصبحت النتيجة في الحال مرعبة حقًا وغير لائقة، لأنه لا يمكن أن يكون الله كاذبًا، ولأجل تغيير هذا الوضع فإن توبة الإنسان لا تصلح إذ يقول بالحرف الواحد «لكن التوبة تعجز عن حفظ أمانة الله لأنه لن يكون الله صادقًا إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت لأنه تعدى فحُكم عليه بالموت كقول الله الصادق. ولا تقدر التوبة أن تغّير طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعهم عن أعمال الخطية». (القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ٧).

لقد كان الاحتياج إلى شيء أساسي وجوهري وحاسم لكي يعيد الإنسان إلى الوجود الحقيقي، إلى الحياة، إلى الشركة مع الله. كان هناك احتياج إلى التدخل الحاسم لكلمة الله من جديد. وكان حتمًا إذًا أن يتجسد الله الكلمة الذي هو وحده قادر على تصحيح هذه الأوضاع وإعادة الحياة وعدم الفساد إلى الإنسان» فلو كان تَعِدى الإنسان مجرد عمل خاطئ ولم يتبعه فساد، لكانت التوبة كافية. أما الآن بعد أن حدث التعدي، فقد تورط البشر في ذلك الفساد الذى كان هو طبيعتهم ونزعت منهم نعمة مماثلة صورة الله، فما هي الخطوة التي يحتاجها الأمر بعد ذلك؟ أو مَن ذا الذي يستطيع أن يُعيد للإنسان تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى إلا كلمة الله الذي خلق في البدء كل شيء من العدم؟ لأنه كان هو وحده القادر أن يأتي بالفاسد إلى عدم الفساد وأيضًا أن يصون صدق الآب من جهة الجميع. وحيث إنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، كان هو وحده القادر أن يعيد خلق كل شيءٍ وأن يتألم عوض الجميع وأن يكون شفيعًا عن الكل لدى الآب». (القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ٣).

ج- لقد صار الموت حتمية والتجسد ضرورة:

فلم يكن ممكنًا لله أن يتراجع عن حُكمِه على الإنسان بالموت إن أخطأ، ولم يكن أيضًا ممكنًا أن الله يهمل ولا يبالِ بهلاك البشرية وفنائها. فعدم الاهتمام كان سيُظهر الله وكأنه ليس صالحًا، والتراجع كان سَيُبيّن وكأن طبيعة الله غير ثابتة.

فإن كان الأمر هكذا، فقد صار الموت حتميًا، وتجسد كلمة الله وحده ضرورة.

وهنا يوضح القديس أثناسيوس لماذا كان لائقًا أن يتخذ الكلمة جسدًا بشريًا كأداة ليخلّص بها الإنسان، ويستبعد أي وسيلة أو طريق آخر، يمكن أن تكون وسيلة لفداء الإنسان وخلاصه:

فأولاً: يوضح عدم كفاية التوبة كي يعود الإنسان إلى عدم الفساد والخلود فيقول: «التوبة تعجز عن حفظ أمانة الله، لأنه لن يكون الله صادقًا إن لم يظل الإنسان في قبضة

الموت، لأنه تعدى فحُكم عليه بالموت كقول الله الصادق. ولا تقدر التوبة أن تغير طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعهم عن أعمال الخطية».(القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ٧ك).

إن مأساة سقوط الإنسان تكمن في أن ما فعله لم يكن مجرد عمل خاطئ، بل كان بالحرى عمل خاطئ تبعه الموت والفساد، لأنه وكما يقول القديس أثناسيوس: «لو كان تعدى الإنسان مجرد عمل خاطئ ولم يتبعه فساد؛ لكانت التوبة كافية» (القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ٣)، إن ما جعل التجسد ضرورة؛ هو أنه بعدما حدث التعدي على وصية الله» تورط البشر في ذلك الفساد الذي كان هو طبيعتهم، ونزعت منهم نعمة مماثلة صورة الله». هذه النعمة التي كانت تمكنهم من أن يبقوا في شركة الحياة وعدم الفساد.

ثانيًا: في موضع آخر يُجيب القديس أثناسيوس على الذين لا يرون ضرورة لتجسد الله الكلمة، بل ويهزؤون من ظهوره الإلهي بيننا، ويقولون: لماذا لم يُتمم الله أمر خلاص البشرية بإصدار أمر بدون أن يتخذ كلمته جسدًا، أي بنفس الطريقة التي أوجد بها البشرية؟ على هؤلاء يرد القديس أثناسيوس قائلاً: «في البدء لم يكن شيء موجودًا بالمرة، فكل ما كان مطلوبًا هو مجرد نطق مع إرادة إلهية لإتمام الخلق، ولكن بعد أن خلق الإنسان وصار موجودًا استدعت الضرورة علاج ما هو موجود، وليس ما هو غير موجود» (القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ٤٤). ثم يستطرد قائلاً: «لأن الأشياء غير الموجودة لم تكن هي المحتاجة للخلاص للتجسد، بل كان يكفيها مجرد كلمة أو صدور أمر، ولكن الإنسان المخلوق الذي كان موجودًا فعلاً وكان منحدرًا إلى الفساد، والهلاك هو الذي كان محتاجًا إلى أن يأتي الكلمة)» القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ٤٤).

ثالثًا: يشير القديس أثناسيوس إلى أنه لا البشر ولا الملائكة، كانوا قادرين على تجديد خلقة الإنسان على مثال الصورة، وذلك لأن الإنسان هو مجرد مخلوق على مثال

تلك الصورة، وليس هو الصورة نفسها، كما أن الملائكة ليسوا هم صورة الله). القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ١٣).

رابعًا: وأخيرًا يوضح القديس أثناسيوس أنه كي يصير كلمة الله معروفًا مرة أخرى بين البشر وبه يُعرف الآب، لم يكن التناسق بين أعمال الخليقة كافيًا، ولم تعد الخليقة وسيلة مضمونة بعد فيقول: «لو كانت الخليقة كافية، لما حدثت كل هذه الشرور الفظيعة، لأن الخليقة كانت موجودة بالفعل، ومع ذلك كان البشر يسقطون في نفس الضلالة عن الله» (القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ١٤). لقد سبق وأن أعطى الله للبشر إمكانية أن يعرفوه عن طريق أعمال الخليقة. أما الآن وبعد السقوط، فإن «هذه الوسيلة لم تعد مضمونة وبالتأكيد هي غير مضمونة لأن البشر أهملوها سابقًا، بل إنهم لم يعودوا يرفعوا أعينهم إلى فوق بل صاروا يشخصون إلى أسفل)». القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ١٤).

وبعد أن أوضح القديس أثناسيوس عجز كل من هذه الوسائل عن تحقيق الخلاص للبشرية، يكشف عن قدرة الكلمة وحده ـ الذي ظهر في الجسد ـ !على إتمام هذا الفداء العظيم فيقول: «إنه لم يكن ممكنًا أن يُحوِّل الفاسد إلى عدم فساد إلاّ المخلّص نفسه، الذي خلق منذ البدء كل شيءٍ من العدم، ولم يكن ممكنًا أن يعيد خلق البشر، ليكونوا على صورة الله إلاّ الذي هو صورة الآب، ولم يكن ممكنًا أن يجعل الإنسان المائت غير مائت إلاّ ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها. ولم يكن ممكنًا أن يُعلّم البشر عن الآب، ويقضى على عبادة الأوثان إلاّ الكلمة الذي يضبط الأشياء، وهو وحده الابن الوحيد الحقيقي». (القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ٢٠)

وفي عبارات يعطى المعنى لمفهوم الفداء حسب ما تُعلّم به الكنيسة الشرقية فيقول: «ولما كان من الواجب وفاء الدين المستحق على الجميع، إذ كان الجميع مستحقين الموت فلأجل هذا الغرض جاء المسيح بيننا. وبعدما قدّم براهين كثيرة على ألوهيته بواسطة أعماله في الجسد، فإنه قدّم ذبيحته عن الجميع، فأسلم هيكله للموت عوضًا عن

الجميع، أولاً: لكي يبررهم ويحررهم من المعصية الأولى، ثانيًا: لكى يثبت أنه أقوى من الموت، مُظهرًا جسده الخاص أنه عديم الفساد، وأنه باكورة لقيامة الجميع» (القديس اثناسيوس، ١٩٩٨، صفحة تجسد الكلمة فصل ٢٠).



# الفصل الثاني

## الأرطقات المسيحية: نحو إعادة اكتشاف اللاهوت المفقود

### ١-مشكلة الغنوصية

الغُنُوصيَّة من «غنوص» *gnōsis*، الكلمة اليونانية التي تعني «معرفة» أو «بصيرة». هي تسمية أُطلِقَتْ على حركة دينية وفلسفية سائبةِ التنظيم ازدهرتْ في القرنين الأول والثاني للميلاد. ولا يمكن تعقُّب الأصل أو الأصول الدقيقة لتلك المدرسة، على الرغم من إمكانية تتبُّع مؤثراتها أو مصادرها بالعودة إلى الماضي حتى القرنين الأول والثاني والثالث ق. م، مثل المقالات المبكرة للـ*Corpus Hermeticum* «المجموعة الهرمسية»، والكتابات العبرية الرؤيوية - وخاصة الفلسفة الأفلاطونية والكتب اليهودية المقدسة والفلسفة الهلنستية. في الحقيقة لا يمكن تقديم الغنوصية كديانة محددة، ولا كفلسفة علمية مجردة قائمة بذاتها، وإنما يمكن ذلك عن طريق الافتراض الأساسي الذي تقوم عليه الغنوصية وهو «الرغبة في المعرفة الحقة، لا كمجرد استدلال عقلي مجرد كالفلسفة، بل باتحاد العارف بالمعروف، وغايتها معرفة الله بهذه الصورة» (لوقا اسكندر، ١٩٩٧). وعلى الرغم من الطبيعة المتنوعة لمختلف الفِرَق والمعلِّمين الغنوصيين، فإن عناصر أساسية معيَّنة تجيز لنا تصنيفَ تلك الفِرَق في خانة «الغنوصية» أو «الغنوص». والعنصر الرئيسي بين العناصر السابقة هو طريقة محدَّدة لـ»رفضٍ للعالم مضادٌّ للكون» يقول فيريلين د. فيربوروج «اتخذ الناس موقفا جديدا نحو العالم والذي يضمن الشك في الوصول الى الحقيقة المتعلقة بالعالم. والحقائق الأخرى على طول الخطوط العقلانية» (فيربروج، ٢٠٠٥).

فهذا العالم - الكون المادي - وفقًا للغنوصيين، هو نتيجة لخطأ أصلي من جانب الكائن فوق الكوني، السامي الألوهية، الذي عادة ما يُطلَق عليه اسمُ صوفيا الحكمة أو في بساطة «الكلمة» *Logos*. هذا الكائن يوصف باعتباره الفيض الأخير لتراتبية إلهية، تُدعى

«الملأ الأعلى». أو «الكمال»، على رأسها يقيم الإلهُ الأسمى، الواحد المتعالي على الوجود. خطأ صوفيا - الذي يوصف كرغبة طائشة في معرفة الإله المتعالي - أدَّى إلى «أقْنَمَة» = تحويل إلى أقنوم رغبتها على هيئة مخلوق نصف إلهي، جاهل أساسًا، عُرِفَ بالديميورغوس من الإغريقية: *Dēmiourgos*، «الباري»، أو يلضباؤوث *Ialdabaoth*، هو المسؤول عن تكوين الكون المادي. هذه الصنعة الماهرة هي في الواقع محاكاة لعالم الملأ الأعلى؛ لكن الديميورغوس يجهل ذلك ويُعلِن نفسه بكلٍّ اعتداد بوصفه الإله الأوحد الموجود. عند هذه النقطة، يبدأ النقد التنقيحي الغنوصي للكتب المقدسة اليهودية، كما يبدأ الرفض العام لهذا العالم بوصفه نتاجًا للخطأ والجهل، ويبدأ افتراض وجود عالم أعلى تعود إليه النفسُ الإنسانية في المآل.

غير أن المرء ما يلبث أن يجد، بعد أن يقال كلُّ شيء ويُفعَل، أن خطأ صوفيا واستيلاد كونٍ أدنى هما حدثان يتبعان قانونًا محددًا للضرورة، وأن ما يُسمَّى ثنوية الإلهي والأرضي هو حقًّا انعكاسٌ وتعبيرٌ عن التوتر المعيَّن الذي يشكِّل كينونة الإنسانية - الكائن البشري. (القديس بطليموس)

### ١-١-السِّمة الفلسفية للغنوصية

الغنوصية، كنتاج فكريٍّ، تتأسَّس تأسيسًا راسخًا في الفعل الإنساني العام المتمثِّل في التفكر في الوجود. كان الغنوصيون معنيين بالأسئلة الأساسية عن الوجود أو عن «الوجود-في-العالم» *Dasein*، بمعنى: مَن نحن كبشر؟ من أين أتينا؟ إلى أين نتَّجه؟ - تاريخيًّا وروحيًّا (جوناس، ١٩٥٨ صفحة ٣٣٤). هذه الأسئلة هي من التفكير الفلسفي في جذره؛ إلا أن الإجابات التي تقدِّمها الغنوصية على تلك الأسئلة تتخطَّى التأمل الفلسفي إلى عالم العقيدة الدينية والتصوف. من المتعذِّر، على أية حال، فهمُ معنى الغنوصية فهمًا تامًّا دون البدء من المستوى الفلسفي، والتوجُّه وفقًا لذلك. وحيث إن أيَّ توجُّه نحو ظاهرة قديمة لا بدَّ أن يتمَّ دومًا عن طريق الأفكار وعادات الذهن المعاصرة، فإن مناقشةً تأويلية للتفكير الغنوصي، بتطبيقه على علم النفس والوجودية وعلم التأويل، ليست من غير طائل هاهنا.

فبمجرَّد أن نفهم، بقدر مستطاعنا، المضمون الفلسفي للأفكار الغنوصية، وكيفية ارتباطها بالقضايا الفلسفية المعاصرة، يمكن لنا حينئذٍ الدخولُ إلى البيئة التاريخية للغنوصيين بشيء من الثقة - ثقة خالية، بقدر الإمكان، من الافتراضات التفسيرية المسبقة المقحَمَة.

## ١-٢-علم النفس

مَن نحن؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تتضمن تعليلاً الكلمة لطبيعة النفس.؛ ومحاولةُ تقديم إجابة عن هذا السؤال قد سُمِّيَتْ «علم النفس» أو ممارسته - تعليلاً للنفس أو الذهن.، في اللغة اليونانية القديمة، كانت تدل في آنٍ معًا على النفس، كمبدأ الحياة، وعلى الذهن، كمبدأ العقل. لقد ميَّز كارل يونغ - اعتمادًا على الترسيمات الغنوصية الأسطورية - الوعي الموجَّه موضوعيًّا بالجزء المادي أو «الجسدي» من الجنس البشري - أي، بحسب الغنوصيين، ذلك الجزء من الإنسان المشدودَ إلى الدورة الكونية للكون والفساد والخاضع لقيود الجَبْر والزمن[1]. إن الإنسان الذي يتماهى مع العالم الموجود موضوعيًّا يؤوْل إلى بناء شخصية أو حسٍّ بـ«ذات»، فيكون، من حيث الأساس، متكلاً كليًّا على البُنى المتغيِّرة أبدًا للوجود الزمني. وما ينجم عن ذلك من انعدام أيِّ حسٍّ بالديمومة وبالاستقلالية يؤدي بمثل هذا الفرد إلى اختبار القلق بأنواعه كافة، وفي المآل، إلى الانصراف عن النماذج السرَّانية ذات المغزى الجمعي للوجود الإنساني لصالح الانكفاء على سياق ذاتي شخصي وخانق، تستهلك الحياةُ نفسَها في إطاره دون الرجوع إلى أيِّ مخطط أو نظام أوسع. والقنوط والإلحاد واليأس هي نواتج حياة كهذه.

غير أن هذه ليست هي النهاية الطبيعية للبشر؛ إذ وفقًا ليونغ وللغنوصيين، ليست الذات المبنية زمنيًّا هي الذات الحقيقية: الذات الحقيقية وإنما هي الوعي الأسمى الموجود والمتواصل فيما يتعدى كلَّ زمان ومكان الذي أطلق عليه يونغ اسم الوعي المحض أو الذات، في تمييز قاطع له عن «وعي الأنيَّة»، الذي هو الصورة المبنية والمحافَظ عليها

(١) راجع: كتاب يوحنا المنحول ٢٨: ٣٠.

زمنيًا للوجود المنفصل (يونـغ، ١٩٩٢ الصفحات ٥٥-٩٥). وهذا الشكل الأخير للوعي «الدنيوي» طابَق الغنوصيون بينـه وبين النفس.، بينما طابَقوا بين الـذات أو الوعي المحض وبين الـروح *pneuma* - بمعنى العقل المنعتق من سياقه وقيوده الزمنية. ولقـد كان لهذا التمييـز دورٌ هام في الفكـر الغنوصي؛ وقد أخذ بـه القديس بولس، بصفـةٍ أخص في مذهبه في القيامـة الروحيـة[١]. والأسـاس النفسـاني أو التجريبـي لهذا الـرأي، الذي سـرعان ما يتحول إلى موقف ميتافيزيقي أو أونطوثيولوجي وجودي-لاهوتي، هو الإقرار بعجز العقل البشـري عن تحقيق مسـاعيه العظمى مـادام خاضعًا للقانـون وللنظام الصارم لكوسـموس لا مبالٍ ومتعـالٍ. إن التمييز بين الروح والنفـس الذي يُترجَم إلى التمييز الأكثر أساسـية بين العقل والجسـم، وربما يحتِّم هـذا التمييز أصلاً يعيِّـن بداية موقف مُسْـتَعْلٍ ومخلِّصي تجاه الوجود والوجود الزمني بصفة عامة.

## ١-٣- الوجودية

تتضمن الخبرة الأساسية للوجود التي وصفتْها الفلسفةُ التي تُعْرَف الآن بـ»الوجودية» شـعورًا عامًّا بالعزلـة والهَجْـر، أي «الانقذاف» فـي/ إلى عالـم لا ينصاع لرغبات الإنسـان الأصلية. إن الاعتراف بأن رغبة الإنسان الأولى أو الأولية هي في تحقيق أو ترسيخ ذات أو «أنا» عيانية فرد مسـتقلّ ومنفصل موجود ومستمر وسـط فيض «الواقع» الزمني والخارجي وجريانه يـؤدي إلى إدراكٍ مزعـج بأن العالـم ليس متجانسًـا مـع الكائن البشـري؛ إذ إن هذا العالـم على ما يبدو يتبع مسلكه الخاص - المسلك المخطَّط له والمحرَّك مسبقًا قبل مجيء الوعي البشري بوقت طويل. لا بل إن النشاط الأساسـي للإنسان - أي تحقيق ذات مستقلة ضمن العالـم - يُنفَّذ على تضادٍّ مع سـلطان أو «إرادة» قـوة الطبيعة يبدو وكأنهـا تُحبِطُ هذا المسـعى الإنسـاني بامتياز أو تُفسِـده على الدوام، بما يقود إلى الإقرار بوجود قدرة مضادة للإنسـان، وبالتالي مضادة للعقل؛ وهذه القدرة، بما أنها فاعلة على ما يبدو، موجودة حتمًا.

---

(١) الرسالة الأولى إلى الكورنثيين ١٥: ٤٤.

غير أن حقيقة أن فعل تلك القدرة لا يتجلَّى كاتصال بين الإنسانية والطبيعة أو الموضوعية المحضة، بل بالحري كسيرورة ميكانيكية للضرورة العمياء، في معزل عن المسعى البشري، تضع الكائن الإنساني في مقام أعلى. إذ على الرغم من أن قوة الطبيعة قد تمحق موجودًا فرديًّا بشريًّا ما محقًّا اعتباطيًّا بالسهولة ذاتها التي توجِده بها، فإن هذه القوة الطبيعية ليست واعية بنشاطها. أما العقل البشري، فهو على العكس، واعٍ بما يفعل. وبهذا تحدث فجوةٌ أو صَدْع – كنتاج للانعكاس – قد يتمكَّن الإنسانُ من خلاله أن يوجِّه نفسه، لبرهة وجيزة، مع ونحو العالم الذي يوجد فيه ويستمر. وقد وصف مارتن هيدغِّر تلك البرهة الوجيزة من التوجُّه مع العالم وفيه نحوه بوصفها «رعاية» *Sorge*، هي دومًا رعاية واهتمام بـ«اللحظة» *Augenblick* التي يحدث فيها كلُّ وجود. وهذه «الرعاية» «الإنسان هو راعي الوجود» تُفهَم بوصفها نتاجًا لإقرار الإنسانية بحتمية كينونتها نحو الموت. لكن هذا التوجُّه لا يكتمل أبدًا، من حيث إن النفس البشرية تكتشف أنها لا تستطيع تحقيق غايتها أو تحقُّقها التام ضمن الحدود التي وضعتْها الطبيعة. وفي حين أن الضرورة المقيِّدة للطبيعة هي حقيقة بسيطة غير قابلة للشكِّ في نَظَر الوجودي، فإنها، عند الغنوصيين، نتاجٌ لمخطَّطات خبيثة من وَضْع إله أدنى، هو الديميورغوس، تمَّ تنفيذُها عبر قانون هذا الإله الجاهل وبه. بعبارة أخرى، فإن الطبيعة، في نَظَر الوجودية الحديثة، لامبالية فقط، في حين أنها كانت عند الغنوصيين معادية بالفعل للمسعى الإنساني: «إن القانون الكوني، الذي كان معبودًا ذات مرة كتعبير عن عقل يمكن لعقل الإنسان أن يتواصل معه في فعل التعرُّف، لا يُرى في حالتنا هذه إلا في مظهره القسري الذي يُجهِض حرية الإنسان.». وبذلك يؤول الزمن والتاريخ إلى فهمهما كمنشأ للعقل البشري على الضدِّ من مفاهيم مثالية عبثية من نحو القانون *nomos* والنظام *cosmos*. المعرفة، من هذا المنطلق، تصير مسعى عيانيًّا – مهمة مخلِّصة للنفس يكلَّف بها الجنسُ البشري.

والذات، إذ تعي نفسها، تكتشف كذلك أنها ليست ملكًا لنفسها حقًّا، بل هي بالحري أشبه ما تكون بالمنفِّذ اللاإرادي لمخطَّطات كونية. والمعرفة الغنوص قد تحرِّر الإنسان من

هذه العبودية. ولكن، بما أن الوجود معاكِس للحياة وللروح، فإن المعرفة المُنجِيَة لا يمكن لها أن تهدف إلى الاندماج في الكلِّ الكوني وإلى الانصياع لقوانينه: «فعند الغنوصيين... لا بدَّ لغربة الإنسان عن العالم من أن تُعمَّق وتتسنَّم ذروتَها من أجل استخلاص الذات الباطنة التي لا يمكن لها أن تفوز بنفسها إلا على هذا النحو.» (فيربروج، ٢٠٠٥)، إذ ذاك يصير السؤال البيِّن «من أين جئنا؟» أكثر معقولية في محاذاة وضمن السؤال الأكثر دينامية «إلى أين نمضي؟»

## ١-٤- التلقِّي والوحي

«إلى أين نمضي؟» هذا التساؤل يقع في اللبِّ من التفسير الغنوصي؛ وهو بالفعل يلوِّن ويوجِّه سائر محاولات التوافق، ليس فقط مع العهد القديم اليهودي الذي مثَّل النصَّ الرئيسي الذي أعمل فيه الغنوصيون تأويلهم، بل مع الوجود بعامة أيضًا. إن المقترَب التأويلي المعياري، في كلا عصرنا الحالي وفي الأزمنة الهلينية المتأخرة، هو نهج التلقِّي - أي التعاطي مع نصوص من الماضي تعاطيًا يحكمُه، من جهة المؤوِّل، اعتقادٌ بأن هذه النصوص تنطوي على ما يمكن لنا أن نتعلَّمه. وسواء كنَّا نكافح من أجل تخطِّي «أحكامنا» وافتراضاتنا المسبقة، التي هي النتيجة الحتمية لانتمائنا إلى موروث معيَّن عن طريق الفعل التأويلي غدامار، أو كنَّا نسمح لأحكامنا المسبقة بتشكيل قراءتنا للنص، فإننا، من جراء فعل «استهتار إبداعي» بلوم، ما نزال نعترف، على نحو ما، بما ندين به للنصِّ الذي نتعاطى معه أو باتِّكالنا عليه. أما الغنوصيون، في قراءتهم للكتاب المقدس، فلم يعترفوا بمثل هذا الدَّيْن؛ إذ إنهم اعتقدوا بأن الكتاب العبري صُنِّف، بوحي من إله خالق أدنى *dēmiourg*، مليئًا بأكاذيبِ القصد منها تشويش عقول وأحكام البشر الروحانيين *pneumatikoi* الذين عزم هذا الديميورغوس على استعبادهم في هذا الوجود المادي (القديس بطليموس). وبالفعل، بينما ينطوي منهج التلقِّي التأويلي على وجود شيء ما نتعلَّمه من النص، فإن الطريقة التي استعملها الغنوصيون التي يمكن تسميتها منهج «الوحي» تأسَّست على فكرة أنهم - أي الغنوصيين - تلقَّوْا وحيًا «فوق كوني»، إما على هيئة «نداء» أو رؤيا أو حتى، ربما، من خلال إعمال الجدل الفلسفي. وهذا «الوحي» كان هو معرفة غنوص أن الجنس البشري غريب

عن هذه الدنيا وأن له «مسكنًا سماويًّا»، في «الملأ الأعلى»، حيث تصير الرغباتُ العقلانية للعقل البشري إلى إيناعها التام الكامل. **إنها الحقائق الأصلية للوجود** (الطرزي، ٢٠٠٥ صفحة ٢٠). انطلاقًا من هذا الاعتقاد، فإن المعرفة كلَّها مُلْك للغنوصيين أولاء، وكلُّ تأويل للنصِّ الكتابي إنما غايته تفسير الطبيعة الحقيقية للأشياء بالكشف عن أخطاء الديميورغوس وتحريفاته. وهذا المقتَرَب تَعامَل مع الماضي كشيء تمَّ تجاوزُه أصلاً، لكنه ما ينفك «حاضرًا» مادام بعض أفراد الجنس البشري يكابدون تحت الناموس القديم - أي ما داموا يقرؤون الكتاب المقدس قراءة المتلقِّي. أما الغنوصي، مادام يحيا في الدنيا بوصفه كائنًا موجودًا، فهو، من ناحية أخرى، حاضر ومستقبل في آنٍ معًا - أي أنه يجسِّد في ذاته الديناميةَ الخلاصية لتاريخٍ على قطيعة مع قيد الماضي الاستبدادي، وَجَدَ حرية ابتكار نفسه من جديد. لقد فهم الغنوصي نفسَه بوصفه، في آنٍ معًا، في القلب من التاريخ، وفي نهايته، وفي نقطة الأوج منه؛ وهذه الفكرة أو المثال انعكس انعكاسًا قويًّا للغاية على التأويل الغنوصي القديم. فلننتقلْ الآن إلى مناقشةٍ للنتائج العيانية لهذا المنهج التأويلي.

## ١-٥- أسطورة صوفيا

نحن الإنسانية، بحسب الميثولوجيا الغنوصية عمومًا، موجودون في هذه الدنيا لأن إحدى أفراد الألوهة المتعالية، صوفيا الحكمة، رغبت في تحقيق كمونها الفطري للإبداع من دون إذْنٍ من شريكها أو زوجها الإلهي. وكبرياؤها، في هذا الصدد، كان بمثابة مادة خام، ورغبتُها التي توجَّهتْ إلى الآب السرِّي المبهم تجلَّتْ بوصفها يلضباؤوث، الديميورغوس - مبدأ الكون والفساد المرتد ذاك، الذي عِبْرَ ضرورته الجبرية، يَهَبُ الكائناتِ جميعًا الحياة، للحظة وجيزة، ثم يقضي عليها بالموت إلى الأبد. غير أنه بما أن «الملأ الأعلى» ذاته، بحسب الغنوصيين، ليس مستثنى من الرغبة أو الهوى، لا مندوحة من تدخُّل حَدَثٍ خلاصي أو مخلِّص - أي المسيح، الكلمة، «الرسول»، إلخ - ينزل إلى العالم المادي من أجل إبطال الأهواء كافة والارتقاء بـ»الشرارات» الإنسانية البريئة

التي سقطت من صوفيا إلى مرتبة الملأ الأعلى[١]. وإن سيرورة الاندماج من جديد هذه مع الألوهة وفيها هي واحدة من المعالم الأساسية للأسطورة الغنوصية. والهدف من هذا الاندماج ضمنًا هو تأسيس سلسلة من الموجودات متأخِّرة أونطولوجيًّا عن صوفيا، وهي التجسيد العياني لرغبتها «المُصدِّعة» – ضمن الحلبة الموحَّدة للملأ الأعلى. بالفعل، إذا كان الملأ الأعلى حقًّا هو الامتلاء، الحاوي على الأشياء كلِّها، فلا بدَّ أن يحتوي المبادئ العديدة لتوق الحكمة. بهذا المعنى يجب ألا ننظر إلى الخلاص الغنوصي كقضية وحيدة الجانب وحسب: فـ«الشرارات» الإلهية التي سقطت من صوفيا، في أثناء «آلامها»، هي مظاهر غير مندمجة بعدُ للألوهة. في وسعنا القول، إذن، أن الإله الغنوصي الأسمى يسعى أبدًا، بالمعنى الهيغلي، إلى تحقُّقه الخاص عن طريق الوعي الذاتي الكامل[٢]. لكن الأمر ليس بهذه البساطة فعلاً: فإله الغنوصيين الأسمى يلد الملأ الأعلى من غير جهد؛ ومع ذلك أو ربما لهذا السبب! يتفق لهذا الملأ الأعلى أن يسلك في استقلالية عن الآب – وهذا لأن جميع أفراد الملأ الأعلى المعروفين بالأيونات[٣] *Aeons* هم أنفسهم «جذور وينابيع وآباء»، يحملون الزمن في أنفسهم كشرط من شروط كينونتهم. حين أزعج الاختلال الذي نجم عن رغبة صوفيا الملأ الأعلى، لم يُفهَم هذا الأمر كاختلال لوحدة مسبَّقة الرسوخ، ولكن بالحري كاختلالٍ لركود لا يطاق، قُيِّض له أن يُحتَفى به بوصفه إلهيًّا. وبالفعل، عندما نظر الإغريق إلى السماء للمرة الأولى وأُعجِبوا بانتظام دوران النجوم والكواكب، فإن ما أُعجِبوا به – بحسب الغنوصيين – ليس صورة الألوهة، بل صورةٌ أو تمثيلٌ لركود «إلهي»، لقانون ونظام خَنَقَا الحرية، التي هي أصل الرغبة (جوناس، ص ٢٦٠-٢٦١). إن آلام

---

(١) راجع: كتاب يوحنا المنحول [سفر المخطوطات ٢] ٩: ٢٥-٢٥: ١٤ وما بعدها.

(٢) راجع: غ.ف.ف. هيغل، محاضرات في تاريخ فلسفة، الجزء ٢، ص ٣٩٦-٣٩٩، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٦.

(٣) كيانات إلهية وسيطة بين الإله الأعظم بربلو–كما في إنجيل يهوذا–وعالم المادة المظلم، وهذه الأيونات هي التي خلقت العالم المادي، وخصوصا أيونا خلقه بربلو ناقصا، لذلك فالغنوصيون يرونه عالما شريرا، لا يجوز العيش فيه برخاء وسعادة. وهو امتداد من الأفلاطونية الحديثة السكندرية.

صوفيا – إنتاجها للديميورغوس، استعباده لـ«الشرارات» الإنسانية في الوجود المادي، الفداء والتجديد اللاحقين – ليست إلا فصلاً عرضيًّا في الدراما المتفتِّح اللانهائي للوجود الأرضي. ونحن، بوصفنا بشرًا، اتَّفق لنا أن نكون الضحايا غير المقصودين لهذا الدراما. وإذا كان خلاصنا، كما يذهب الغنوصيون، عبارة عن صيرورتنا آلهة (بويماندرس، صفحة ٢٦) أو «سادة على الخلق وعلى كلِّ فساد» فالنتينوس، المقطع وليتون، كيف نكون واثقين من أنه، في أزمنة قادمة، لن يضع أحدُنا كونًا ملعونًا آخر، مثلما فعلتْ صوفيا؟

يحمل الغنوصيون سبب تأخر وصول المسيح المنتظر والمخلص إلى الأرض إلى صوفيا الأيونية، ذلكم لأنها كانت منفية بصورة أو بأخرى في بعد كوني مختلف ولم تتخلص منت منفاها إلا في هذه الفترة (أبو إسلام، ٢٠٠٦ صفحة ٢٠) ذلك ازدادت سوداويتها في اللاهوت الفلسفي الغنوصي لتسببها في تأخير نزول المخلص. وعن علاقة الغنوصية بالمسيحية هذا ما سنفصله في النقطة الموالية.

## ٢-الغنوصية والمسيحية

كان للفكرة المسيحية القائلة بأن الربَّ قد أرسل «ابنه» الوحيد الكلمة ليتألَّم ويموت من أجل خطايا البشرية جمعاء، وبهذا يجعل الخلاص متاحًا للجميع، وَقْعٌ عميق على الفكر الغنوصي. ففي المجموعة الواسعة والهامة من الكتابات الغنوصية المكتشَفة في نجع حمادي يمصر في العام ١٩٤٥، ليس ثمة غير حفنة منها من الممكن أن تكون نشأت في وسط ما قبل مسيحي، هلِّيني يهودي على الأغلب؛ ذلك أن غالبية هذه النصوص هي كتابات مسيحية غنوصية تعود إلى الفترة من أواخر القرن الأول وحتى أواخر القرن الثالث الميلادي، وربما بعد ذلك بقليل. وعندما ننظر في مفهوم الخلاص ومعناه عند الغنوصيين الأوائل، الذين ركزوا على المظهر الخلاق لوجودنا ما بعد الخلاصي، يذهلنا التأكيدُ الجريء الذي مفاده أن حاجتنا إلى الخلاص نشأت، في المقام الأول، من خطأ اقترفه كائنٌ إلهي، هو

صوفيا الحكمة، إبان قيامها بفعلها الخلاق[١]. وبما أن الحال هي كذلك، كيف – نتساءل قطعًا – سيكون وجودُنا فيما بعد الخلاص أقل تعرضًا للغلط أو للجهل، وحتى للشر؟

لقد قدَّمتْ الرسالةُ الجذرية للمسيحية الأولى الجوابَ على هذا السؤال الإشكالي؛ وبهذا التقط الغنوصيون الفكرة المسيحية وحوَّلوها، بقوة فنِّهم القصصي العقلي، إلى ترسيمة تأملية فلسفية ولاهوتية التركيب.

لقد ظهر المسيح نحو المادة والصراع من أجل الخلاص من تبعات اعمال صوفيا الأيونة، وهو ما دفع الغنوصيين إلى الاعتقاد في مخلص سماوي، وهذه الفكرة هي التي دفعتهم نحو المسيحية، فقد وجدوا مخلصهم في المسيح كريستنسن، (نقلا عن إنجيل يهوذا...رؤية للقمص مينا فؤاد توفيق، ص:٧).

## أ. باسيليدس

قام الفيلسوف المسيحي باسيليدس الإسكندري – ١٣٢-١٣٥ ميلادية- ببسط كوسمولوجيا وعلم نشأة للكون افترقا عن أسطورة صوفيا الخاصة بالغنوصية الكلاسيكية؛ كما أنه أعاد تأويل المفاهيم المسيحية الرئيسية عن طريق الفلسفة الرواقية الشعبية للعصر. بدأ باسيليدس منظومته بـ»ثُمانية أولية» عبارة عن «الوالد غير المولود» أو الآب؛ العقل *nous*؛ «المبدأ المنظِّم» أو الكلمة*logos*؛ «الحصافة» *phronēsis*؛ الحكمة صوفيا؛ القدرة و»العدل» و»السلام». وعبر الاتحاد بين الحكمة والقدرة، اوجدتْ مجموعةٌ من الحكام الملائكيين؛ ومن هؤلاء الحكام ولدت ٣٦٥ سماءٌ أو أيون (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ١٧). كان لكلِّ سماء حاكمُها الرئيس *arkhōn* والعديد من الملائكة الأصغر. والسماء الأخيرة – التي هي، على حدِّ زعم باسيليدس، دنيا المادة التي نقطنها جميعًا – هي التي يحكمها، على ما قال، «إلهُ اليهود» الذي فضَّل الأمة اليهودية على الأمم الأخرى، وبهذا سبَّب كلَّ ألوان النزاع مع الأمم التي اتفق لها أن تتماسَّ معهم، بل حتى

(١) راجع: كتاب يوحنا المنحول، ٩: ٢٥-١٠: ٦.

فيما بين اليهود أنفسهم. وهذا السلوك دفع حكّام السماوات الـ٣٦٤ الأخرى إلى معارضة إله اليهود وإرسال مخلِّص - هو يسوع المسيح - من عالم الآب أسمى العوالم لإنقاذ البشر الذين يكدحون تحت نير ذلك الإله الغيور، وبما أن عالم المادة هو المصدر الأوحد لهذا الإله الحاقد، لم يجد باسيليدس فيه أيَّ شيء ذي قيمة، وصرَّح بأن «الخلاص مُلْك للروح فقط؛ إذ إن الجسد فاسد بطبيعته» (ويلتر، ٢٠٠٧ صفحة ٥٧). بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك ليعلن، معارضًا الأرثوذكسية المسيحية، أن موت المسيح على الصليب كان موتًا ظاهرًا فقط، ولم يحدث فعلاً «في الجسد» - وهذا المذهب قُيِّض له أن يسمَّى الدوكيتية. (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ١٧).

إن المفهوم القائل بأن الوجود المادي هو وليد إله خالق غيور وفاسد، يفضِّل عِرقًا معينًا على باقي الأعراق، هو بالفعل التعبير «الأسطوري» عن اعتقاد أخلاقي متأصِّل بأن مصدر الشرور كلِّها هو الوجود المادي أو الجسماني. وبالفعل فقد ذهب باسيليدس إلى حدِّ التأكيد على أن الخطيئة هي النتاج المباشر للوجود الجسماني، وبأن ألم الإنسان هو العقاب المستحَق إما على خطايا فعلية مرتكَبة، أو حتى على مجرَّد الميل العام إلى الخطيئة، الذي ينجم عن النوازع الجسدية. ويعلن باسيليدس، في تكييفٍ للمقولات الأخلاقية الرواقية، أن الإيمان *pistis* «ليس القبول العقلاني لنفس تمتلك إرادة حرة»، بل هو بالحري الكيفية الطبيعية للوجود؛ وبالتالي، فإن كلَّ مَن يحيا في تناغُم مع «قانون الطبيعة» *pronoia* الذي يطلق عليه باسيليدس اسم «الملكوت» سيبقى متحررًا من النوازع الجسدية وسيكون في حالة «خلاص». غير أن باسيليدس يتخطَّى المذهب الرواقي البسيط في اعتقاده بأن «الصفوة»، أي أولئك الذين يحيون بالإيمان، «غرباءٌ عن هذا العالم، كما لو أنهم متعالون بطبيعتهم» مقطع هـ؛ إذ إن باسيليدس، على غير الرواقيين الذين آمنوا بكوسموس ماديٍّ واحد، أخذ بفكرة أن الوجود، كما رأينا، مكوَّن من سماوات عديدة، وأن العالم الماديّ هو السماء الدنيا، وبالتالي فهو فاسد. وبما أن هذه السماء الأخيرة تمثل «النحب الأخير» للفيض الإلهي، إذا جاز التعبير، وأنها ليست، ولا من أيِّ وجه، صورةً كاملة عن الألوهة

الحقيقية، فإن اعتناق قوانينها لا يمكن له أن يفضي إلى أيِّ خير. لا بل إن الجسم، بما أنه الوسيلة التي يستخدمها حاكمُ هذا الوجود المادي لفَرْض قوانينه، فإن بلوغ الحرية مشروط بالتخلِّي عن جميع النوازع والرغبات الجسدية أو بـ«عدم الاكتراث بها». غير أن عدم المبالاة *adiaphoria* هذا بنوازع الجسد لا يؤدي إلى مجرَّد تنسك راكد. فباسيليدس لا يدعو مستمعيه إلى ترك العالم المادي، بما يجعلهم يذوبون في السلبية، بل هو يقدِّم لهم حياة جديدة، متوسلاً التراتبية العظمى من الحكَّام التي تشرف على العالم المادي. فحين يلجأ المرء إلى المرتبة العظمى للوجود تكون النتيجة «خلق أشياء طيبة». الحب والإبداع الشخصي - استيلاد الخير - هما النتاج الأخير لنظام باسيليدس الجدلي الملتبس؛ ولهذا السبب فهو أحد أهم التعبيرات الأولى للفلسفة المسيحية الحق وإن يعترف بها لاحقا.

## ب. مرقيون

كان مرقيون السينوبي، في بنطُس، معاصرًا لباسيليدس. وبحسب طرطليانوس فقد بدأ مرقيون مسيرته كمسيحي أرثوذكسي - أيًّا ما كان معنى ذلك في تلك المرحلة الأولى من بَسْط العقيدة المسيحية - لكنه سرعان ما صاغ مذهبًا مميزًا وجذريًّا أدَّى إلى إلقاء الحرمان عليه من قبل كنيسة روما في تموز ١٤٤ ميلادية، وهو التاريخ التقليدي لتأسيس الكنيسة المرقيونية.

وتعليم مرقيون أنيق البساطة: «الإله الذي تعلنه الشريعة والأنبياء ليس أبا سيدنا يسوع المسيح. فإله العهد القديم معروف، ولكن الثاني أبا يسوع المسيح مجهول. الأول عَدْل، بينما الثاني خيِّر.» وقد سمى الإله بمسمى «المبدأ» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٢).

لقد اعتقد مرقيون بأن هذا الوجود الذي نعيش فيه يشهد على وجود إله قاسٍ ومشرِّع، بل وحاقد ومنتقم أحيانًا. إن هذا الرأي ناتج عن قراءة محض حرفية للعهد القديم، الذي يحوي فعلاً العديد من المقاطع التي تصف الإله بعبارات لا تفضي إلى الألوهية - أو على الأقل لا تفضي إلى فكرة الإله التي كانت شائعة في العصر الهلينستي. بناءً عليه، فقد أعلن مرقيون، على غرار بولس في الرسالة إلى الرومانيين ١: ٢٠، أن الإله يُعرَف عِبْرَ خلقه. غير أن مرقيون، على خلاف بولس، لم يعتبر أن هذا «الوحي الطبيعي» دليل على فرادة الله

وخيره، بل على العكس تمامًا، اعتقد أنه عَرَفَ إله هذا العالم حقَّ معرفته، وأن هذا الإله ليس جديرًا بما يطلبه من إخلاص وطاعة. ولذا فقد رفض مرقيون تعاليم الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية في عصره القائلة بأن يهوه هو أبو الكنيسة؛ ومن خلال استئصال جريء لما سمَّاه «المدسوسات اليهودية» في إنجيل لوقا وعَشر رسائل بولسية، طرح مفهومه عن «الإله الغريب» وفعله الخلاصي، ورسَّخ أول دستور للأسفار المعتمَدة في الكنيسة «المسيحية» (جوناس، ١٩٥٨ الصفحات ١٤٥-١٤٦).

لم يكن مرقيون فيلسوفًا بالمعنى الذي قُيِّضَ لهذا المصطلح أن يؤدِّيه فيما بعد. فهو لم يبسط قط، على حدٍّ ما نستطيع أن نستخلص من الآثار الباقية، نظرية منهجية ميتافيزيقية أو كوسمولوجية أو أنثروبولوجية، على غرار ما ذهب إليه باسيليدس أو فالنتينوس، ولم يُبرِزه التاريخُ كشاهد على معتقداته وهذه هي النقطة الأهم. فعلى خلاف غالبية الغنوصيين، الذين صاغوا نوعًا من السلالة الإلهية أسطورة صوفيا، على سبيل المثال لتعليل وجود الفساد والنزاع في العالم، طرح مرقيون في بساطة وجود إلهين متناقضين لا يقبلان الاختزال: الإله التوراتي، والإله المجهول أو «الغريب»، الذي هو أبو المسيح. وبحسب مرقيون، فإن الإله الذي يحكم هذا العالم هو كائن حريص على الحفاظ على استقلاليته وقدرته، حتى على حساب الكائنات البشرية التي خلقها. الإله «الغريب»، الذي هو الخير الأسمى، هو «إله الانبثاث»: إذ إنه ينبث في هذا العالم من الخارج لكي يتبنَّى مجَّانًا أولئك البشر المرثيَّ لحالهم، الباقين تحت نفوذ الإله الأدنى بوصفهم ابناءه. وهذا الفعل هو، بحسب مرقيون، أصل تجسُّد المسيح وعلَّته. لقد اعتقد أن المبدأ الصالح ابا يسوع المسيح ومانح النعمة. والمبدأ الشرير كان خالق المادة ومذيع الشريعة(القديس ألفونسو، ١٨٦٤، صفحة ٢٢).

وعلى الرغم من غياب قاعدة فلسفية أو ثيولوجية لهذه الصياغة البسيطة نوعًا ما، فإن فكرة مرقيون تعبِّر، على كلٍّ حال، في شكل خام ومباشر نوعًا ما، عن حقيقة أساسية للوجود الإنساني: أنَّ رغبات العقل لا مقايسة بينها وبين طبيعة الوجود المادي. مع ذلك، إذا تابعنا حجَّة مرقيون حتى نتيجتها المنطقية وربما «ضد المنطقية»، لاكتشفنا تعبيرًا

وجوديًا وليس فلسفة عن الشعور الأوليّ بـ «الهَجْر». وهذا التعبير يقوم على التعارض الحاذق بين «محبة الحكمة» *philosophia* وبين «الحكمة التامَّة» *plērosophia*. نحن وحدنا في عالم لا يُسلِس ذاتَه لبحثِنا عن حقيقة لا تتبدَّل، ولذلك فإننا نُصادِق الحكمة، باعتبار أن ذلك الطريق أو الأسلوب هو الذي يمكِّننا من بلوغ هذه الحقيقة المحدوسة. وبحسب مرقيون، لن يتمَّ العثورُ على هذه الحقيقة في هذا العالم: فكل ما يمكن العثور عليه هو الرغبة في تلك الحقيقة، التي تنشأ بين البشر. غير أن هذه الرغبة، بما أنها، من جانب البشر، لا تنتج سوى فلسفات متنوعة ما من واحدة منها قادرة على ادِّعاء الحقيقة المطلقة، خَلُصَ مرقيون إلى أن الكائنات البشرية العارفة في هذا العالم لا تطيق أكثر من ظلٍّ من ظلال الحكمة. إذ إنه عن طريق إرشاد إله غريب ومحض خيِّر ونعمته يمكن للإنسانية أن ترتقي إلى مستوى الحكمة التامة [(١)] وعلاوة على ذلك، فقد قام مرقيون، عوضًا عن محاولة اكتشاف الارتباط التاريخي بين وحي المسيح وتعاليم العهد القديم، بمجرَّد رفض الثاني لصالح الأول، اعتقادًا منه بأن الإنجيل وحده وقد تدبَّر مرقيون تحريره بنفسه يدلنا على الحكمة التامة (مينا، ٢٠٠٨ صفحة ٢٣).

وفي حين أن مفكرين مسيحيين آخرين من ذلك العصر قد اشتغلوا على التفسير المجازي للعهد القديم بغية التوفيق بينه وبين تعاليم العهد الجديد. أجاز مرقيون للعهد الجديد - وإنْ في نسخته الشخصية منه - مخاطبتَه كصوت مرجعيٍّ فريد، فصاغ مذهبه وفقًا لذلك. وهذا المذهب لم يشدد على غربة البشر الجذرية عن هذا العالم الذي اتَّفق لهم أن يولدوا فيه وحسب، بل كذلك على افتقارهم إلى أية علاقة نَسَبية مع الإله الذي ضحَّى بابنه لافتدائهم - بعبارة أخرى، صوَّر مرقيون البشريةَ كسلالة مُشرَّدة، من دون أيِّ وطن حقيقي أصلاً (فيلورامو، ١٩٩٢ صفحة ١٦٣). والأمل في البحث عن وطن مفقود، أو أمل العودة إلى وطن طُرِدْنا منه، كان غائبًا عن مذهب مرقيون. فمثله كمثل بيكو ديلاميراندولا، أعلن مرقيون أن طبيعة البشرية هي طبيعة وسيط أبدًا، واقف وقوفًا غير مستقر بين السماء

---

(١) راجع: الرسلة إلى الكولوسيين ٢: ٢ وما بعدها

والأرض قارن: بيكو ديلاميراندولا، خطبة في كرامة الإنسان، ٣. غير أن مرقيون، خلافًا لبيكو، دعا إلى عَزْل جذري للبشرية - «قطيعة» - تصحو فيها الإنسانيةُ على ممكناتها التامة إن لم نقل الفطرية، وهو بذلك كما يقول ويلتر: «يدين عمل الجسد» (ويلتر، ٢٠٠٧ صفحة ٦٦)، فمال أتباعه إلى الزهد وعقاب الجسد ورفضوا الزواج وانفصلوا تماما عن الخط الرئيسي للكنيسة عندما تم حرمه في العام ١٤٤م» (مينا، ٢٠٠٨ صفحة ٢٣).

## د. منظومة بطليموس

وصف إيريناوس بطليموس حوالى ١٤٠ ميلادية بـ»بزهرة مدرسة فالنتينوس» (ليتون، ص ٢٧٦). لكننا لا نعرف شيئًا يُذكَر عن حياة بطليموس ما عدا الكتابين اللذين وصلانا: الأسطورة الفالنتينية الفلسفية المفصَّلة التي حفظها إيريناوس، والرسالة إلى فلورا، من وضع فالنتينوس، التي حفظها القديس أبيفانيوس حرفيًّا[١]. نقع في الكتاب الأول على منظومة فالنتينوس، مفصَّلة تفصيلاً كبيرًا على يد بطليموس، التي تحتوي على أسطورة أنثروبولوجية مركَّبة تتمركز حول آلام صوفيا. كما نقع أيضًا، في كلٍّ من الأسطورة والرسالة، على محاولة بطليموس للتوفيق بين الكتب اليهودية وبين تعاليم الغنوصية والتأويل المجازي للعهد الجديد، في صورة غير مسبوقة بين الغنوصيين قبلئذٍ.

في النظام البطليموسي يَرِدُ في صراحة أن سبب سقوط صوفيا هو رغبتها في معرفة الآب الفائق الوصف. وبما أن سبب توليد الآب للأيونات الذين صوفيا آخرهم كان «رفعهم جميعًا إلى مرتبة الفكر» كما حكى عنه إيريناوس، لم يكن مسموحًا لأيٍّ من الأيونات أن يبلغ معرفة تامة بالآب. لقد كانت الغاية من الملأ الأعلى أن يوجد كتعبير حيٍّ، جمعيٍّ، عن السعة العقلية للآب؛ فإذا قُيِّضَ لأيِّ كائن مفرد ضمن الملأ الأعلى أن يصل إلى الآب لتوقفت الحياة برمَّتها. تقوم هذه الفكرة على موقف إيجابي بالدرجة الأولى تجاه الكون،

---

(١) رجمها من اليونانية إلى العربية الأكاديمي الدكتور عبد الرحمن السليماني على الرابط التالي:
http://www.atinternational.org/forums/showthread.php?t=884

بمعنى أن الوجود، مفهومًا ككفاح، ليس من أجل نهاية مستكينة، بل من أجل مستوى متزايد أبدًا من البصيرة الخلاقة أو «التكوينية». والهدف، من هذه الوجهة، هو الإبداع من خلال الحكمة، وليس مجرد الوصول إليها كغرض أو كغاية في حدِّ ذاتها. ومثل هذا الوجود لا يتَّسم بالرغبة في غرض ما، بل بالحري في القدرة على الإمعان في الانخراط الخلاق والتكويني مع «الظرف»= الوضعية المعيَّنة أو الميدان الفردي الخاص بالمرء. عندما رغبتْ صوفيا في معرفة الآب، فإن ما كانت ترغب فيه إذ ذاك، في المقام الأول، هو تلاشيها لصالح فنائها الخاص فيما جعل وجودها ممكنًا في الأصل. وهذا يعادل رفض هبة الآب، بمعنى هبة الوجود والحياة الفرديين. لهذا السبب لم يُسمَح لصوفيا بمعرفة الآب، بل رُدَّتْ إلى «الحد» *horos* الفاصل بين الملأ الأعلى وبين «السعة اللاموصوفة» للآب.

أما ما تبقَّى من رواية بطليموس فيتعلق بإنتاج الوجود المادي اعتبارًا من «آلام» صوفيا المُأَقْنَمَة وفاعلية المخلِّص يسوع المسيح في ترتيب هذه الآلام الشواشية أصلاً في تراتبية منتظمة من الموجودات –وقارن: الرسالة إلى الكولوسيين ١: ١٦–. إن ثلاثة صفوف من الكائنات البشرية تنوجد من خلال هذا الترتيب: «المادي» *hulikos* و«النفساني» *psukhikos* و«الروحاني» *pneumatikos*. البشر «الماديون» هم أولئك الذين لم يبلغوا الحياة العقلية، وبالتالي لا يعقدون آمالهم إلا على ما هو هالك – ولا أمل في الخلاص لهؤلاء. «النفسانيون» هم أولئك الذين ليس لديهم إلا تصور نصف متشكِّل عن الإله الحقيقي، وعليهم، بالتالي، أن يحيوا حياة منذورةً للأعمال المقدسة والثبات على الإيمان؛ وبحسب بطليموس، هؤلاء هم المسيحيون «العاديون». وأخيرًا، هناك البشر «الروحانيون»، الغنوصيون، الذين لا يحتاجون إلى الإيمان لأنهم على معرفة فعلية غنوص بالحقيقة العقلية، وبذلك هم ناجون بالطبيعة.

يقوم المفهوم الفالنتيني البطليموسي للخلاص على فكرة أن الوجود هو التجلِّي العياني أو الأَقْنَمَة لرغبة صوفيا في معرفة الآب و«الآلام» التي نجمتْ عن فشلها. إن تاريخ الخلاص للكائنات البشرية له، إذن، صفة التجلِّي الخارجي للسيرورة المثلَّثة لافتداء صوفيا نفسها:

الاعتراف بآلامها؛ «رجوعها» *epistrophē* تاليًا؛ وأخيرًا، فعل توليدها الروحي، الذي انبثقتْ منه الإنسانيةُ الغنوصية. الخلاص، إذن، في شكله النهائي، يجب أن يتضمن نوعًا من الخلق الروحي من قِبَل الغنوصيين الذين يبلغون الملأ الأعلى. غير أن على البشر «النفسانيين»، المكوَّنين جزئيًّا من مادة قابلة للفساد وجزئيًّا من ماهية روحية، أن يظلوا مكتفين بوجود بسيط مريح مع «صانع» الوجود، بما أنه لا يمكن لعنصر ماديٍّ أن يدخل الملأ الأعلى.

في رسالته إلى فلورا، التي هي محاولة لهداية امرأة مسيحية «عادية» إلى مذهبه المسيحي الفالنتيني، صاغ بطليموس صياغة واضحة مذهبَه في العلاقة بين إله الكتب المقدسة العبرية، الذي هو «عَدْل» وحسب، وبين الآب اللاموصوف، الذي هو الخير الأسمى. وقبل التفصيل في رؤية بطليموس الوجودية، نرى من المفيد تنوير القارئ الكريم بنص رسالته للسيدة المسيحية فلورا:

«اعلمي يا أختي الكريمة فلورة أن التوراة التي بشَّر بها موسى لم يفهمها معظم الناس على حقيقتها لأنهم لا يعرفون شيئاً يذكر عن المُشرِّع الحق ولا عن حدوده.

فهي عند قوم من عند الإله الآب، وعند قوم آخرين يعتقدون اعتقاداً مختلفاً عن الأول، هي من عند العدو، الشيطان الرجيم، تماماً مثلما ينسبون إليه الشيطان خلق العالم أنه الآب وأنه خالق كل شيء.

ويبدو جلياً أن الفريقين على ضلال لأنهما متناقضان في الرأي ولأنهما لم يوفقا إلى معرفة الحقيقة وفهمها؛ إن التوراة ـ نظراً لعدم أهميتها ـ ليست من عند الإله الآب. فهي من جهة ناقصة وتحتاج إلى تكميل، وتحتوي من جهة أخرى على حدود لا تنسجم مع طبيعة الإله الآب وحقيقته.

أما الرأي الآخر فهو غير مقبول أيضاً، إذ لا يعقل أن يكون مصدرُ التوراة العدوَّ البغيضَ = الشيطان لأنها لا تبيح الظلم. وهذا رأي يعتقده هؤلاء الذين لا يستطيعون ـ وفقاً لكلام المخلص ـ أن يروا ببصيرتهم «أن المدينة المنقسمة على نفسها لا يمكن لها أن تعيش»، كما يقول مخلصنا.

وفي تضاعيف ذلك يقول الرسول في مسألة الخلق إن ذلك الخلقَ خلقُه وإن «كُلٌّ به كُوِّنَ وبغيره لم يُكَوَّن شيء مما كُوِّن» - بهذا يفند الرسولُ يوحنا حكمة الكذابين الضالة. ليس خلقُ العالم خلقَ الإله الشِّرِّير والمُرعِب، بل خلق إله عادل يبغض الشر. إن هذا رأي الجهلة الذين لا يأخذون بأسباب عناية الخالق، المصابين بعمى البصر والبصيرة معاً.

يبدو مما سبق أن الفريقين لم يوفقا إلى معرفة الحقيقة. ولقد فهم كلٌّ منهما الأمر على طريقته، فالفريق لأول فهمه هكذا لأنه لا يعرف إله العدل، والفريق الثاني لأنه لا يعرف الإله الآب، وهو الإله الحق!

بقي لنا، نحن الذي وفقنا إلى معرفة الإلهين الاثنين... أن نبين لك ماهية الشريعة = التوراة وماهية المشرع والجهة التي أوحت بها! ونريد في هذا المجال أن نبرهن لك على ذلك من خلال كلمات مخلصنا، وهي الكلمات التي تكفينا مؤونة اللجوء إلى مفهوم الكائنات.

يجب أن تعلمي قبل كل شيء أن الشريعة الموجودة في كتب موسى الخمسة ليست من عند إله واحد! أعني أن هذه الشريعة ليست كلها واردة من عند إله واحد، لأن فيها حدوداً أضافها الناس إليها. وتعلمنا كلمات المخلص أن هذه الشريعة ذات ثلاثة مصادر.

فالمصدر الأول هو الله وشرعه، والثاني هو موسى - ليس بصفته نبياً يوحى إليه، بل بصفته إنساناً أضاف إلى الشريعة الموحاة إليه حدوداً من عندياته -، والثالث هو أحبار الأمة الذين ارتأوا إضافة حدود بعينها إلى الشريعة الموحاة

أما كيف يمكن لنا أن نبرهن على ذلك من خلال كلمات المخلص، فهو ما سوف تتعلمينه الآن!

تحدث المخلص ذات مرة مع أولئك الذين سألوه عن الطلاق المسموح به في شريعة التوراة، وقال: «إن موسى لأجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولم يكن من البدء هكذا»، «لأن الله»، حسب المخلص، «جمع بين الزوجين، وما جمعه الله فلا يفرقه إنسان».

يبدو من ذلك أن شرع الله، الذي يحرم انفصال الزوج عن الزوجة، ليس هو شريعة موسى، التي تبيح الطلاق بين الزوجين، بسبب «عنت القلوب».

وهكذا أعلن موسى شريعة متناقضة مع شرع الله، لأن «الطلاق» ضد «عدم الطلاق»!

وإذا حاولنا فهم السبب الذي جعل موسى يقوم بذلك، اكتشفنا أنه لم يفعل ذلك بمحض إرادته هو، بل نتيجة للضرورة التي أملاها عليه ضعفُ أولئك الناس المعنيين بتلك الشريعة = اليهود... لأنه لم يكن بمقدورهم تحقيق إرادة الله بتحريم الطلاق، وهي الإرادة التي اعترض عليها بعض الناس الذين كانوا يعيشون أشقياء مع أزواجهم، ولكي يتم تفادي المزيد من الشقاء ومن ثم الضلال...

فإن موسى أراد أن يتفادى هذا الاعتراض وهذا الشقاء والضلال الناتجين عنه؛ لذلك أضاف حكماً ثانياً = إباحة الطلاق إلى الحكم الأول = تحريم الطلاق مستبدلاً بذلك شراً كبيراً بشرٍ أصغر منه هو إباحة الطلاق! وقد فعل موسى ذلك بمحض إرادته... لأنهم، عندما لم يكن بمقدورهم احترام الحكم الأول، احترموا الحكم الثاني وبذلك لم ينتهوا إلى الظلم والغضب المؤديَيْن إلى الضلال.

إن هذا هو رأيه الذي جعلنا نصنفه رجلاً أضاف إلى شرع الله حكماً مضاداً له! ولقد بينا بأن شريعة موسى مغايرة لشرع الله، وهذا أمر واضح غير قابل للجدل حتى وإن اقتصرنا في البرهنة عليه على هذه النقطة الواحدة فقط!

أما بالنسبة إلى وجود أحكام قام الأحبار بإضافتها إلى الشريعة الموحاة، فهذا واضح من قول المخلص: «أَكْرِمْ أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الربُّ إلهُك».

ويضيف المخلص قائلاً: «لقد قلتَ موسى » لحكماء القوم: «من نعمة الله عليكم أنه بعثني إليكم لمساعدتكم؛ ولكنكم عطلتم شريعة الله من أجل سنن الأقدمين»! وهاهو إشعياء يصرخ: «إن هذا الشعب يكرمني بشفتيه وقلبه بعيد مني. إنما مخافته لي وصية بشر تعلموها». وبذلك نكون برهنا أن التوراة مكونة من ثلاثة أجزاء، لأننا نرى فيها شريعة موسى نفسه، والشريعة التي أضافها الأحبار، وشريعة الله!

إن هذا التصنيف للتوراة، الذي برهنا عليه، قد أبان الحقيقة الكامنة فيها!

أما الجزء الإلهي من شريعة الله، فيُقسَّم بدوره إلى ثلاثة أجزاء: أ الشريعة الخالصة، التي لم تختلط بشر ـ والتي يصح تسميتها «بالشريعة الحقة» ـ والتي لم يأت المخلص من أجل حَلِّها بل من أجل إتمامها، لأن ما أتمه المخلص منها لم يكن صادراً عن مصدر آخر لكنه أتمها لأنها كانت ناقصة. ب الشريعة المختلطة بالشر والظلم، وهي الشريعة التي حَلَّها المخلص لأنها لا تنسجم مع طبيعته اللاهوتية

وأخيراً ج الشريعة الرمزية التي نشأت نتيجة للعالم الروحاني والغيبي. لقد حوَّل المخلص هذا الجزء من التوراة ونقله من العالم المادي الحسي إلى العالم الروحاني الغيبي.

إن شريعة الله الخالصة الحقة، التي لم تمتزج بالشر والظلم، هي «الوصايا العشر»، التي أنزلت على موسى في لَوحَيْن لتحريم ما يجب على الإنسان تجنبه، والتحفيزِ على ما ينبغي على الإنسان فعله. مع ذلك احتاجت هذه الشريعة الإلهية إلى إتمام المخلص لها، لأنها لم تكن كاملة

إن الجزء الذي اختلط بالشر والظلم، هو تلك الشريعة التي تكافئ الخطيئة بالخطيئة! إنها تنص على مجازاة العين بالعين والسن بالسن، أي معاقبة القاتل بالقتل. إذ يرتكب الذي يعاقب القاتل بالقتل خطيئة لا تقل ظلماً عن خطيئة الفاعل الأول إذا تغير ترتيب القتل، لأن الفعل في الحالتين واحد!

كان هذا الحد، ولا يزال، قصاصاً، لأنه سُنَّ بسبب ضعف هؤلاء، الذين أُنْزِلَتْ الشريعة من أجلهم، فارتكبوا بسَنِّهِ تجاوزاً بحق الشريعة الإلهية الخالصة. إنه حدٌّ لا ينسجم البتة مع طبيعة الإله الآب، ومع رحمته.

ربما كان ذلك الحدُّ طبيعياً، وربما كان ضرورةً! لأن الذي لا يبيح القتل تطبيقاً لقوله «لا تَقتُلْ»، يَسْتَنُّ ـ بإعطائه أمر قتل القاتل ـ شريعةً ثانيةَ، ويميز بين قَتلَيْن! بذلك أباح الذي حرَّمَ القتل لنفسه أن يصبح ضحية للضرورة!

لذلك قام الابن = المسيح، الذي صدر عن الإله الآخر، بحلِّ هذا الجزء من الشريعة وذلك على الرغم من تسليمه بأن ذلك الحد من عند الله، وذلك في الوقت الذي يحسب هذا الجزء مع الأجزاء التي تحسب من العهد القديم، خصوصاً عندما يقول: «من لم يكرم أباه أو أمه فليقتل قتلاً».

أما الجزء الرمزي من الشريعة، والذي نشأ نتيجة للعالم الروحاني والغيبي، فهو الجزء الذي سُنَّ نتيجة لظروف وحالات معينة. وأعني بذلك الحدود المتعلقة بالقربان والختان والسبت والصوم والفصح والخبز الفطير وما أشبه ذلك من السنن.

إن هذه السُّنَن رموزٌ تم تحويلها، بعد ظهور المخلص، تحويلاً؛ فأُلْغِيَتْ ظاهرياً، واحتُفِظَ بها روحانياً! بقيت الأسماء كما هي، ولكن المسميات تغيرت!

أجل، أمرنا الله أمرنا بتقريب القرابين، ولكن ليس من خلال البهائم التي لا تعقل، وليس بحرق البخور، بل بواسطة الحمد الروحاني، والتمجيد، والشكر، وإيثار الآخرين والإحسان إليهم!

كما يريد الله منا أن نختتن، ولكن ليس بإزالة القُلْفَة عن الذكر... بل بتطهير القلب بالروح.

كما يريد بالسَّبْتِ منا أن نبتعد من كل الأعمال الشريرة!

أما بالصوم، فإن الله لا يريد منا أن نصوم صوماً جسدياً، بل يريد منا صوماً بالروح، أي الامتناع عن الشر وما إليه.

نعم، يصوم الناس عندنا صوماً جسدياً؛ وهذا الصوم مفيد للروح إذا أُعْمِلَ العقل في اتباعه، أي إذا لم يلتزم الناس به من أجل استفزاز الآخرين، أو من أجل العادة، أو إحياء لذكرى يوم ما، حتى وإن كان ذلك اليوم يستحق ذلك!

نصوم نحن، في الوقت نفسه، صوماً ظاهرياً للتذكير بالصوم الحقيقي، لأن هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يصوموا صوماً حقيقياً، يستذكرون بالصوم الجسدي الظاهري، ذلك الصوم الحقيقي الذي نعنيه!

الأمر نفسه ينطبق على الفصح والخبز الفطير. لقد أبان القديس بولص ضرورة اعتبارهما صورةً روحانيةً بوضوح حين قال: «فإنه قد ذُبِحَ فِصحُنا، المسيحُ، لكي تصبحوا فطيراً حلواً بدون خمير»! ولا يقصد القديس بولص بالخمير «الفطير الحلو» كما يفهمه اليهود، بل يقصد الشر!

إذاً: بذلك تصبح التوراة مكونة من ثلاثة أجزاء مختلفة، أحدها الجزء الذي أكمله المخلص، لأن قوله «لا تقتل، لا تَزنِ... لا تشهد شهادة الزور» متضمن في قوله «لا تغضب... لا تَشْتَهِ... لا تَحْلِف»!

وثانيها هو ذلك الجزء الذي نُسِخَ بأكمله، لأن «العين بالعين والسن بالسن» تتضمن الظلم وفعل الظلم... لذلك نسخه المخلص وأحلَّ محله نقيضه!

لأن «النقيض» ينسخ نفسه بالتساوي: «أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر»!

وآخرها هو الجزء الذي حُوِّلَ من العالم الجسماني الظاهري، إلى العالم الروحاني الباطني، صورةً رمزيةً للأشياء الغيبة الخاصة.

لأن الصور والرموز تدل على أشياء أخرى، فكانت لها وظيفتها الجيدة في غياب الحقيقة! وبما أن الحقيقة حاضرة الآن، فإنه ينبغي اتباع نور الحقيقة، لا الصور والرموز!

لقد أبان رسلُ المسيح، وكذلك بولص الرسول، هذه الحقائق، وذلك بتفسيره بولص معاني الفصح والخبز الفطير تفسيراً مجازياً. من ثمة وصفه جزءَ الشريعة الذي امتزج بالظلم بقوله: «وأبطلَ المسيحُ ناموسَ الوصايا...»، وكذلك وصفه جزءَ الشريعة التي لم تمزج بالظلم بقوله: «فالناموس إذن مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة»!

ويمكن القول باختصار إني ابنتُ لك بما فيه الكفاية بأن الشريعة التوراة التي أضافها الناس أو التي أنزلها الله، مكونة من ثلاثة أجزاء مختلفة!

والسؤال المطروح الآن هو: من هو ذلك الإله، الذي أنزل تلك الشريعة؟! وأعتقد

بأني أجبت على هذا السؤال في ما تقدم من برهنة، هذا إذا كنتِ أصغيتِ لما تقدم بالتمعن المطلوب! لأنه، إذا لم تكن التوراة من عند الإله الحق، ولم تكن من عند الشيطان كما يعتقد بعضهم ـ وهو رأي فاسد ـ فإن النتيجة الحتمية هي أن التوراة من عند شخص ثالث يكون غير الاثنين = الإله الحق والشيطان!

إنه = الشخص الثالث هو خالق هذا العالم وكل ما فيه. هو إله مختلف على الاثنين المذكورين أعلاه = الإله الحق والشيطان ! إنه إله يكون بين الاثنين، ويقيم في الوسط، لذلك أطلق عليه اسم «الوسط»! فإذا كان الإله الحق إلهاً رحيماً عادلاً بطبعه ـ وهو إله رحيم عادل بطبعه ـ لأن المخلص كان يسمي الإلهَ الحقَّ الرحيمَ «أباه»، وهو الإله الذي أراه بنفسه...؛ وإذا كان الإله ذو الطبيعة المتناقضة إلهاً شريراً وظالماً، فإن الإلهَ الموجودَ في الوسط، والذي ليس عادلاً ولا ظالماً، الإلهُ الذي يمكن إطلاق اسم «العدل» عليه، الإلهُ الذي يجازي الإحسان بقدره!

إن هذا الإله الذي في الوسط أَقَلُّ مرتبةً من الإله الحق الكامل، وعدلَه أقلُّ من عدل الإله الحق، لأنه حادث وليس بقديم! إن الإله الحق ـ الآب ـ قديمٌ، وكلُّ شيء يحتاج إليه، لأن كل شيء صدر عنه. وإنه الإلهُ الحق، كذلك، أكبر من العدو الشيطان، وأَقْوَمُ منه! إن للإله الحق ذاتٍ أخرى غير ذات الاثنَيْن الآخَرَيْن الإله الذي في الوسط والشيطان، وطبيعةً أخرى غير طبيعتهما!

إن ذات العدو ذات شريرة ومظلمة، لأنه مادي تعتريه التجزئة والقسمة! أما ذات الإله القديم، أبي الكون، فهي بقاءٌ سرمديٌّ، ونورٌ بسيط ومتحد، قائم بذاته. لقد صدر عن طبيعته قوّتان اِثنتان. أما صورته هو، فتبقى خيراً من سائر الصور!»[1].

وعوضًا عن مجرَّد إعلان أن هذين الإلهين غير متَّصلين، كما فعل مرقيون، بَسَطَ بطليموس قراءة مركَّبة، مجازية، للكتب المقدسة اليهودية فيما يتصل بالعهد الجديد بغية

(1) *http://www.atinternational.org/forums/showthread.php?t=884.*

ترسيخ سلالة تربط الملأ الأعلى، صوفيا و«آلامها»، الديميورغوس، والنشاط الخلاصي ليسوع المسيح بعضها ببعض. إن مدى عمل بطليموس ودقّته، والأثر الذي خلّفه على المسيحية الأرثوذكسية الناشئة، يؤهِّله لكي يكون واحدًا من أهم اللاهوتيين المسيحيين الأوائل، الأرثوذكسيين الروّاد منهم و«الزنادقة».

غير أن الأهم من أيٍّ من تلك الإنجازات كلِّها كان اكتشاف مجموعة كبيرة من المخطوطات الغنوصية القبطية في مصر في العام ١٩٤٥، المعروفة الآن بمجموعة أو «مكتبة» نجع حمادي. وتحوي هذه المجموعة أعمالاً من المدرسة الفالنتينية، كما وعلى أعمال العديد من الفِرَق السابقة والمعاصرة لها، بما يلقي الضوء المطلوب على طبيعة وبنية الذي ما فتئ إلى الآن يسمَّى، مع بعض التحفظات، «الدين الغنوصي». وقد قادت دراسةُ تلك المكتبة بعض الاختصاصيين إلى التشكيك في وجود حركة موحَّدة تدعى «الغنوصية» أو «الدين الغنوصي». وفي العام ١٩٩٦، نشر مايكل ألان وليامز كتابًا بعنوان إعادة النظر في «الغنوصية»: محاججة لتفكيك مقولة مريبة منشورات جامعة برنستون. فمن خلال دراسة مفصَّلة للعديد من نصوص مجموعة نجع حمادي، يحاول وليامز أن يبيِّن الاختلاف الفائق المبطِّن للنصوص التي شَمَلَها العديدُ من الدارسين تحت تسمية «الغنوصية» الجامعة، بما يلقي الشكَّ على وجود شيء كـ«الدين الغنوصي». علاوة على ذلك، على حدِّ رأيه، فإن إطلاق مثل هذه التسمية الحديثة على هذه النصوص بالجملة يعمينا عن المعنى الأعمق لهذه الصروح العقلية المتنوعة. غير أنه تجب ملاحظة أن آباء الكنيسة الأوائل، مثل كليمنضوس الإسكندري وإيريناوس وأوريجينس وهيبوليتوس وأبيفانيوس، وحتى الفلاسفة «الوثنيين»، من أمثال أفلوطين وفرفيريوس، الذين حفظوا لنا روايات وبعض الوثائق الأصلية أحيانًا عن فلاسفة وثيولوجيين يصطلحون على تسميتهم «غنوصيين»، كانوا أيضًا معاصرين أو يكادون أن يكونوا معاصرين للعديد من الأشخاص الذين ينتقدونهم ويؤوِّلونهم – وكذلك للمدارس. من هنا فإن آراء هؤلاء الكتَّاب الذين عاصروا أفراد الفِرَقِ الغنوصية وعملوا جنبًا إلى جنب معهم، وكانوا على خلاف معهم على الأغلب، يجب أن تُعطى الأولوية على أية محاولات حديثة لمراجعة فهمنا نحن لماهية الغنوصية.

## ٣-الوثيقة الموراتورية: إطلالة على قانون الكنيسة الأول

القائِمة الموراتورية واحِدة من أهم القوائِم التي ساهمت في التقريب لتاريخ قانونية العهد الجديد أي متى صار لكنيسة ما من بين مئات الكنائس الرومانية إنجيلها الرسمي الخاص، وتتكون من خمسة وثمانين سطرا مكتوب بلاتينية ركيكة.(١)

### أ- أهميتها:

في ظل غياب اي توثيق للأناجيل وفي ظلّ غياب السند والتواتر لما بين ايدي المسيحيين من اناجيل، ظهرت الحاجة للبحث الجاد عن مصادر الإنجيل ومتى تكون وكيف تكون والخطوات التي اتخذها الى ان وصل الى شكله النهائي الذي عليه اليوم، ولنا ان نتخيل ان يظل المسيحيون يحملون حتى اليوم كتابا لا يعرفون متى وصلهم او متى صار مقدسا... ومن هنا تكمن اهمية هذه الوثيقة والتي صنعت قداسة للكتاب المقدس بعد قرن ونصف فقط من نشأة وكتابة الاناجيل....!!

تقول عنها دائرة المعارف الكتابية «الوثيقة الموراتورية وهى جذاذة صغيرة، ترجع إلى حوالى ١٧٠م التي تقدم لنا قائمة بأسفار العهد الجديد مع كلمة موجزة عن كل كاتب». مجموعة من اللاهوتيين، تحت كلمة إنجيل مرقص.

وتقول دائرة المعارف الكتابية تحت كلمة إنجيل لوقا « ووجود الإنجيل الثالث في الوثيقة الموراتورية ١٧٠م أمر له اهميته الكبيرة، كما أن تاتيان قد استخدمه في كتابه «الدياطسرون» ١٧٠م باعتباره أحد الأناجيل الأربعة المعترف بها». (لاهوتيين)

دائرة المعارف الكتابية تحت كلمة «أبوكريفا» الوثيقة الموراتورية بيان بالأسفار المعترف بها في الكنيسة في حوالي ١٩٠ م.

---

(١) ويُمكِن مراجعة نص الوثيقة كامِلًا باللاتينية والإنجليزية في الموقع الإلكتروني، على التالي الرابِط:
*http://www.bible-researcher.com/muratorian.html*

## ب- متى اكتُشِفت؟

اكتشفها المؤرّخ الإيطالي والعالم اللاهوتي انطونيو موراتوري[(١)] في مخطوطة[(٢)] تعود للقرن السابع[(٣)] بمكتبة أمبروز بميلان وقام بنشرها عام ١٧٤٠ ميلادية[(٤)] حيث نشرها كصورة يضرِب بها مثلاً لعدم اهتِمام نُسّاخ العصور الوُسطى بنسخهم ومخطوطاتِهم. (ميتزجر صفحة ١٩٢).

## ت- أهم الدراسات حولها:

وقام كارل كريدنر *Karl August Credner* بعمل دراسة تحليلية عليها في كتابه تاريخ قانونية العهد الجديد ونُشِر بعد وفاته عام ١٨٦٠ م، ثم قام أدولف هيلجنفيلد بالإشارة إلى أهمية هذه المخطوطة وقام بترجمتها إلى اليونانية وذلِك عام ١٨٦٣م. ثم ركّز فرانز أوفربِك *Franz Overbeck* على خلافات الآباء حول الرسالة إلى العبرانيين وركّز على أهمية القائِمة الموراتورية وما تُقدِّمه من دلائل القانونية في النصف الثاني من القرن الميلادي الثاني. ثم أخيرا خرج أدولف هارناك بنظرياته التي قلبت وعقدت الامور جدا، فبنى على معطيات الكتابات التاريخية ان مارقيون هو اول من وضع إنجيل مسيحي، وان القائمة الموراتورية هي قائمة رسمية لكنيسة روما.

## ج-أهم المُلاحظات عليها:

١- أنها كُتِبت بلاتينية ركيكة، والمعلوم أن الكنيسة الرومانية كانت يونانية، ولكِن

---

(1) *http://www.encyclopedia.com/doc/1E1-Muratori.html*

(٢) تتكون هذه المخطوطة من ستة وسبعين ورقة ومحتواها عبارة عن جمع قام به راهِب في القرن الثامن الميلادي وجمع فيه مواعظ لآباء الكنيسة في القرنين الرابع والخامس الميلادي وهؤلاء الآباء الذين جمع مواعِظهم هم: (يوحنا ذهبي الفم، وأمبروز، وأوخيريوس).

(٣) أو تعود للقرن الثامِن كما قال بروس ميتزجر في كتابه قانونية العهد الجديد، ص.١٩٢.

(4) *http://www.bible-researcher.com/muratorian.html*

هذه القائِمة كُتِبت بلاتينية ركيكة، مما يعني أنها ترجمة لقائِمة الكنيسة اليونانية، وشكك كثير من العُلماء في هذه الترجمة، وقيل أنها ترجمة مقصودة لصُنع قانونية وهميّة.. (ميتزجر صفحة ١٩٣) (*413-pp. Part1 pp.405 1890*).

٢- الخواص الصوتية والشكلية لكلمات هذه الترجمة اللاتينية تؤكِّد انها تعود للاتينية القرن الميلادي الخامس والتي تتشابه في لاتينيتها مع لاتينية الفولجاتا التي ترجم إليها القديس جيروم الفولجاتا. (*496-Campos, 1960 pp. 485*)

٣- القائِمة لاقت الكثير من النقد حول منشأها، ومكانها ومن ألّفها...

٤-الخلاف بين أصل المنشأ قام حولها نظريتين أحدهما ينادي بالمنشأ الغربي والآخر يُنادي بالمنشأ الشرقي.. ومن نادى بِالمنشأ الغربي هو بروس ميتزجر، وايفريت فيرجسون *Everett Ferguson*، وعُمدتُهم في ذلِك أن المخطوطة لم تعترِف برسالة يعقوب والرسالة إلى العبرانيين وهذ تماماً ما تبنته الكنيسة الرومانية الغربية (ميتزجر صفحة ١٩٣) ( *Ferguson, 1982* الصفحات ٨٣-٦٧٧)، أو المنشأ الشرقي في سوريا وفلسطين ومن نادى بذلِك هو صاندبِرج.

٥- الخِلاف حول تاريخ القائِمة. هل تعود للفترة من ١٧٠ إلى ٢٠٠، أم تعود للقرن الميلادي الرابع ولبدايات القرن الميلادي الخامِس؟!!وأما من تبنى أنها تعود للعام ٢٠٠ ميلادية وليس أكثر من ذلِك فهو بروس ميتزجر، وعُمدتُه، أن رسالة هرماس التي اعترفت بها الوثيقة كُتِبت في روما و»أخوه بيّوس» الذي أشارت إلى اسمه الوثيقة في السطر ٧٣ وتُشير الرسالة إلى أنها قد كُتِبت بعد وفاته بوقت قريب[1]، وبيّوس هذا هو من كان يشغل منصب راهِب في كنيسة روما في

---

(١) أما هارناك فيرى انه مات ما بين (١٤٠- ١٥٥ م) ويرى لاجرانج أنه مات ما بين (١٤١- ١٥٥ م) ويرى كواستن أنه مات ما بين (١٤٢- ١٥٥ م)، ويرى تجريلو أنه مات ما بين (١٤٢- ١٥٧ م)، وعليه فإن تاريخ الرسالة يكون في الفترة ما بين ١٥٥ إلى ٢٠٠ ولا يزيد عن ذلِك حسب رأي بروس ميتزجر.

النصف الثاني من القرن الميلادي الثاني، بينما يرى صاندبرج أنها تعود للقرن الميلادي الرابع ( Sundberg, 1973 الصفحات ١-٤١). وهذا يعني أن قداسة الإنجيل وقانونية كتبه تكونت في القرن الميلادي الرابع. وقد قوبلت نظرية صاندبرج هذه ببرود من قبل نقاد العهد الجديد وعلماء القانونية إلى أن كان بعد عقْدين من الزمان أن ظهرت إلى السطح مرة أخرى هذه القضية، وقام هاهنمان بمناقشة هذه الوثيقة ودراستها دراسة تامة ليُثبت بكل قُوة أنها تعود للقرن الميلادي الرابع وأنها كُتِبت في الشرق (Hahenman, 1992). وكانت حُجته مُقنِعة للكثيرين من علماء القانونية Kalin ) (Koester . 1990) ( Grant, 1993) 1990 . (الصفحات ٨٢-٢٧٤)، ورسمت صورة قوية لتاريخ القانونية بصفة عامة وكان ذلِك عام ١٩٩٢ ميلادي، وما يزال العلماء منقسِمون حتى اليوم بين النظرية التقليدية والتاريخ القديم والنظرية الحديثة والتاريخ الحديث ( Gamble الصفحات ٢٦٩-٢٧١). وتبقى الحقيقة أنه سواء كانت هذه الوثيقة تعود للقرن الثاني أو الرابع فمن قال أنها تعود للقرن الرابع فإن ذلِك لا يؤثِّر شيئاً على قانونية الإنجيل، لأن الأناجيل بالتأكيد ظهرت على لسان إيريناوس في أواخِر القرن الثاني، ومُثبتة على لسانه دون حاجة للوثيقة، ولا يؤثِّر شيئاً لمن قال انها تعود للقرن الميلادي الثاني، لن الوثيقة تحذِف كتباً وتُضيف أخرى، لا تعترف بها كنائس اليوم!!!. ( Gamble صفحة ٢٧١).

٦- الخِلاف حول مؤلِّف الوثيقة: فقيل (Robinson, 1906 الصفحات ٩٥-٤٨١) ( Lagrange, 1926 الصفحات ٨-٨٣) انه هيبوليتوس ١٧٠ - ٢٣٥[1]. ويرُد هذا الرأي أن هيبوليتس تعلق بالرسالة إلى العبرانيين في حين لا تعترِف بها هذه

(١) هيبوليتوس هو كاتب ومؤرخ الكنيسة الرومانية في القرن الميلادي الثاني، وقيل أنه من النصارى المتهودين، وسبب تنصُّرِه هو الإنجيل الذي للعبرانيين كما ذكر في كتابه الخامس حسب ما نقله عنه يوسابيوس القيصري في تاريخ الكنيسة..!

الوثيقة، وكذلِك فإن هيبوليتوس يرى أن الرؤيا كُتِبت في عصر دوميتيان مِثله في ذلِك مِثْل ارينـاوس، بينما نجِـد الوثيقة تؤكِّـد أن الرؤيا كُتِبت قبل رسـائل بولس (ميتزجر صفحة ١٩٤).وقيل أنـه ( *Bartlett* ، وآخرون، ١٩٠٦ الصفحات ٢٤-٢١٠) ميليتو أسـقف سارديسـمات ١٨٠ م[١] وقيل أنها كانت جزءاً من كتابات اكليمندس السكندري...[٢]

٧- محتـوى القانون الموراتوري: ليسـت قائمة قانونيـة بمعنى الكلمـة الحرفية وإنما كانت عبـارة عن قائِمة بأسـماء الكتـب التي يتكـون منها العهـد الجديد كمدخل ومُقدمة للكتاب المُقدس ويقوم كاتِبها بسرد أسـمائها وتقديم معلومات تاريخية حولهم وتبيان أهميتهم اللاهوتية.

٨- إضافة كُتب غير موجودة في إنجيل اليوم: وسنتحدّث عنها بعد قليل.

٩-حذف كُتُب تم إضافتها إلى إنجيل اليوم: وسنتحدّث عنها بعد قليل.

## ح- الأناجيل حسب قانون موراتوري

- بالنسـبة لإنجيل متى ويكاد بروس ميتزجر أن يُجـزم تأكيداً أن الوثيقـة اعتبرته أول الأناجيل وإن كان هذا السطر قد سقط من الوثيقة.
- الإنجيل الثاني هـو إنجيل مُرقس، وبرغـم أن ذلِك يُقـرأ بالكاد من احـرف الوثيقة المطموسة، ولكن تقول الوثيقة أن مرقس لم يكن شاهِد عيان للأحداث وإنما نقل على لسان شاهِد او اثنين ممن شاهدوا الأحداث...!!
- وبالنسـبة لإنجيل لوقا: فتقول الوثيقة أن لوقا نفسـه لم يكن شـاهد عيان ولأنه كان

---

(١) القديس ميليتو أسـقف سـارديس له دور في دعم الكنيسـة بأقـدم مصدر يُعتقد أنه قانونيـة مبكرة للعهد القديم ارتآها هو.

(٢) لاهوتي يوناني تابع لمدرسة الإسكندرية لا يُعرف تاريخ ميلاده وتُوفي في اوائل القرن الثالث الميلادي، سنة ٢١٥م.

غيورا للشريعة فقد صار مساعِداً لبولس بعد صعوده.. وكتب عن ميلاد يوحنا المعمدان، وقد كان طبيباً وباقي ما وُصِف به يبدو مأخوذاً من مقدمة لوقا نفسه في إنجيله للفقرات من-١ ٤. (ميتزجر صفحة ١٩٥).

- إنجيل يوحنا: كُتِب عنه في الأسطر من ٩ إلى ١٦، فتقول عن سبب كتابته ومنشأ الإنجيل « عندما ألح البطاركة والتلاميذ على يوحنا أن يكتُب إنجيله، فقال لهم» صوموا من اليوم معي ولثلاثة أيام، وليقل كل منا للآخر ماذا اوحي له « وفي نفس الليلة جاء الوحي إلى اندرو وهو أحد الرُسُل أن يوحنا يجِب أن يكتُب كل شيء وباسمه، بينما يجِب عليهم جميعاً مراجعة ما كتب « وهكذا صنعت الوثيقة من إنجيل يوحنا إنجيلا قانونيا موحى به ومتفق عليه بين الاثني عشر رسولاً..!![١]

## د- محتوى القائِمة القانونية لقانون موراتوري

هل هي قائِمة الكتاب المقدس اليوم؟!

١- إنجيل متى

٢-إنجيل مرقس

٣- إنجيل لوقا

٤-أعمال الرُسُل.

٥- رسائل بولس الثلاثة عشر.. وهي على هذا الترتيب:

- رسالة كورنثوس الأولى
- رسالة كورنثوس الثانية
- الرسالة إلى افسس

(١) ويُمكِن مراجعة نص الوثيقة كامِلًا باللاتينية والإنجليزية من على هذا الرابِط:

http://www.bible-researcher.com/muratorian.html

- الرسالة الى فيليبي
- الرسالة الى كولوسي
- الرسالة الى غلاطية
- الرسالة الى تسالونيكي ١
- الرسالة الى تسالونيكي ٢
- الرسالة الى رومية
- الرسالة إلى فيلمون
- الرسالة الى تيتوس
- الرسالة الى تيموثي ١
- الرسالة الى تيموثي ٢

ويرى كاتِب الوثيقة أن بولس كتب رسائله الى الكنائِس السبعة بعد ان كتب يوحنا رؤياه الى الكنائس السبعة!!

٦- رسالة ليوحنا[١]

٧- رؤيا يوحنا

٨-رؤيا بُطرس

٩- كتاب الحكمة الذي كتبه أصدِقاء سليمان..!

الكُتُب التي لم تعترِف بها القائِمة وقذفت بها خارِجاً من الكنيسة الرسولية:

---

(١) ولا يُعرف أي رسالة من الثلاثة يقصِدها؟!!.. فهارناك يرى أنه يقصِد الرسالتين الاولى والثانية برسالة واحِدة، ويغره يرى أنه لا يقَدس إلا رسالة واحدة لأن الرسالتين تُرجِمتا للاتينية في وقتين منفصلين، وأجمع الجميع ان الرسالة الثالثة خارج من القانونية لأن الكنيسة لم تعترف بها مُبكراً.

١- الرسالة إلى العبرانيين.

٢- رسالتين ليوحنا أو الرسالة الثالثة.!

٣- رسالة يعقوب

٤-رسالة بطرس الأولى

٥- رسالة بطرس الثانية

الكُتُب التي اعترفت بها القائِمة وكنيسة الأمس، وقذفتها الكنيسة اليوم:

١- كتاب الحِكمة لأصدقاء سليمان.

٢-رؤيا بُطرس.

٣-رسالة هرماس الراعي ولا تُقرأ خارِج الكنيسة.!

## ذ-نص الوثيقة الموراتورية مترجما من اللاتينية إلى العربية

«إن السفر الثالث للإنجيل هو ذاك الذي لِ لوقا. فـ لوقا، الطبيب المشهور، كتبه باسمه الخاص... وسفر الإنجيل الرابع هو ذاك الذي ليوحنا، أحد التلاميذ.... وهكذا بالنسبة إلى إيمان المؤمنين لا يوجد تضارب، على الرغم من أن منتخَبات مختلفة تُعطى من الوقائع في الأسفار الفردية للأناجيل، لأنه في الكل كلها تحت توجيه الروح المرشِد الواحد أُعلِنت كل الأمور التي لها علاقة بولادته، آلامه، قيامته، تحدّثه إلى تلاميذه، ومجيئه المزدوج، الأول في الذل الناتج من الاحتقار، الذي حدث، والثاني في مجد السلطة الملكية، الذي سيأتي بعدُ. إذاً، إنْ أدلى يوحنا بمنتهى التوافق في رسائله بهذه الأمور الكثيرة، قائلاً شخصياً: «ما رأيناه بعيوننا، وسمعناه بأذاننا، ولمسته أيدينا، فهذا ما كتبناه.» فهو بذلك يعترف أنه ليس شاهد عيان فقط ولكنه أيضاً سامع وراوٍ لكل أمور الرب العجيبة بحسب تسلسلها. وإضافة إلى ذلك، فإن أعمال الرسل كلهم مكتوبة في سفر واحد. هكذا شملها لوقا من أجل صاحب السموّ ثاوفيلس... أما بالنسبة لرسائل بولس، فهي توضح بذاتها

أهداف وأسباب وأماكن إرسالها، لمن يريد أن يفهم. أولاً كتب بإسهاب إلى أهل كورنثوس ليمنع انشقاق الهرطقة، ثم إلى أهل غلاطية ضد الختان، وإلى أهل رومية عن أمر الأسفار المقدسة، مصرّحاً أيضاً أن المسيح هو القضية الرئيسية فيها - التي من الضروري أن نناقش كلاً منها، إذ نرى أن الرسول المبارَك بولس نفسه، باتباع مثال سلفه يوحنا، لا يكتب إلى أكثر من سبع كنائس بالاسم بالترتيب التالي: إلى أهل كورنثوس الأولى، إلى أهل افسس الثانية، إلى أهل فيلبي الثالثة، إلى أهل كولوسي الرابعة، إلى أهل غلاطية الخامسة، إلى أهل تسالونيكي السادسة، إلى أهل رومية السابعة. ولكن على الرغم من أنه يكتب مرتين من أجل تقويم أهل كورنثوس وأهل تسالونيكي، يجري الإظهار أن هنالك كنيسة واحدة منتشرة في كل الأرض؟ يعني بهذه الكتابات السُباعية؛ أيضاً يوحنا في الرؤيا، مع أنه يكتب إلى سبع كنائس، يتحدث بذلك إلى الجميع. ولكنه كتب بدافع العاطفة والمحبة واحدة إلى فِليمون، وواحدة إلى تيطس، واثنتين إلى تيموثاوس؛ وهذه تُحسَب مقدسة في اعتبار الكنيسة المكرَّم.... وأيضاً، تُعَدّ رسالة ليهوذا واثنتان تحملان اسم يوحنا... **ونتسلم سفري الرؤيا ليوحنا وبطرس فقط، الذي الأخير لا يرغب البعض منا أن يُقرأ في الكنيسة.»**

إلى هنا تنتهي الترجمة العربية الكنسية للوثيقة الموراتورية، وهو نمص الترجمة الشائع. وبالرجوع إلى أصلها الإنجليزي المترجم مباشرة عن اللاتينية، نجد إضافة مهمة جدا تم إخفاؤه لا أدري السبب في ذلك ولا أريد الاستعجال في إصدار أحكام دوغمائية غير علمية، لكنها في أقل أحوالها منافية لقانون العلم الذي يقتضي نقل الحقيقة كما هي. والزيادة في النسخة الإنجليزية كما يلي:

*«But Hermas wrote «the Shepherd» in the city of Rome most recently in our times. when his brother bishop Pious was occupying the chair in the church at Rome. And so indeed it ought to be read but that it be made public to the people in the church and placed among the prophets whose number is complete or among the apostles is not possible to the end of time.*

*Of Arsenus, Valentinus, or Miltiadees we receive nothing at all. Those also who wrote the «new book of Psalms. «Marcion together with Basilides, and the Asian Cataphrigians...»*

وترجمتها العربية كما يلي:

« ولكن **هرماس كتب «الراعي»** في مدينة روما في أواخر عصرنا، عندما كان شقيقه الأسقف الورع يشغل كرسي في الكنيسة في روما. وذلك في الواقع **فإنه يجب أن تقرأ لكن لعامة الشعب في الكنيسة**، وأن توضعها بين الأنبياء الذين عددهم كامل أو بين الرسل لكن ليس من الممكن في نهاية الوقت. من أرسينيوس، وفالنتينوس، أو ميليتيادوس لا نأخذ أي شيء على الإطلاق. أولئك أيضا الذي كتب «كتاب المزامير»، مرقيون جنبا إلى جنب مع باسيليدس، والكاتافرجيانيين الآسيويين».

في الواقع، فالأهمية اللاهوتية للوثيقة الموراتورية، تتجلى في وصف الكتب المقدسة للكنيسة المسيحية في القرن الثاني الميلادي، وكما بينا من قبل فإنها تضفي القداسة والقانونية على كتب اعتبرت بعد ذلك في مجمع نيقة ٣٢٥ ميلادية من الكتب الهرطوقية الناطقة بالكفر والزندقة ويحرم قائلها. فهل كانت الكنيسة في قرنها الثاني الميلادي محرومة من النعمة والخلاص؟ أم أنها كانت على هدى السيد المسيح عليه السلام؟

الحقيقة أن ما أثار المجتمعين في مجمع نيقية، هو كتابي رؤيا بطرس وكتاب راعي هرماس. وخصوصا الأول لأنه متضمن لنفس الثيولوجيا الآريوسة الذي عقد المجمع النيقاوي لدحضها وحرم صاحبها.

فقد اكتشفت رؤيا بطرس في مكتبة نجع حمادي بمصر سنة ١٩٤٥، وتمت ترجمتها، مع وجود بعض الاعتراضات الأولية كما تشهد به الوثيقة، لكنها كما يبدو لم تكن سوى اعتراضات أقلية غير مؤثرة مع مباركة أساطين الكنيسة لها، وإلا لما تم ابقاؤها في الكتاب المقدس. وقد نص مؤرخ الكنيسة يوسابيوس القيصري على أن **رؤيا بطرس** من الرسائل المتنازع عليها، ومع ذلك فقد استشهد بها كبار قديسي الكنيسة المسيحية الأوائل من الذين تلقوا التعاليم من الرسل،

كالقديس اكليمندوس السكندري ١٥٠-٢١٥ ميلادية. قال يوسابيوس، في الفصل الرابع عشر من تاريخه «وبالاختصار لقد قدم في مؤلفه -وصف المناظر- وصفا موجزا عن جميع الأسفار القانونية دون أن يحذف الأسفار المتنازع عليها، أعني رسالة يهوذا والرسائل الجامعة الأخرى ورسالة برنابا والسفر المسمى رؤيا بطرس» (القيصري، ١٩٧٩ صفحة ٣٠٢)، كما نصت دائرة المعارف الكتابية، تحت كلمة رؤيا بطرس- على أن سوزومين يسجل في القرن الخامس أنها كانت تقرأ في الكنائس سنويا في يوم جمعة الصلب[(١)].

السؤال الذي يفرض نفسه الآن، لماذا تم حذف هذه الرسالة من الكتاب المقدس، على الأقل فيما بعد القرن الخامس الميلادي على حد المؤرخ المسيحي سوزومين وأو في تاريخ أبكر زمن مجمع نيقية ٣٢٥ ميلادية؟

بنفس المنهجية، سنناقش الكنيسة في أسباب حذفها لكتاب راعي هرماس[(٢)]، خصوصا وقد استشهد به كبار رجال الكنيسة المعتبرين والأورثوذكسيين.

فقد جاء في مقدمة إنجيل الديداخي أي تعاليم الرسل أن كتاب الراعي هرماس «هو الأوسع انتشارا مما وصل الينا من كتب الآباء الرسوليين، والكتاب ينتمي إلى أسلوب الرؤيا، وقد احتل مكانة مرموقة في القرون الأولى المسيحة، وارتقى عند بعص الآباء أمثال إيريناوس وترتليانوس وكليمندوس الإسكندري وأوريجانوس إلى مستوى كرامة الأسفار الإلهية. ويذكر يوسابيوس القيصري أن كتاب راعي هرمس كان يتلى في بعض الكنائس، ويستخدم في تعليم الموعوظين وطالبي العماد في أوائل القرن الرابع الميلادي» (راهب، ٢٠٠٠ صفحة ٥٧). كما أن إيريناوس أبو التقليد الكنسي ايضا كان يؤمن أن راعى هرماس

---

(١) برنامج الكتروني لدائرة المعارف الكتابية.

(٢) هرماس: كان معاصراً لبولس الرسول، وذكر اسمه في رومية ١٦: ٤. كتب ثلاثة مجلدات في أواخر القرن الأول استشهد فيها بكثير من كتب العهد الجديد. وكانت له منزلة كبرى عند القدماء، وهو معاصر لاكلمندوس الروماني. انظر الديداخي أي تعليم الرسل، ص: ٥٨، ترجمة: راهب من الكنيسة القبطية، مكتبة المنار، يناير ٢٠٠٠.

ضمن أسفار الكتاب المُقدس..!!، فقد ذكر يوسابيوس في الكتاب الخامس، الفصل الثامن من تاريخ «هذا ما ذكره في المؤلف المشار اليه عن رؤيا يوحنا وقد ذكر أيضا رسالة يوحنا الأولى، مقتبسا أدلة كثيرة منها وأيضا من رسالة بطرس الأولى، **وهو لا يعرف كتاب الراعي فقط بل أيضا يقبله...**» (القيصري، ١٩٧٩ صفحة ٢١٧). إذن ما يتضمن هذين الكتابين من ثيولوجيا ترعب الكنيسة اللاحقة حتى تم حذفها من الكتاب المقدس واعتبرا مهرطقين، هذا ما سنراه في النقطة الموالية بحول الله.

## ٤- رؤيا بطرس: رؤية من زاوية أخرى لقضية صلب المسيح

كما مر معنا في النقطة الثالثة من هذا الفصل، فسفر رؤيا بطرس كانت من الكتب القانونية المعترف بها، رغم بعض التحفظات عليها، لكن سرعان ما تطور الوضع لغير صالحها، فتم اعتماد رأي الأقلية على حساب رأي الأغلبية؟؟ وأزيلت من الكتاب المقدس، وهذا ما سنحاول بيانه وتجليته.

وُجد مقطعان لهذه الرؤيا على البردية في ترجمتين: ترجمة يونانيّة تعود إلى القرن الثامن أو التاسع، وقد ضاعت بدايتها ونهايتها. وُجدت رؤيا بطرس مع « إنجيل بطرس» في مدفن راهب مسيحي في اخميم صعيد مصر. وترجمة حبشيّة تامّة وموسّعة مع مضمون وبنية يختلفان عمّا في الترجمة اليونانيّة. إن «رؤيا بطرس» هذه لا علاقة لها برؤيا بطرس التي اكتشفت في نجع حمادي سنة ١٩٤٥. رؤيا بطرس نجع حمادي حُفظت لنا منها مقاطع في اليونانيّة والحبشية. هي إحدى أقدم الرؤى المسيحيّة. وقد أُلّفت حوالي سنة ١٣٥ ميلادية، لا سيّما وأن النشاط المنادي بالمسيحانيّة اليهودية، قد صوّر كأزمة اسكاتولوجيّة. فهذه الرؤيا، شأنها شأن سائر الرؤى الغنوصيّة، ترتبط بقيامة المسيح. يسوع هو وسيط الوحي السماويّ، وسيط آيات وأحداث النهاية، ورؤى أمكنة مجازاة الابرار وعقاب الخطأة.

وقد ترجم رؤيا بطرس[١] التي في نجع حمادي، جايمس براشلار *James Brashler* وروجر بولار *Roger A.Bullard* مع باقي النصوص ٥٢ المكتشفة سنة ١٩٧٥.

## أ-نص رؤيا بطرس

«حين كان المخلص جالسا في الهيكل في السنة الثلاثة مئة من العهد واتفاق الأعمدة العشرة، وكان راضيا عن عدد الأحياء، الأجلاء النزيهين، قال لي،» بطرس، مباركين الذين هم فوق منتمين للآب، الذي كشف الحياة لمن هم من الحياة، من خلالي، حيث اني ذكرتهم ان من يبني على ما هو قوي، سيسمعون كلمتي، ويفرقون بين كلمات الفساد وانتهاك القانون وبين الصلاح، حيث انه من فوق كل كلمة امتلاء الحق، أصبح منيرا برضى من الذي تنشد منه المبادئ. لكنهم لم يجدوه، ولم يذكر في أي من أجيال الأنبياء. وقد ظهر الآن بين هؤلاء، الذي فيه ظهر، ابن الإنسان، الذي مُجدَ فوق السماوات في خوف الإنسان من شبه الجوهر. لكنك أنت، يا بطرس، أصبحت كاملا منسجما مع اسمك ونفسي، الذي اختارك، لأنه منك أسست قاعدة بقايا من استدعيت للمعرفة. لهذا كن قويا إلى تقليد الصلاح- الذي منه يستدعيك مستدعيا إياك لمعرفته بطريقة تستحق الفعل بسبب الرفض الذي حدث له، ووتر يده ورجليه، وتاج من في جانب الوسط، وجسد شعاعه الذي احضروه متمنين ان يخدم بسبب جائزة الشرف - لأنه كان على وشك ان يوبخك ثلاثة مرات في هذه الليلة.»

وبينما كان يقول هذه الأشياء، رأيت الكهنة والناس يركضون نحونا حاملين حجارة، كما لو كانوا سيقتلوننا، وكنت خائفا من أن نموت. وقال لي، «بطرس، لقد اخبرتك مرات عديدة انهم عميان بلا هاد. اذا أردت ان تعرف عماهم، ضع يديك على عينينك وقل ما الذي تراه.» وحين فعلت ذلك، لم أرى شيئا. قلت «لا أحد يرى بهذه الطريقة.» ومرة اخرى قال لي «افعل ذلك ثانية.» فشعرت بخوف وبهجة، لأني رأيت نورا جديدا اعظم

---

(١) النص الإنجليزي لرؤيا بطرس التالي:

http://www.gnosis.org/naghamm/apopet.html

من نور النهار. ونزل على المخلص. واخبرته عن الأشياء التي رأيتها. وقال لي مرة اخرى» ارفع يديك واسمع لما يقوله الكهنة والناس.» «وسمعت الكهنة وهم جالسون مع الكتبة. والعامة يصرخون». وحين سمع تلك الأشياء مني قال لي، «أنصت بانتباه واستمع لما يقولونه.» وسمعت مرة اخرى «فيما انت جالس، انهم يمجدونك». وحين قلت ذلك، قال المخلص، «لقد اخبرتك ان هؤلاء الناس عميان وصم. والآن، استمع للأشياء التي يقولونها لك بالغموض، واحرسهم، **ولا تخبرها لابناء هذا الجيل. لأنهم سوف يجدفونك في هذه الأجيال حيث أنهم جهلة بك، لكنهم سيمجدونك في المعرفة»**. **«لأن الكثيرين سيقبلون تعاليمنا في البداية.** وسيبتعدون عنها مرة اخرى بمشيئة الآب بسبب خطيئتهم، **لأنهم فعلوا ما** اراده. وسيكشفهم في يوم دينونته.اعني، خدام الكلمة. لكن من اختلطوا بهؤلاء سيصبحون سجانيهم، لأنهم من غير ادراك. وطيب السريرة، الخير، والصفاء واحد حين يدفعون الى عامل الموت، والى مملكة الذين يمجدون المسيح بالاسترجاع. ويمجدون رجال الباطل، فهؤلاء سيأتون بعدك. وسوف يلتصقون باسم الرجل الميت، ظانين انهم سيصبحون طاهرين. ولكنهم سيصيرون مدنسين جدا وسيسقطون في اسم الخطيئة، وفي يد الشر، رجل خبيث وعقائد متعددة، وسيستعبدون بلا قانون. «لأن بعضهم سيجدف على الحقيقة ويطالب بتعاليم شريرة. وسيقولون أشياء شريرة ضد بعضهم البعض. والبعض سيدعون اولئك الذين يقفون في الـ قوة الملائكة، لرجل وامرأة عارية متعددة وخاضعة لكثير من الآلام. وهؤلاء الذين يقولون أشياء سيسألون عن الأحلام. واذا قالوا أن الحلم جاء من جان يستحقون خطيئتهم، وسيعطون بعد ذلك هلاكا بدلا من النزاهة. «لأن الشر لا يقدر أن يطرح ثمارا جيدة. لذا فان المكان الذي يطرحون منه الذي هو مثله، لأن ليس كل روح من الحق، ولا من الأبدية. لأن كل روح من هذه الأجيال قد عين لها الموت حسب رؤينا، لأنها دائما عبدة، حيث انها خلقت من اجل رغباتها ودمارها الأبدي، الذي هم فيه ومنه. إنهم يحبون الكائنات التي جاءت معهم.» «لكن الأرواح الأبدية ليست كتلك، يا بطرس. لكنها بالحقيقة، طالما أن **الساعة لم تأتي بعد**، فإن الأرواح الأبدية سيتمثل بالأبدي، وتفكر حول الخلود، ويكون لهم ايمان، ورغبة في رفض هذه الأشياء.»

لأن الناس لا تجمع التين من الشوك او من الشجر، لو كانوا حكماء، ولا العنب من الشوك. لأنه، من جهة، فان الذي يصير دائما هو في ذلك الذي هو منه، فكونك من ما هو ليس بجيد، يصير دمارا له وموتا. لكن الذي يجيء ليكون في الرجل الأبدي هو في الحياة وأبدية الحياة التي جاؤوا ليتمثلوا بها.

«لهذا فان كل ما يوجد لن يتحلل الى ما لا يوجد. لأن الصم والعمي ينظمون فقط مع من هم مثلهم.» «لكن الآخرين سيتغيرون من كلمات الشر ويضلون في غموض. البعض ممن لا يفهم الغموض يتحدثون بأمور لا يفهمونها، لكنهم سيتفاخرون بان غموض الحقيقة هو ملك لهم. وبغطرسة غرور يحسدون الروح الخالدة التي صارت فداء. لأن كل سلطان، حكم، وقوة **الأيون الدهر يتمنى ان يكون معهم في خلق العالم**، لأن من ليس معهم، نسوا من قبل الذين معهم، ليمجدهم، على الرغم من انهم لم يخلصوا، ولا احضروا للطريق من قبلهم، متمنين دائما ان يصيروا خالدين. لأن الروح الأبدية تستقبل القوة بروح متأملة- لكن في الحال انظموا مع من ضللهم.»

«لكن كثيرون آخرين، **ممن يعارضون الحقيقة وهم رسل الخطأ**، سينصبون اخطائهم وقانونهم ضد أفكاري النقية هذه، كمن ينظر من منظور معتقدا ان الخير والشر من مصدر واحد. انهم يتاجرون بكلمتي. وسوف ينتج عن ذلك قدر مؤلم. سباق الأرواح الخالدة سيذهب بعبث، حتى يوم دينونتي، الذي حصلت على فديتهم من العبودية التي كانوا فيها، لأعطيهم الحرية ليعملوا تقليدا باق باسم الرجل الميت، من **هو هرمس، المولود الأول للفساد**، ليكون ذلك النور الموجود لا يصدق من قبل الصغار. لكن هؤلاء الذين هم من هذا النوع هم عمال سيطردون الى الظلام الخارجي، بعيدا عن ابناء النور. فلا هم سيدخلون، ولا سيسمح لهم ان يذهبوا للأعلى لينالوا الموافقة على اعتاقهم.»ولا يزال آخرون منهم ممن يعانون يعتقدون انهم سيكملون حكمة إخوة التي توجد بحق، التي هي رفقة روحية لمن اتحدوا في تشارك، فمن خلال الزفاف النزاهة سيكشف. جنس شقيق الأختية سيظهر كتقليد. هؤلاء هم من يعارضون اخوتهم، قائلين لهم، « من خلال هذه فان

الهنا عنده شفقة، حيث إن الخلاص جاء الينا من خلال هذا هو» غير عارفين عقاب هؤلاء الذي يجعلون سعداء من قبل من فعل هذه الاشياء للصغار الذين رأوهم، ومن اخذوهم رهائن. «وسيكون هناك آخرون من هؤلاء الذي هم خارج عددنا الذين يسمون أنفسهم أساقفة وشمامسة، كما لو انهم قبلوا سلطتهم من الله. انهم يلوون أنفسهم تحت حكم الحكام. هؤلاء الناس هم سواقي جافة. «لكنني قلت إنني خائف بسبب ما قلته لي، ان الصغار في نظرنا مزيفين، حقا، ان هناك جماعات سيضلون جماعات أخرى من الأحياء، ويدمرونهم بينهم. وحين ينطقون اسمك سيؤمنون بهم.» قال المخلص، «لوقت محدد لهم بالنسبة الى خطأهم فسيحكمون الصغار. وبعد اكتمال الخطأ، فاللامرة اخرى لفهم الخالد سيصبح شابا والصغار سيحكمون فوق من يحكمهم. فانه سوف ينتزع جذور خطأهم، وسيضعها في عار حتى تتجسد في كل السفاهة التي ادعتها لنفسها. وشخص كهذا فلن يتغير، يا بطرس». «لهذا فتعال، دعنا نذهب مع كمال إرادة الأب غير القابل للفساد. ولهذا فانظر، فهؤلاء الذين سيحضرون لهم الدينونة قادمون، **وسيضعونهم في عار. ولكن انا لا يستطيعون ان يلمسوني. وانت، يا بطرس، ستقف في وسطهم. لا تخف بسبب جبنك. فان عقولهم ستغلق، لأن الخفي عارضهم.**» حين قال هذه الأشياء، رؤيتهم في ما يبدو محاصرا من قبلهم. وقلت « ماذا أرى، يا رب؟ **انه انت نفسك الذي أخذوه، وانت تمسك بي؟ أو من هذا؟ المبتهج الذي يضحك على الشجرة؟ وهل هو شخص آخر من دقوا يديه ورجليه؟» قال المخلص لي،» الذي رؤيته على الشجرة، مبتهجا وضاحكا، هو يسوع الحي. لكن الذي اخترقت المسامير يديه ورجليه هو جزؤه الجسدي، الذي هو بديل وضع للعار، الذي جاء للوجود شبيها له. ولكن انظر اليه ولي.» لكني، حين نظرت، قلت « سيدي، لا احد ينظر اليك.**[1] لنهرب من هذا المكان.» لكنه قال لي، « لقد قلت لك « اترك العميان لوحدهم!».

---

(١) قارن بما ورد في رؤيا شيث من مخطوطات نجع حمادي: «وكنت في أفواه الأسود، والخطة التي ابتكروها من أجلي ليطلقوا خطأهم وحماقتهم، لم أستسلم لهم كما خططوا لذلك!، لكني لم أتألم على الإطلاق، هؤلاء الذين كانوا هناك عاقبوني!، ولكني لم أمت في الحقيقة بل ظاهريا!، خشية أن أوضع

وانظر كيف لا يعلمون ماذا يقولون. لابن مجدهم بدلا من خادمي، فقد وضعوه للعار. **ورأيت شخصا على وشك ان يقترب منا شبيها به، حتى الذي يضحك على الشجرة. وهو امتلئ بالروح القدس، وهو المخلص.** وكان نور عظيم، لا يوصف حولهم. وجماعة من الملائكة الخفية التي لا توصف تباركهم. وحين نظرت إليه، فان الذي يمجد قد كشف. وقال لي،» كن قويا، فلأجلك قد اعطيت هذه الأحاجي، كي تعرفهم **من خلال الكشف،** انه الذي صلبوه هو مولود-أول، وبيت الشياطين والإناء الحجري الذي يسكنون فيه، لأولوهيم، للصليب، الذي هو تحت الناموس. لكن من يقف بقربه هو المخلص الحي، الأول الذي فيه، حاصروا واطلقوا، الذي يقف بفرح ينظر الى الذين تعاملوا معه بعنف، **بينما هم منقسمون بين أنفسهم.** لهذا ضحك على قلة إدراكهم، عارفا أنهم مولودين عميانا. لذا فان سريع التأثر للمعاناة سيأتي، **حيث ان الجسد هو البديل. لكن ما اطلقوه هو جسدي اللامادي.** لكنني انا الروح المفكرة مملوءة بنور متوهج. إن من رؤيته قادما نحوي هو امتلاءنا الفكري، الذي يوحد النور الكامل مع الروح القدس.»

«هذه الأشياء، اذا، التي رأيتها ستكون حاضرة لدى جيل آخر ليسوا من هذا الجيل.

---

في المهانة بواسطتهم لأن هؤلاء هم أقربائي، أزلت العار من عليّ ولم أصبح جبانا في مقابل ما حدث لي بأيديهم !، **كنت على وشك أن أستسلم للخوف، قد عانيت (تألمت) على حسب ظنهم ورؤيتهم ! من أجل ألا يجدوا أي كلمة ليتحدثوا عنهم،** من أجل موتي الذي ظنوا أنه حدث !، قد حدث لهم (أي الموت) في خطأهم وعماهم، من أجل أنهم سمّروا رجلهم إلى الموت، لأنه لم يراني !، لأنهم كانوا صما وعميا، لكن بفعلهم هذه الأشياء قد سلموا أنفسهم، نعم!، إنهم رأوني، إنهم عاقبوني، لقد كان واحدا آخر، إنه أبوهم ! الذي شرب الخل والمر، لم يكن أنا !، إنهم ضربوني بالقصبة، **لقد كان شخصا آخر، إنه شمعون الذي حمل الصليب على كتفه !، لقد كان شخصا آخر الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه، لقد كنت مبتهجا في القمة فوق كل ثراء الحكام ونتاج خطأهم ومجدهم الأجوف، وكنت أضحك على جهلهم،** وأخضعت كل قواهم، من أجل أني نزلت للأسفل، لم يرني أحد، لأني كنت أغير ملامحي، أتغير من هيئة إلى أخرى، لذلك عندما كنت عند أبوابهم اتخذتهم هيئتهم، فقد اجتزتهم بهدوء، وكنت أشاهد الأماكن ولم أكن خائفا أو خجلانا، **من أجل أني لم أهان وأدنس !»**

لأنه لن يكون هناك مجد في أي رجل ليس خالدا، ولكن فقط سيكون المجد في المختارين من الجوهر الخالد، الذي ظهر انه قادر على احتضان من يعطي بوفرة. لهذا قلت، «كل من يملك، سيعطى له، وسينال الكثير.» ولكن من لا يملك، ذلك، اسم المكان، الذي هو ميت بالكامل، الذي انتزع من زرع الخلق المولود، الذي، اذا ظهر أحد من جواهر الخلود، يظنون انهم يمتلكونه - سيأخذ منه ويضاف. فانت، اذا، كن شجاعا ولا تخف اطلاقا. لأني سأكون معك حتى لا يكون لأحد من أعداءك الغلبة عليك. سلام لك، كن قويا!»

حين قال هذه الأشياء أدرك بطرس نفسه.»(١)

## ب- تحليل رؤيا بطرس

لعل أهم ما يميز هذا الإنجيل -رؤيا بطرس- هو **نفيه الصريح والقطعي لصلب السيد المسيح عليه السلام**، وهو بذلك تأييد للكثير من الكنائس والطوائف المسيحية التي تنكر هذه العقيدة التي صارت فيما بعد محور من محاور الديانة المسيحية.

نسجل هنا أن استشهاد الآباء المؤسسين بها. وثبوت قانونيتها بدليل الوثيقة الموراتورية. لدليل جلي في نظرنا على تشكل المتأخر للاهوت المسيحي حتى القرن الرابع الميلادي.

كما أن الرؤيا تضم دلالات واضحة مصطلحية وفلسفية من الغنوصية المنتشرة في العالم المسيحي آنذاك بل وقبل ظهور المسيحية.

**وحسب الدلائل والمكتشفات الحديثة التي ترجع إلى القرن الأول والثاني والثالث الميلادي فإنه من الصعب الحديث عن معنى قانوني للاهوت وآخر غير قانوني نظرا لغياب كيان ديني موحد، من جهة أولى. ومن جهة ثانية وجود المئات بل الآلاف من العقائد التي تنتسب إلى المسيحية زاد من استعلانها مرسوم الإمبراطور قسطنطين المسمى في التاريخ**

---

(١) النص العربي على هذا الرابط:

*http://www.biblefacts.org/church/mcf.html*

**باسم مرسوم ميلانو عام ٣١٣ الذي ألغى مرحلة الاضطهادات. وشكل اعتناقه للمسيحية نقطة تحول هامة في التاريخ (*Blackwell*، وآخرون صفحة ١٩٦). حتى أننا قد لا نكون مبالغين إذا قلنا أن كل شخص روماني كان يحمل عقيدة خاصة به.**

الاختلاط المذهبي هذا وغياب اليقين التاريخي الموروث وفقدان الشهودية، أوقع الآباء المؤسسين في اضطراب كبير في انتقاء الكتب المقدسة وبالتالي تحقيق القول في العقائد المسيحية من غير المسيحية مع وجود فراغات كثيرة سنشير الى بعضها في هذا البحث، تنتهي الى نتيجتين حتميتين:

أولهما: اعتبار كل الموروث العقائدي غنوصيا مهرطقا.

ثانيهما: قبول كل الموروث العقائدي باعتباره مسيحيا.

ثالثها: تنقيح هذا الموروث، لكن على أي مرجعية سيكون هذا التنقيح؟ خصوصا وأن العقائد المتضاربة تُرجع إلى الرسل، وكل لاهوت ينتسب الى رسول وإلى رسالة مقدسة أو إنجيل مقدس. فالكاربوكراتيون كانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح ويوجبون الزنا والفساد الجنسي باعتباره تجربة يجب أن تمر منها الروح لتتعلم المعرفة والحكمة-الجنس المقدس- ولهم إنجيل اعتمدوه من الكنيسة اسمه إنجيل مرقس السري وقد تحدث عنه القديس كليمنضوس السكندري في رسالته الى ثيودورس (الطرزي، ٢٠٠٥ صفحة الكتاب الثالث ص:١٩٩). فتبريرهم المجون والإباحية المقدسة نابع من خلفية كتابية وتأويل خاص للإنجيل. لا يفرق عندنا عن اعتقاد التجسد وألوهية المسيح. فهي عقيدة غنوصية ايضا ساهمت الظروف السياسية في تزكيتها وهيمنتها فيما بعد على المشهد الديني الروماني بقوة السلاح والإرهاب وحرق المخالفين أحياء والتي استمرت مناقضتها حتى بعثة محمد بن عبد الله القرشي نبي الإسلام ﷺ. (سليمان، ٢٠١٠ صفحة ٨٥).

أشارت الوثيقة الموراتورية -١٧٠-/ ١٩٠ ميلادية- إلى وجود بعض التحفظ على رؤيا بطرس، مع أن المعتقد الغنوصي لا يظهر فيها بشكل جلي اذا قورن بإنجيل يهوذا

الاسخريوطي أو إنجيل فليبس على سبيل المثال، لذلك تأكدت قانونياتها في تلك الكنيسة، لكن سبب التحفظ الحقيقي في تصورنا هو إنكارها لعملية صلب المسيح وإقرارها بصلب الشبيه. يقول السيد المسيح مخاطبا بطرس حواريه -حسب الرؤيا-: « وقلت « ماذا أرى، يا رب؟ انه انت نفسك **الذي أخذوه، وانت تمسك بي**؟ أو من هذا؟ المبتهج الذي يضحك على الشجرة؟ وهل هو شخص آخر من دقوا يديه ورجليه؟» قال المخلص لي،» الذي رأيته على الشجرة، مبتهجا وضاحكا، هو يسوع الحي. لكن الذي اخترقت المسامير يديه ورجليه هو جزؤه الجسدي، الذي **هو بديل وضع للعار، الذي جاء للوجود شبيها له**. ولكن انظر اليه ولي.» لكني، حين نظرت، قلت «سيدي، لا احد ينظر اليك». نلاحظ من خلال هذا المقطع من رؤيا بطرس أن تموقع الشخصيتين المتحاورتين ليس تموقعا ماديا، وكأنهما في عالم آخر -مثالي- غير عالم يسوع وبطرس. فإن يسوع وبطرس ينظران من خارج إطار الرؤية: فهما ينظران إلى يسوع آخر وهو ضاحك على الشجرة وشبيه له آخر مأخوذ إلى الإعدام على الهرطقة من لدن اليهود. إنها تأثيرات الأفلاطونية الحديثة، وعالم المثل الشبيه بعالم المادة. وعن طريق وضع اليد على العينين أخذ يسوع بطرس في رحلة غيبية الى ذلكم العالم حيث الأمان ومكان انكشاف الخبايا وحصول المعرفة الحقة. وهو بذلك مزج بين مدرسة الإسكندرية في الفلسفة والغنوص المسيحي في مزيج مبتكر.

مصطلحات الغنوصية واضحة في الرؤيا وغاياتها، لكنها لا تؤثر على المعتقد المسيحي، خصوصا وأنها تمجد القديس بطرس صخرة كنيسة المسيح. وهذا غريب من غرائب هذه الرؤيا. حيث اعتدنا أن تمجد شخصية بطرس من لدن مؤلهة المسيح ومعتقدي الصلب وهم العنوصية البولسية. أما الغنوصية المؤنسة لطبيعة المسيح والمفاصلة بينه وبين جوهر الآب السماوي، لكل ما بين أيدينا من صادر ذلك الزمن لا تنتسب الى بطرس بل الى حواريين آخرين.

تشير الرؤيا أيضا إلى نمط من اللاهوت الدفاعي تجاه ما تسميهم الرؤيا بـ «الرسل الكذبة» الذين يبشرون بغير بشارتها: تقول الرؤيا: «وسيكون هناك آخرون من هؤلاء

الذي هم خارج عددنا الذين يسمون انفسهم **أساقفة وشمامسة**، كما لو انهم **قبلوا سلطتهم من الله. انهم يلوون انفسهم تحت حكم الحكام**. هؤلاء الناس هم سواقي جافة» وتقول أيضا «ان هناك جماعات سيضلون جماعات أخرى من الأحياء، ويدمرونهم بينهم. وحين ينطقون اسمك سيؤمنون بهم».

في النص الأول ينتقد بطرس -بعد أن كشف عنه حجاب الغيب- واقع رجال الدين خلال القرن الثاني والثالث الميلادي حيث بدأت سيامة الأساقفة والشمامسة تقليدا للأديان الهلنستية الرومانية. وهذا قد يكون دليلا داخليا على زمن تأليف هذه الرؤيا التي نستبعد جدا تأليفها خلال القرن الأول حيث لم تظهر التراتبية الدينية في الكنيسة بعد. كما أن هذا نقد لرجال الدين في تآلفهم مع رجال السلطة قد يكون مؤشرا على أن هذه الرؤيا لم تؤلف حتى زمن استعلاء المسيحية وتحول حكام روما الوثنيين إلى مسيحيين- القرن الرابع الميلادي-. لكن يسوع سيجيبه جوابا مسيخانيا غامضا «الوقت محدد لهم بالنسبة الى خطأهم فسيحكمون الصغار. وبعد اكتمال الخطأ، فلمرة اخرى لفهم الخالد سيصبح شابا والصغار سيحكمون فوق من يحكمهم. فإنه سوف ينتزع جذور خطأهم، وسيضعها في عار حتى تتجسد في كل السفاهة التي ادعتها لنفسها. وشخص كهذا فلن يتغير، يا بطرس». في هذا الجو من الكشف الروحاني الغيبي يعلن المسيح عن تغير في هرمية الكنيسة، حيث سيحكم الصغار هؤلاء المهرطقين الذين يزعمون صلب المسيح والوهيته، والصغار قد تعني غير المؤمنين أو الأقل شأنا ووضعا الذين سينتزعون هرطقتهم وأن هؤلاء الصغار عبارة عن شخص واحد غير قابل للتغيير ولا التبديل. وهذا الوصف لا يصلح في تصورنا إلا لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه من شبه الجزيرة العربية التي كان العالم الروماني ينظر إلى أهلها نظرة دونية باعتبارهم برابرة بعيدون عن الحضارة، وهؤلاء هم من هدموا عالم الخطيئة اللاهوتية والهرطقة المسيحة التي بنيت عليها الكنيسة في تطورها الأخير الذي استقرت عليه.

وتستمر الرؤيا في التأكيد على الجيل الصالح الذي سيرجع الأمور إلى نصابها، « هذه

الأشياء، اذا، التي رأيتها ستكون **حاضرة لدى جيل آخر ليسوا من هذا الجيل**. لأنه لن يكون هناك مجد في أي رجل ليس خالدا، ولكن فقط سيكون المجد في المختارين من الجوهر الخالد، الذي ظهر انه قادر على احتضان من يعطي بوفرة». من هو هذا الجيل الذي سيعطى المجد وسيخلد في الزمن وهم مختارين من الجوهر الخالد -الله؟ هل يمكن أن يكون الحواريين، فهذا مستبعد لأنه قال» ليسوا من هذا الجيل» أي جيل المسيح. وهل يمكن أن يكونوا من التابعين للحواريين أهل القرن الثاني فصاعدا؟ محتمل لكننا نعتقد أنهم غير مقصودين لأنهم لم يعطوا الاختيار في المجد، نظرا لاختلافاتهم اللاهوتية وتصارعهم في طبيعة المسيح وعبادة الأيقونات وتضييعهم «إنجيل المسيح» الذي كرز به لبني الإنسان وتلمذ به الرسل الكرام. ومحارق المهرطقين لا تزال شاهدة على «الدم المسفوك» على حد تعبير الملفونو عبد المسيح نعمان قره باشي (قره باشي السرياني، ٢٠٠٥).

إن الرؤيا تتحدث عن جيل آخر أكثر وضوحا لاهوتيا وتماسكا داخليا وسيكون لهم المجد في العالمين وسيحكمون بالمجد الذي أعطاه لهم الجوهر الخالد وسيمجدون المسيح الذي بطبيعة الحال ليس هو الجوهر الخالد كما هو ظاهر من سياق النص من الرؤيا. اذن من هو هذا الجيل؟ أقول للمرة الثانية ودون الدخول في التفاصيل، إنه جيل محمد ﷺ وأصحابه المسلمون، ولعل آية في القرآن الكريم واضحة في ذلك وقريبة من هذا المعنى الذي نفهمه من سفر رؤيا بطرس. يقول القرآن ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة آل عمران:١١٠). فحسب منطوق الآية فجيل المسلمين هو خير جيل عرفته البشرية، لأنه ينكر المنكر المتصل بالله والعالم ويأمرون بالحقيقة والمعرفة الصادقة من الجوهر الخالد-الله-. بينما جيل أهل الكتاب -يهودا ونصارى- فهو جيل فاسق وقليل منه على الصراط المستقيم. ونلاحظ هنا تشابها في صفات الجيل القادم في رؤيا بطرس وصفات جيل المسلمين المؤسسين للإسلام من جهة أولى. ومن جهة ثانية: تشابه النصين في ذم جيل اليسوع باعتباره جيلا ليس له مجد

الآب السماوي. يؤكد نظريتنا النبوءة المسيخانية التي نقلها إنجيل يوحنا١٦: ٧ على لسان يسوع المسيح قائلا «**لكني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله لكم**». ولا يمكن تفسير المعزي بالروح القدس -كما هو التأول الكلاسيكي للنص- لأن الروح القدس لم تفارق البرية ولا الرسل على حسب التقليد اللاهوتي المعتمد منذ وجود المسيح على الأرض. إنه في الغالب اشارة إلى النبي محمد صلى الله عليه لأنه لم يكن بينه وبين المسيح نبي سواه، هو الذي حقق الله له ولأمته المجد إلى الآن، فأمته على ضعفها لم تزل تحقق انتصارات وتتوسع على حساب كل الديانات إلى يوم الدينونة الموعود.

وامتدادا لهذه المسيخانية الخلاصية، تعطي الرؤيا نوعا من الأفضلية للشريعة على الصليب والهيكل، تقول «والإناء الحجري الذي يسكنون فيه، لأولوهيم -أي الهيكل، فهو للصليب، الذي هو تحت الناموس». والناموس هو شريعة موسى الموحاة له من الروح القدس، فالهيكل أقل رتبة من الصليب والصليب تحت الناموس، وهنا نتساءل عن سبب تعظيم الصليب مع أن الصلب لم يتم للمسيح وإنما لبديل العار الشبيه به؟

إنه المزيج العقائدي والموضة اللاهوتية السائدة في ذلك الزمن، بين عقائد المخالفين والموالين في محاولة للم شمل الكنيسة المشتت. منطقيا فطالما اعتبر الصلب عارا تجنبه المسيح وألقي على الشبيه فالصليب هو أداته التي ستأخذ عاره وسوءه. كما أن اعلاء من شأن الناموس قد يكون دليلا على ماضي هذه الجماعة الكنسية التي تتحدث عنها الوثيقة الموراتورية والتي قد تكون احدى الجماعات اليهودية التي آمنت بالخلاص على يد يسوع المسيح.

تصور لنا أيضا رؤيا بطرس علاقة وطيدة وتواصلية مستمرة بين عالم المُثل اليسوعي والعالم المادي « إن الجسد هو البديل. لكن ما اطلقوه هو جسدي اللامادي. لكنني انا الروح المفكرة مملوءة بنور متوهج. « إذن فالشبيه المصلوب أخذ جسد يسوع المادي بينما روحه -جسده اللامادي- بقيت معه ليرى بها المعرفة الحقيقة ويكشف من خلالها حجب الغيب، فهو روح مفكرة بمعنى حية حتى لو فارقت الجسد المادي.

## ٥-سفر الراعي لهرماس: سفر كنسي قانوني تم حذفه؟

يعد سفر الراعي لهرماس من الأسفار القانونية المقدسة التي تعترف بها الكنيسة خلال القرنين الأول والثاني الميلادي. وقد كان مصدر إلهام القديسين المؤسسين للكرستولوجيا المسيحية. يقول البطريرك الياس الرابع « توجد شهادات عن -الراعي- منذ نهاية القرن الثاني، فإن إيريناوس وأقليمس الإسكندري وأوريجانوس[١] يستشهدون به وينظرون اليه ككتاب مقدس. ونجد في المخطوطة الإسكندرية للكتاب المقدس أن كتاب -الراعي- يرد ذكره بعد الكتب القانونية ورسالة برنابا. إن أوريجانوس يعترف أنه يوجد في عصره من يحط من قدر -الراعي- وأفسيوس يجعله في عداد الكتب المضادة للكتاب المقدس. وأثناسيوس مع اعتباره اياه «كتابا مفيدا» يجعله من الكتب غير القانونية. أما في الغرب فلم يكن له الاعتبار الذي كان له في الشرق. فترتليانوس الذي دخل في شيعة

---

(١) أوريجانوس (أوريجانوس)(١٨٥ - ٢٥٤) كان من ابرز أوائل آباء الكنيسة المسيحية. توفي في قيصرية ٢٥٤. كتاباته هامة بوصفها واحدة من أولى المحاولات الفكرية لوصف المسيحية. كان أبواه مسيحيين متدينين، وكان ذو عقلية فذه وصار نابغة في العلم رغم حداثة سنة. وأشتهر أيضاً بمساندته وتشجيعه للمؤمنين الذين يتعرضون للاضطهاد وكان يقويهم في الإيمان حتى يستشهدوا. ووصل إلى أن يكون مديرا لمدرسة الإسكندرية المسيحية وهو في سن الثامنة عشرة بعد أن عينه البابا ديميتريوس الأول البطريرك الـ ١٢ رئيسا لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية خلفا لأكليمنضس الإسكندري. كان نَشِطاً في تفسير الكتاب المقدس والدراسات الإنجيلية المُقارنة. وقد كتب أكثر من ٦٠٠٠ تفسيراً للكتاب المقدس، بالإضافة إلى كتاب «هيكسابلا» الشهير... فيما بين ٢٤٩ م - ٢٥١ م أثار الإمبراطور دقيوس الاضطهاد ضد المسيحيين فألقوا القبض على أوريجانوس وعذبوه تعذيبا شديداً فوضعوا طوق حديدي في يده وربطت قدماه في المقطرة، وضربوه وأحتمل الألآم في شجاعة منقطعة النظير ثم أطلق سراحه بعد ذلك وفى عام ٢٥٤ م مات بعد فترة قصيرة متأثراً بآلامه وجراحاته وكان قد بلغ من العمر ٦٩ م وقد أرسل له البابا ديونيسوس البطريرك الـ ١٤ رسالة عن الاستشهاد يشجعه فيها على احتمال المشقات وأظهر تعاطفه معه.

المانوية، يعتبر أن هـذا الكتاب يحبذ الزنـاة-*Scriptura Pastoris sola moechos amat*. ويقول ايرونيموس[(١)] أن الكتاب كان في القرن الرابع منسـيا تقريبا فـي الغرب» (البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢ صفحة ١٦٨)

لكن لماذا تم حذفه من الكتاب المقدس؟

في الواقـع ليس لدينا إجابـات واضحة على هذا السـؤال. لأننا وبقراءتنا لهذا السـفر، الذي أخرج بترجمة عربية شـيقة عن اليونانية سـنة ١٩٨٢، من لدن البطريـرك الياس الرابع (البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢ صفحة ١٦٥)، فإننا لا نلحظ أي تعليم خارج عن مألوف الكنيسـة أو متضمن ما قد يحدث زعزعة في كيانها الكريسـتولوجي واللاهوتـي مثل ما قد تفعله رؤيا بطرس.

ليس من هدف هـذا المؤلف النقـد النصي للنصوص فهـذا له مجالـه الخاص، ولكن الهدف هو طرح الأسئلة المحرجة ومحاولة الإجابة عليها في المحاولة للوصول إلى أقرب وضع للحقيقة التاريخية -إن أمكن قول ذلك-.

وهرماس من الشـخصيات الغامضة التي لا نعرف عنها الشيء الكثير، وقد سبق بعض التعريف به، لكن المتيقن أنه كان من الشخصيات المقدسـة والوازنة في الكنيسة المسيحية الأولى، فقد كان أخوه القديس بيوس الأسقف التاسع في ترتيب اساقفة كنيسة روما حوالي

---

(١) هو ما يعرف بالقديس جيروم: يعتبر القديس إيرونيموس أو القديس إيرينيموس أو القديس جيروم *St. Jerome* من أعظم آباء الغرب في تفسيره للكتاب المقدس، له تراث عظيم في هذا المجال مع مقالات نسكية وجدلية ضد الهراطقة ورسائل.

وُلـد حوالي عـام ٣٤٢ م.، في مدينة سـتريدون *Stridon* على حدود دلماطية وبانونيا وإيطاليا، من أسـرة رومانية غنية وتقية. ولما بلغ الثانية عشرة من عمره أرسله والده إلى روما، فبرع في الفصاحة والبيان، وقد شغف بكبار شعراء اليونان والرومان. اهتم أيضًا بنسخ الكثير من الكتب كنواة لإنشاء مكتبة خاصة به. في هذا التيار انجرف إيرونيموس عن الحياة التقوية، لكنه عاد فتاب ثم نال سـرّ العماد وإن كان قد بقي زمانًا يصارع ضد الشهوات فكريًا.

١٤٠ ميلادية -حسب ما نصن عليه الوثيقة موراتورية. وأغلب ما لدينا عنه مأخوذ من كتابه الذي نحن بصدده. «لم يعتبر هرماس نفسه مُصلحًا لاهوتيًا، بل كاهنًا راعيًا يتحدث باسم الإكليروس في عصره. عاش أواخر أيامه حياة العفة وإماتة الذات والشهوات والبساطة في السلوك والحياة، مارس حياة الطهارة وهو كاهن ممتلئ بالإيمان الحي والغيرة على خلاص نفوس الآخرين والدفاع عن توبتهم وغفران آثامهم كما لم يكن موهوبًا في الكتابة والتأليف، ولم يكن لاهوتيًا بالمعنى الحرفي للكلمة، لكنه كان «معلمًا أخلاقيًا ممتازًا مراقبًا وملاحظًا لممارسات عصره وواعيًا لسلوكيات ابناء جيله، مرشدًا معتدلًا في إعطاء النصائح والإرشادات يفرق بشكل قاطع بين الوصايا الملزمة والمشورات التي تؤدى إلى طريق الكمال في الفضائل المسيحية»[١].

## ١- مخطوطات وطبعات «الراعي»

يقول مطران حلب إلياس معوّض «لم يكن الراعي لعام ١٨٥٦ ميلادية معروفًا إلاَّ في ترجمة لاتينيّة يرجّح أنّها من القرن الثاني، وقد طبعت هذه أولًا في باريس عام ١٥١٣م، وفي عام ١٨٥٧ ميلادية، طبعت عن مخطوطة من القرن الرابع عشر ترجمة لاتينيّة ثانية تستند على الأرجح إلى الترجمة الأولى، ويغلب الظن إنّها من القرن الرابع أو الخامس.

أما المخطوطة اليونانيّة «للراعي» فإن أول من وجدها هو قسطنطين سيمونيدس المزوّر وذلك عام ١٨٥٥م، في دير القدّيس غريغوريوس في جبل آثوس. وهذه المخطوطة المنسوخة بخط كثيف هي من القرن الرابع عشر؛ تتألّف من عشر ورقات، والورقة الأخيرة منها مفقودة. انتزع سيمونيدس من ورقات المخطوطة، الخامسة والسادسة والتاسعة، ونقل الورقات الباقيّة باعتناء، ولم يسمّ الدير الذي وجدت فيه. ثم باع الورقات الثلاث الأصليّة مع الورقات المفقودة إلى مكتبة ليبزيغ، وهكذا عرفت التسعة أعشار من المخطوطة اليونانيّة «الراعي»، وقد نشره *Anger and Dindorf*، في ليبزيغ سنة

---

(1) *http://st-takla.org/books/fr-athnasius-fahmy/patrology/hermas.html*

١٨٥٦م. ثم أخذ سيمونيدس يطلع على العالم، شيئًا فشيئًا، بمخطوطات جديدة «للراعي» حتى أوصلها إلى عشر مخطوطات، أقدمها ادّعى بأنّه اكتشفها في جبل سيناء عام ١٨٥٢م ويعود تاريخها إلى القرن الأول، وهي بالنتيجة أقدم كل المخطوطات في العالم. ولما كان سيمونيدس قد وعد بإحضار مخطوطة هرماس كما هي، جاءت دائرة الشرطة في برلين، بإشارة من الكساندر ليكورغ وأستاذ بالجامعة آنذاك، ورئيس أساقفة سيروس، وتينوس فيما بعد، فضبطت غرفته والمواد التي كان يهيئها لتقديم هذه المخطوطة، الأمر الذي اضطره إلى مغادرة المانيا والشخوص إلى انجلترا حيث تابع عمله كخداع. وفي عام ١٨٥٩م نشر في لندن بحثًا بعنوان «القليل من الكثير عن الأب الرسولي هرماس»، ونشر في آخر البحث صورة من مخطوطتين قديمتين من عمله، مستندًا إلى الترجمة اللاتينيّة. على أن *Hulgenfeld* الذي طبع لهرماس أخذ عن سيمونيدس النهاية المزيفة لكن هارنك بيّن زيفها. وفي عام ١٨٨٠م صادف أن كان أسبيريدون لأمبروس في دير القدّيس غريغوريوس في جبل آثوس فدرس مخطوطة هرماس، ونقل بواسطة مرافقة الورقات الست الباقيّة ونشرها في عام ١٨٨٨م في كمبردج (*Hermas. 1988*)، وقدّمت هذه الطبعة ببحث طويل عن كيفيّة وجود المخطوطة، وهكذا اتّضح أن كل ما جاء به سيمونيدس كان منحولًا (البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢ الصفحات ١٧١-١٧٣).

لعلّ أقدم نسخ أصيلة لكتاب «الراعي» بقايا برديتان بجامعة ميتشيجان *Michigan*، وهما يعودان إلى أواخر القرن الثالث، يضمان شيئًا من المثلين الثاني والخامس ومن الوصيّة الثانية. (البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢).

كما عثر على الربع من «الراعي» وحتى الوصيّة الرابعة في المخطوطة السينائيّة للكتاب المقدّس *Siniaticus* التي عثر عليها *Codex Tishendorf* سنة ١٨٥٩م، وطُبعت في ليبزيغ عام ١٨٦٣م، وهي ضمن ملحقات العهد الجديد.

وجدت في مصر مقاطع من كتاب الراعي على رق الغزال وعلى ورق البردي. كما توجد ترجمة قبطيّة وحبشية وفارسيّة للراعي.

## ٢- مكونات كتاب الراعي هرماس

يتكون سفر راعي هرماس من **خمسة** رؤى **واثنا عشر وصية وعشرة أمثال**، والغرض منها الوعظ والإرشاد وترغيب الناس في الوهد والإقبال على العبادة والترك الرذائل.

## ٣-ملخص مكونات كتاب الراعي هرماس

### أ-الرؤى الخامسة:

تظهر الكنيسة في أربع رؤى متعاقبة:

في الرؤيا الأولى تظهر كامرأة عجوز ضعيفة جالسة على كرسي، تحضّه على التوبة عن خطاياه وخطايا عائلته.

في الرؤيا الثانية تستعيد الكنيسة قوّتها.

في الرؤيا الثالثة تظهر صبيّة صغيرة جميلة؛ جاء فيها:

جاء في الرؤيا الثانية ٤ : ٣ أن الكنيسة قد أمرته أن يُعد نسختين لما يراه، وأن يضع إحداهما تحت تصرّف كليمنضوس ليرسلها إلى المدن التي في الخارج.

هنا يوجد نوع من التناقض، إذ كيف يمكن أن يكون هرماس أخًا لبيوس أسقف روما الذي لم يجلس على كرسي روما قبل سنة ١٤٠م بينما كان إكليمنضس واضع الرسالة إلى كورنثوس أسقفًا من سنة ٩٠ إلى ١٠٠م؟ يعالج البعض هذا التناقض بالقول أن هذا العمل بدأ في زمن إكليمنضس وانتهى في عصر بيوس، وهذا ما رجحه البطريرك الياس معوض (البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢ صفحة ١٧٠) (*93-Quansten, 1987 pp. vol1,p.92*).

إنك تسأل لماذا ظهرت المرأة في المرّة الأولى مسنة وجالسة على مقعد؟ لأنك كنت عجوزًا بروحك، لا قوّة فيها بسبب فتورك وتشكّكك. كما أن الشيوخ يفقدون الأمل في العودة إلى الشباب، وكل آمالهم تنحصر في انتظارهم الرقاد الأخير، كذلك أنتم المسترخون في الأمور الحياتيّة إنكم قد أسلمتم ذواتكم إلى إلياس بدلًا من أن تقلوا هومكم على المخلّص، وأثقلتم قلوبكم بالأحزان وشاخت من الأسى.

أريد أن أعرف لماذا كانت المرأة جالسة على المقعد؟

قال: لأن كل كسيح يضطر أن يجلس، لا يمكنه إلاّ أن يجلس.

هذا هو معنى الرؤيا الأولى.

في الرؤيا الثانية رأت المرأة تنتصب على قدّميها بوجه أكثر فتّوة وإشراقًا، إلاّ أن جسدها وشعرها كانا جسد وشعر امرأة مسنة. إن هذا يشبه المثل الآتي: إنسان شيخ أقعدته همومه وأحزانه واستولى عليه اليأس، وكان ينتظر يومه الأخير تخلّصًا من اليأس الذي استولى عليه. وفجأة سقطت عليه ثروة ما كان يحلم بها، وبسبب هذه الثروة نسي ضعفه، وسرت فيه الحياة من جديد، وتجدّدت قواه التي انهكتها الأشغال السابقة، فخرج من سريره فرحًا، ووقف على قدميه. كذلك أنت عندما تسمع إعلان المخلّص لك. فقد ترأف بك وتحنن عليك، وعادت إليك القوّة بعد أن طرحت الضعف جانبًا، وتركّزت في الإيمان...

في الرؤيا الثالثة ظهرت المرأة شابة فرحة وجميلة، كان شكلها رائعًا. كما أن إعلان الخبر ينسي الرجل الحزين أحزانه وأتعابه الماضية، ولا يفكر إلاّ في البشارة الجديدة، فتعود إليه كل القوى التي تفعل الخير ويشعر بأن روحه قد عاد إليها الشباب بالفرح الذي انتابه، كذلك أنت، قد شعرت بأن الشيبوبة قد عادت إلى نفسك لدى رؤيتك هذه الخيرات. إذا كنت قد رأيتها جالسة على مقعد فإنّها أرادت أن تبرهن على رسوخ مركزها وثباته (يوحنا الصفحات ١١:٣-١٣).

يلاحظ في هذا التفسير الآتي:

١- عدم الفصل بين الحياة الشخصيّة وحياة الجماعة، أو بين حياة العضو وحياة الكنيسة... عندما يسقط الإنسان تبدو الكنيسة وكأنّها امرأة مسنة لا تقوى على الوقوف؛ وحينما يقبل نعمة الله ووعوده يتجدّد شبابها. حياتنا متلاحمة معًا بكوننا جسد المسيح الواحد، ما نمارسه أو نفكر فيه إنّما هو لحساب الجماعة كلّها.

٢- تركّز الرؤى على الرجاء أو اليأس، فالخطيّة تحطّم نفس الإنسان وتدخل به إلى اليأس، فينهار رجاؤه وشبابه، مشتهيًا الموت؛ أمّا نعمة الله فتبعث الرجاء وتجدّد مثل النسر شبابه.

٣- المظهر الخارجي لا يكشف عن تمام الحقيقة، فالعجوز جالسة على مقعد والفتاة أيضًا، الأولى تجلس أنّها عاجزة عن الحركة أو القيام بعمل، والثانية تجلس كمن يحكم، ثابتة في حياتهما، صاحبة سلطان.

٤-التحوّل من حالة الشيخوخة إلى الشبوبيّة إنّما يعني أن المخلّص يخلق أو يعيد خلقتنا بالميلاد الجديد. فالحاجة لا إلى إصلاح جزئي بل إلى الحياة الجديدة... يقيمنا من جديد على صورته، وكما يقول الرسول بولس: «تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق حسب الله في البرّ وقداسة الحق» أفسس٤ : ٢٤.

٥- يرى البعض (*Lebreton p. vol2; p.372*) أن التحوّل السريع من الشيخوخة إلى الشبوبيّة في حياة المؤمن إنّما يعني أن الشر ليس متأصلًا بعمق شديد كما نظن، وأن هذا الانطباع يتثبّت بالأكثر في بقيّة الكتاب. فالمسيحي بالتوبة -المعمودية الثانية- يتجدّد ذهنه يوميًا فلا يشيخ، وإن كان قد شاخ يعود إلى الحياة الشابة من جديد!

في الرؤيا الثالثة تطل الكنيسة السيّدة الشابة على هرماس لتريه برجًا عاليًا في طور البناء، فتظهر أن الكنيسة تصير في القريب مُثلى، غير أن كل حجر لا يصلح للبناء يُرذل، هكذا كل خاطئ يُمنع من الشركة الحقّة في الكنيسة ما لم يتب، خاصة وأن الوقت مقصّر.

في الرؤيا الرابعة يظهر تنين قبيح مُرعب فوق رأسه أربعة ألوان: أسود وأحمر ناري وذهبي وأبيض يرمز إلى الأخطار والاضطهادات المحدقة، لكنّه لا يؤذي المؤمن الثابت في إيمانهم. ويظهر وراء التنين الكنيسة في هيئة عروس جميلة متوَّجة رمز السعادة والتطويب للمؤمنين وضمان قبولهم في الكنيسة الخالدة المقبلة.

يقول: بعد أن اجتزت التنين بثلاثين خطوة إذا بفتاة مزينة كأنّها خارجة من عرسٍ

يوشحها البياض، وتنتعل حذاءً أبيض، وتغطي رأسها حتى الجبين، وتلبس فوقه تاجًا، وكان شعرها أبيض... فغمرتني رؤيتها فرحًا، فصافحتني... وقالت: «ألم تلتق بشيء في طريقك؟» قلت: «نعم. لقد التقيت بتنّين يمكنه أن يهدم مدينة، إلاَّ أنّني نجوت منه بقدرة الله ورحمته». فقالت: «إذا كنت قد نجوت، فلأنّك ألقيت همومك على الله، وفتحت له قلبك، وآمنت أن لا خلاص لأي إنسان إلاَّ بواسطة اسمه العظيم. لذلك أرسل الله ملاكه الموكّل إليه أمر الحيوانات، المُسمى ثاغري، ولجّم فمه حتى لا يقضي عليك، لقد نجوت بإيمانك من نكبة عظيمة، فلم تتزعزع أمام وحش هائل كهذا. اذهب وفسّر لمختاري الله أعماله المجيدة، وقل لهم ان هذا الوحش هو صورة للأحزان المستقبلة العظيمة. استعدّوا وتوبوا من أعماق قلوبكم... آمنوا بالمخلّص أيها المؤمنون المتأرجحون.»...

سألتها عن الألوان الأربعة فوق رأس الحيوان، فأجابتني قائلة...»الأسود هو العالم الذي تسكن فيه. أما الناري الدموي فإن العالم سيهلك بالنار والدم.

أما الجزء المذهب فهو أنتم الذين تهربون من هذا العالم؛ فكما أن الذهب يُختبر بالنار ويصبح صالحًا للاستعمال، كذلك أنتم الذين تقطنون هذا العالم تُختبرون...أما الجزء الأبيض فإنّه الدهر الآتي الذي يقطنه مختارو الله، **لأن المختارين لحياة أبديّة يكونون طاهرين بلا دنس**. (يوحنا الصفحات ٢:٤-٣).

في الرؤيا الخامسة يظهر ملاك التوبة في ثوب راعٍ يدبر أمور التوبة، ويضمن نتائجها ويعلن عن الوصايا الواجب حفظها.

هنا نلاحظ أن ملاك التوبة لم يظهر لهرماس إلاَّ بعدما تمتّع برؤية الكنيسة الشابة الجميلة الغالبة للتنّين، المتوّجة بإكليل النصرة، المتوشّحة بالقداسة البياض، المنتعلة بحذاء أبيض، أي تسلك الطريق الملوكي بالنقاوة، المحتشمة تغطي رأسها حتى الجبين، الحكيمة شعرها أبيض... هذا المنظر بعث فيه فرحًا يسنده على قبول الوصيّة والجهاد من أجلها في الرب.

لا يستطع المؤمن أن يحب الوصيّة، ويتقبّلها بفرح، ما لم يكتشف الحياة الكنسيّة المجيدة الغالبة للشر، والحاملة قداسة مسيحها، كما ذكرنا أيضًا هنا في موقع الأنبا تكلا هيمانوت في أقسام أخرى. وكأن الوصيّة ليست أوامر ونواهٍ، إنّما هي الطريق الملوكي الذي فيه ننعم بمسيحنا واهب الغلبة والحياة المقدّسة.

## ب- الوصايا الاثني عشر

تسلّم هرماس من ملاك التوبة الذي يتّقدمه في شكل راعٍ الوصايا التي تتضمّن التعاليم المسيحيّة التي يجب تطبيقها عمليًا، وهي:

١- الإيمان بالله الخالق وخشيته التي تبعث التعفّف.

٢- البساطة وعدم النميمة وعدم الانشقاق وحب العطاء.

٣-الصدق أو الحق: الله الساكن فينا هو الحق!

أحِب الحق، ولا ينطق فمك إلاّ به، ليرى الناس جميعًا حقيقة الروح الذي أسكَنه الله فيك، وهكذا يتمجّد الرب الساكن فيك، لأن الله حق في كل أقواله، وليس فيه كذب قط.

٤- طهارة المتزوجين

إذا اكتشف الزوج أن زوجته تزني، ورفضت أن تتوب، فإنّه يكون شريكًا معها في زناها وخطيّتها إن عاش معها.

ليصرفها وليبق وحده، ولكن إن تزوج ثانية بعد ترك زوجته فهو يزني.

قلت: وإذا تابت المرأة بعد تركه لها، وأرادت أن تعود لزوجها، ألا يجب أن يقبلها؟

أجاب: بالتأكيد.

قلت: وإذا رفض قبولها؟

قال: أنّه يخطئ ويتحمّل مسئوليّة كبرى، لأنّه يجب دائمًا قبول التائب لمرّة واحدة لا أكثر، لذلك لا يجوز لرجل أن يتزوّج مرّة أخرى وكذلك المرأة.

لا يجوز لمن غفر لـه أن يخطئ، بـل وجب عليـه أن يبقى فـي الطهارة للإنسـان توبة واحدة، أمّا إذا أخطأ ثانية وتاب فتوبته باطلة، ومن الصعب أن يجد الحياة.

ربّما عني هنا عدم الاستهتار خاصة في بعـض الخطايا كالزنا والقتل وإنـكار الإيمان... فإنّه بعد العماد إن سقط الإنسان فليتب، لكنّه لا يتهاون مستهترًا بطول أناة الله فيسقط ليتوب!

## ب-١- طول الأناة

إن كنت طويل الأناة فالروح القدس الذي يسكن فيك يبقى نقيًا ولن يزورك فكر شرّير قط.

إن كان قلبك طاهرًا، فالروح الذي فيـك يبتهج ويتهلّل، إذ يعمل في سـعة بيتك الذي تحكمه البسـاطة بصفاء، أمّا إذا دخله الغضـب، فينزعج الروح القدس المملـوء رقّة بتلوّث المكان الذي يعيش فيه ويحاول مغادرته...

طول الأناة يفوق العسل حلاوة.

## ب-٢- السلوك في طريق العدل لا الظلم

يصحب الإنسـان ملاكان، ملاك العدل وملاك الشـر... عندما تشـعر بالتذمّر والمرارة فاعلم أن الشيطان يسكن فيك... فابتعد عنه ولا تصدّقه، لأن أعماله تضر عبيد الله.

## ب-٣-خف الله لا الشيطان

اخش الرب واحفظ وصايـاه التي تقوّيك في كل أمورك، فلا يكـون مثيل لأعمالك... لا تخش الشيطان إذا خشيت الرب، فإن خشيتك لله تعطيك سلطانًا على الشيطان.

## ب-٤- اصنع الخير وكف عن الشر

إن فعلت الصلاح تحيا في الله، ويحيا أيضًا الذين يفعلون الخير مثلك.

## ب-٥- الكف عن الشك

إذا تسـلّل الشـك إلى قلبك لن تنال شـيئًا... أما الذين يطلبـون واثقين فإنّـه ينالون ما يريدون، لأن صلاته تخلو من التردّد والشك.

## ب-٦-الكآبة

اطرد عنك الحزن الكآبة، فإنّه شقيق الشك والغضب.

الروح القدس القاطن فيك لا يحتمل الكآبة ولا الانزعاج.

الكآبة إذا امتزجت بالصلاة يمنعها من الصعود نقيّة.

## ب-٧-الأنبياء الكذبة

التواضع يميّز النبي الصادق من النبي الكذاب.

## ب-٨-ترك الشهوات الشرّيرة

قبل كل شيء إياك واشتهاء امرأة غريبة والترف والتنعّم بالباطل والسكر وكل شهوة أو لذّة صبيانيّة. الشهوة الشرّيرة إذا رأتك مسلحًا بخوف الله تُولي هاربة، ولا تجسر قط أن تظهر أمامك إذا رأتك مستعدًا لمقاومتها، حينئذ يتوّج رأسك بإكليل الظفر. اقترب من الرغبة الصالحة... وكرّس نفسك لها، وضع نفسك تحت تصرفها، وهكذا تستطيع أن تسيطر على الشهوة الشرّيرة، وتتحكّم بها بإرادتك.

يجيد الشيطان الصراع، لكنّه لا يغلب إذا صمدتم في وجهه، بل ينحدر ويهرب خجلًا. الأشخاص الفارغون هم الذين يخافون الشيطان كقوّة.

لا تخافوا مطلقًا تهديدات الشيطان، فإنّه مشلول كأعصاب ميّت.

## ت- الأمثال

جاءت الخمسة أمثال الأولى من نوع الوصايا.

- المثل الأول: التغرّب

إنكم تعلمون يا عبيد الله أنكم تقطنون أرضًا غريبة، وأن بلدكم بعيد جدًا وليس ههنا... فلماذا تقتنون الأراضي الشاسعة والقصور والابنية والمساكن ما دمتم تعرّفون أن المدينة التي ستستوطنونها ليست هنا؟!

من يهيئ نفسه لهذه الحياة يصعب عليه أن يعود إلى مدينته الحقيقيّة.

- المثل الثاني: الكرمة وشجرة الدردار محبّة الفقراء

الكرمة تشبه الغني والدردار يشبه الفقير؛ الكرمة إن تركت على الأرض لا تحمل ثمرًا كثيرًا، لكنها إذا تسلّقت شجرة الدردار تعطي ثمرًا كثيرًا؛ هكذا يجب أن يتلازم الغني مع الفقير. الغني يستنزف ثروته اهتمامه من خدمة الله، لكن انشغاله بالفقير يحقّق له ثمرًا متزايدًا لدى الرب.

- المثل الثالث: الأشجار العارية في الشتاء
- المثل الرابع: تمييز الأشجار في الصيف

الأشجار التي تراها هم سكان هذا العالم... لأن الصدّيقين والخطاة لا يتميّزون في هذا العالم بل جميعهم يتشابهون. هذا العالم بالنسبة للصدّيقين هو بمثابة الشتاء، ولا يتميّزون عن الخطاة الذين يسكنون معهم. ففي الشتاء تفتقد الأشجار أوراقها وتصبح متشابهة تمامًا، ويصعب التمييز بين الأشجار الميّتة والأشجار الحيّة.

كما أن ثمار الأشجار تظهر في الصيف، وتعرف كل شجرة من ثمارها، كذلك سيُعرف الصدّيقون المثقّلون بأوراق تعطي ظلًا من ثمارهم. أمّا الوثنيّون والخطاة الذين ترمز لهم الأشجار اليابسة، فسيظهرون في الدهر الآتي على حالتهم. يابسين عقيمين، ويُلقى بهم في النار كالخشب اليابس، لأن أعمالهم كانت شرّيرة.

- المثل الخامس: مفهوم الصوم الحقيقي

اسمع. فإن الله لا يريد صومًا باطلًا كهذا الصوم؛ إن صمت هكذا فأنت لا تعمل شيئًا للبرّ.

صُم للرب هكذا:

لا تصنع الشر

واخدم بقلب نقي

واحفظ وصايا الله

وسر حسب أوامره

ولا تترك للشهوة الشرّيرة منفذًا في قلبك

وثق بالله

فإن فعلت هذا، وخشيت الله، تكون قد صمت صومًا عظيمًا مقبولًا لدى الله.

يركّز الراعي في وصيّته على الحياة الداخليّة، مقدّما مثلًا لذلك: إنسان سلَّم حقله لعبده الأمين ولم يوصه إلاَّ بتسييجه، وإذ سيّج العبد الحقل رأى الحقل مملوءًا أشواكًا فقام بتنقيته والاهتمام بفلاحته. عاد صاحب الكرم وفرح بما صنعه عبده، وكرَّمه أمام ابنه الحبيب وكل مستشاريه وأصدقائه، قائلًا لهم ان هذا العبد صنع بكامل حريته أكثر ممّا أمره به، لذلك يجعله وارثًا مع ابنه الحبيب، وبعد أيام صنع سيّده عشاءً وأرسل الكثير من الأطعمة للعبد الأمين، فاحتفظ بقدر حاجته ووزّع الباقي على رفقائه العبيد... سمع السيّد فصمّم بالأكثر أن يجعله وارثًا.

تحدّث أيضًا عن الطهارة: احفظ جسدك طاهرًا بلا دنس حتى ينال شهادة الروح القدس الساكن فيه.

الأربعة أمثال التالية٦-٩ تعالج بشيء من التفصيل موضوع التوبة، بينما في المثال الأخير١٠ يعود فيظهر البرج مرّة أخرى، ويعلّم ملاك التوبة هرماس أن ينقّي عائلته من كل شر، وأن ينصح كل أحد بالتوبة.

- المثل السادس: حوار بين ملاك الشهوة والخداع وملاك العقاب في ثوبي راعيّين

أخذه ملاك التوبة إلى الحقل ليرى راعيّي الأغنام:

الراعي الأول: هو ملاك الشهوة والخداع في شكل شابٍ يرتدي لباسًا أصفر، وجّهه يشع فرحًا لأن قطيعًا كبيرًا يقفز متهلّلًا من مكان إلى آخر ليحيا في الشهوة، هؤلاء هم

الذين انفصلّوا عن الله نهائيًا، وتركوا حياتهم في أيدي شهوات العالم، وأهانوا اسم الله دون توبة، ونصيبهم هو الموت. ويوجد في قطيعه أيضًا خراف في نفس المكان تلهوا ولا تتهلّل؛ هؤلاء هم الغارقون في الشهوة لكنّهم لا يهينون الله، وقد بقي فيهم رجاء التوبة. هم فساد لكنّهم بالتوبة يخلّصون من الموت الأبدي.

الراعي الثاني: هو ملاك العقاب، طويل القامة، وحشي الهيئة، يلبس عباءة بيضاء من جلد الماعز، وعلى كتفيه جرابًا، وفي يدي عصى ثقيلة معقّدة وسوط كبير. يستلم ملاك العقاب من الراعي الشاب الخراف الغارقة دون أن تتهلّل، ويضعها في مكان منحدر مملوء بالأشواك والعلّيق، وكان الراعي يضربها بقسوة، الأمر الذي أثار شفقة هرماس جدًا عليها.

قال له ملاك التوبة: عندما تحلّ بهم المحن الكثيرة تصير لهم آلامهم مدرسه لثقافتهم، فيتّقدون في الإيمان، ويصرفون بقيّة أيامهم يخدمون الله بقلبٍ نقي، وإذا ما تابوا يتذكّرون الأعمال الرديئة التي ارتكبوها، ويعرفون إنّها هي التي سبّبت لهم ما أصابهم وما نالوه من عقابٍ عادلٍ من الله، وينجحون في كل مشاريعهم التي يقدمون عليها دون أن يمسّهم ضرر.

- المثل السابع: هرماس يتألّم بسبب خطايا عائلته

مرمرت عائلته ملاك العقاب أو الملاك الديّان... وإذ تابت من كل قلبها طلب هرماس من الملاك أن يعفيه من الضيق، وإن كان ملاك التوبة طلب منه أن يحمل صليبه باختياره.

يقول ملاك التوبة: يجب على التائب أن يفرض الألم على نفسه، وأن يكون متواضعًا في أعماله، وأن يحتمل آلامًا متعدّدة، فإن احتمل بصبرٍ ما يصيبه من آلام، يتراءف خالق الكون به، ويشفيه من كل شروره، لأنّه يعرف مكنونات القلوب، ويتطلّع إليه، ويفحص نقاوته. مثل٧: ٤-٥.

- المثل الثامن: شجرة الصفصاف وعمل النعمة

أراه الراعي شجرة صفصاف كانت تظلل سهولًا وجبالًا، وقد اجتمع تحتها كل الذين

دعوا باسم المسيح. وكان ملاك الرب العظيم بقامته الفارعة يقف تحت الشجرة وفي يدي منجل، وكان يقطع به أغصانًا، ويوزّعها على الجمع المحتشد تحت ظلالها. وكانت الأغصان صغيرة لا تتجاوز طول الشبر. وبعد أن استلم الجميع أغصانه وضع ملاك الرب المنجل جانبًا، وظهر الشجرة كأنّها لم تمس.

شجرة الصفصاف -كما قال ملاك التوبة- هي الناموس أو ابن الله، ربّما قصد بها كلمة الله أو الوصيّة المكتوبة، أو كلمة الله المتجسّد، فإن كل مؤمن بالكلمة المتجسّد يكون كمن تمتّع بغصن، ويلتزم أن يبقى أمينًا في إيمانهم بالحياة الإنجيليّة الحيّة.

وملاك الرب العظيم هو رئيس الملائكة ميخائيل، الموكل إليه حفظ إيمان الكنيسة.

جاء وقت استلام الأغصان وفحصها بدقّة، فماذا وجد؟

١- أُعطي لمن كانت أغصانه يانعة ومثمرة أكاليل كأنّها مصنوعة من أغصان النخيل على رؤوسهم وأُدخلوا في البرج، هؤلاء هم الذين صارعوا الشيطان وغلبوه، وتحمّلوا الموت من أجل الوصيّة فتمتّعوا بإكليل النصرة.

٢- الذين قدّموا أغصانه يانعة دون ثمر أرسلهم إلى البرج بعد ختمهم بخاتم، وهناك صاروا يلبسون ثيابًا بيضاء كالثلج، هؤلاء هم الذين طبقوا الناموس وتحمّلوا اضطهادات ولم ينكروا اسم المسيح.

٣- سلّم الملاك العظيم لملاك التوبة بقيّة الجموع ثم غادر المكان، وصار ملاك التوبة يفحص أغصانه فوجدها هكذا:

أ. البعض يابسة دون أن ينخرها السوس.

ب. البعض نصف يابسة المترددون الذين هم ليسوا أحياء ولا أموات

ج. البعض نصف يابسة ومشققة المترددون النمامون

د. البعض نصف خضراء مشققة مؤمنون لكنّهم يطلبون المجد الباطل

هـ. البعض نصف خضراء ونصف يابسة المنغمسون في الزمنيّات

و. البعض خضراء بثلثيها والثلث الباقي يابس الذين أنكروا الإيمان أحيانًا وأعلنوه أحيانًا

ز. البعض يابسة بثلثيها والثلث الباقي أخضر الذين بعد قبولهم الإيمان عادوا إلى طريق الأمم

ح. البعض خضراء كلّها إلاّ القليل من أطرافها المؤمنون الذين سقطوا عن ضعف

ط. البعض يابسة كلّها إلاّ قليل من طرفها أخضر المؤمنون الذين يصنعون الإثم لكنّهم يفتخرون باسم الله ويستقبلون خدام الله بفرح.

أخذ ملاك التوبة من الناس الأغصان وزرعها في الأرض مترجّيًا أن تعود إليها الحياة بالتوبة، وصار يسقيها، لأن الخالق يريد الحياة لكل من تسلّم غصنًا من هذه الأغصان.

جاءت الجماعات مصطفّة حسب ترتيب تسليمهم الأغصان، وعاد يفحص الأغصان، البعض عادت إليها الخضرة، والأخرى أكلها السوس؛ البعض صار بها براعم ثمر والأخرى بقيت عقيمة...

سأل هرماس: لماذا لم يتب الجميع؟ فأجابه ملاك التوبة: يعطي الله روح التوبة للقلوب التي تنتقي وتتطهّر، أمّا الخبيثة فتكون توبتها مرائيّة، ولن يعطيّها روح التوبة، لئلا تهين اسمه.

- المثل التاسع: الكنيسة كبرج عجيب

قاد ملاك التوبة هرماس إلى جبل أركاديا، وهو جبل لولبي، وأجلسه فوق القمة، وأراه سهلًا عظيمًا تحيطه دائرة من اثنى عشر جبلًا، ولكل جبل شكل خاص به. هذه الجبال تمثّل اثنى عشر سبطًا يقطنون كل العالم، كرز لهم الرسل بابن الله، أي تشير إلى الكنائس المحليّة المنتشرة في العالم، لها ثقافاتها الخاصة وطقوسها الخاصة، لذا ظهرت الجبال مختلفة الشكل، التي ربّما تشير إلى المؤمنين الذين بينهم من هم أمناء ومنهم من هم غير أمناء.

١- جبل أسود المؤمنون الذين جدَّفوا على الرب وخانوا خدامه.

٢- جبل عارٍ لا عشب فيه المراؤون ومعلّموا الفساد.

٣- جبل مليء بالأشواك والعُلّيق الأغنياء المرتبكون بهموم العالم.

٤- جبل نصفه مملوء عشبًا؛ وكانت رؤوس الأعشاب خضراء، والقسم القريب من الجذور يابسًا، وكانت الحرارة تُيبّس بعض الأعشاب المرتدون الذين يشهدون للرب بأفواههم أمّا قلوبهم فبعيدة عنه.

٥- جبل معشب ووعر المؤمنون العصاة المعجبين بأنفسهم كمعلّمين.

٦- جبل مليء بالحفر الصغيرة والكبيرة، فيها عشب ذابل الحاقدون.

٧- جبل مليء بالأعشاب النضرة، ترعى فيها الحيوانات فيزداد نضارة وبهاء البسطاء الراضين عن خدام الله المملوءين رحمة وحبًا.

٨-جبل مليء بالينابيع تشرب منها مخلوقات الله الرسل والمعلّمون.

٩-جبل بدون ماء، فيه زحافات ميتة الشمامسة السالبين ما لله.

١٠-جبل فيه أشجار كبيرة تستظل تحتها قطعان الغنم الأساقفة الأمناء.

١١- جبل مُغطى بغابة كثيفة من الأشجار المثمرة شهية المتألمون لأجل الله.

١٢- جبل أبيض يبعث في النفس بهجة وعذوبة المؤمنون البسطاء كأطفالٍ أبرياء.

هذه صورة الشعب المسيحي بين الأمم، منهم من هم مثل جبل أسود ومنها ما هو أبيض؛ منها ما يحمل ثمار الروح الشهيّة ومنها ما هو عقيم؛ منها ما بها ينابيع نعمة الله المُروية للنفوس، ومنها ما يقتله الجفاف الروحي... الخ.

أراه أيضًا صخرة بيضاء كانت تقوم مرتفعة في وسط السهل، وكانت الصخرة أعلى من الجبال ومربّعة، تستطيع أن تسع العالم؛ كانت الصخرة قديمة وبابها محفور في أحد

جوانبها، وقد ظهر له الباب محفورًا حفرًا حديثًا. كانت الصخرة أكثر لمعانًا من الشمس حتى أن أشعتها أثارت إعجابه. الصخرة القديمة هي ابن الله الأزلي، صخر الدهور الذي يسع العالم كلّه ككنيسة مقدّسة يحملها بذراعيه، أمّا الباب الجديد فيشير إلى تجسّده، به ندخل إليه وننعم بخلاصه ونحيا في ملكوته.

كان حول الباب اثنتا عشر عذراء: أربعة منهنّ، وهنّ أجملهنّ، كن يقمن عند الزوايا، أمّا الباقيات فكنّ يقفن بين كل زاويتين، اثنتين اثنتين، وكنّ يلبسن لباسًا من الكتّان، ويأتزرن مآزر جميلة، وكانت أكتافهنّ عارية كأنّها أُعدّت لحمل شيء ما، وكن يقفن مستعدّات فرحات.

العذارى الواقفات عند الزاويّة هن: الإيمان والعفّة والقوّة وطول الأناة؛ أمّا الواقفات بينهن فهن: البساطة والبراءة والنقاوة والصفاء والحقيقة والفطنة والتصافي والمحبة. من حمل هذه الأسماء مع اسم ابن الله يمكنه أن يدخل ملكوت السموات.

كان المشهد مثيرًا ورائعًا، ومحيرًا، فقد رأى العذارى الناعمات اللواتي يقفن بنعومتهنّ وقفة رجوليّة كأنّهن يتهيّأن ليحملن السماء كلّها٢:٩: ٥ هكذا تتمتّع نفس المؤمن الحقيقي برقّة شديدة ولطف زائد، فتكون كمجموعة من العذارى الجميلات الرقيقات، لكنها تحمل قوّة وتسلك بحزم وفي نضع كمن يحمل السماء عينها! إنّها تحمل صورة ابن الله وسماته الوديع كل الوداعة ليجتذب الخطاة بحبّه اللانهائي، حازًا ضدّ الشر، يقتل إبليس ويهدم سلطاته.

رأى أيضًا ستّة رجال مقبلين بقامتهم الطويلة ومشيتهم الرصينة وهيئتهم المتشابهة، وقد استدعوا عددًا من الناس طوال القامة مشرقي الطلعة أقوياء، وأمرهم الستّة أن يبنوا فوق الصخرة وفوق الباب برجًا، كما ذكرنا أيضًا هنا في موقع الأنبا تكلا هيمانوت في أقسام أخرى. هؤلاء الرجال هم الملائكة المحيطون بابن الله، ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن اليسار، يحثّون المؤمنين للعمل الكنسي، لبناء كنيسة الله على الإيمان بالمسيح الصخرة والباب.

كانت العذارى يطلبن من الرجال أن يسرعوا لبناء البرج، وكن يمددن أيديهن لمن يردن أن يتسلّمن شيئًا.

بناء على أمر الرجال السـتّة اقتلع الرجال عشرة حجارة مربّعة برّاقة غير منحوتة، استلمتها العذارى، وحملن إيّاها إلى الرجال الذين أوكل إليهم ببناء البرج. هذه الحجارة استخرجت من أعماق البحر، وتعاونت العذارى معًا على حملهن حجرًا حجرًا. هذه الحجارة هي الجيل الأول من المؤمنين الذين كانوا يُحملون من البحر كمن يُنتزعون من الطبيعة الميّتة، ويدخلون بالإيمان بابن الله مع سلوكهم الحياة المقدّسة الجديدة العذارى إلى بناء ملكوت الله الروحي أي إلى الكنيسة.

كان بناء البرج يتم فوق الصخرة وفوق الباب، وقد تغطت الحجارة كلّها بتلاحمها معًا فوق الصخرة التي صارت أساسًا للبرج... وبعد الحجارة العشرة استخرج من الأعماق خمسة وعشرون حجرًا دخلت في البناء كما حدث مع العشرة حجارة؛ ثم خمسه وثلاثون ثم أربعون، وهكذا أصبح أساس البرج مؤلفًا من أربعه صفوف. توقف استخراج الحجارة من الأعماق، وتوقّف البناؤون قليلًا عن البناء، ثم أمر الرجال الستّة جموع الفعلة بجلب الحجارة للبناء من الجبال. فانطلقوا يحملون حجارة مختلفة الألوان، وكانوا ينحتونها ويسلّمونها للعذارى اللواتي كن ينقلنها من الباب ويسلّمنها لبناء البرج. وعندما كانت هذه الحجارة توضع في مكانها من البناء تفقد ألوانها وتصبح كلّها بيضاء. إنّها تمثّل الكنيسة التي تصبح قلبًا واحدًا نقيًا وبهيًا في المسيح يسوع.

الحجارة التي لم تتسلّمها العذارى لم تدخل من الباب ولم تكن ملائمة للبناء، بلا بهاء، ولم يتغيّر لونها إلى الأبيض الناصع.

توقّف العمل قليلًا وبقيت العذارى حارسات البرج حتى يأتي صاحب البرج، فقبلته العذارى وديرنمش من غيري وتشكّل معه حول البرج. صار يفحص البرج بدقّة متحسّسًا كل حجر، وكان يضرب بعضها بعصا في يده، فكان بعضها يسوّد والبعض يتفتّت أو يتشقّق أو يُبتر، وظهر البعض ليس باللون الأبيض ولا أسود، وظهر حجارة إنّها خشنة لا تصلح للبناء والبعض ملطّخًا... هذه حجارة لا تصلح للبناء، نُزعت عن البرج واستُبدلت بغيرها، أتوا بها لا من الجبال بل من سهلٍ مجاور. حفروا السهل فعثروا على حجارة لامعة مكعّبة وبعضها

مستدير. هؤلاء هم الأغنياء الذين عاشوا حياة سهلة لكنّهم لم يتركوا الإيمان ولم يخرج من فمهم كلمة بطّالة، إذ نُزع عنهم حب الغنى صاروا حجارة حيّة لامعة في بيت الرب...

بعض الحجارة الكرويّة احتاجت إلى نحتها لتوضع في البناء. وهكذا نرى صاحب البرج يشتاق أن يستخدم كل حجر في البناء، لكن الحجارة التي لا تستجيب تُرذل، ويُلقى بها بعيدًا عن البرج...

جاء ملاك التوبة بعد يومين لتنظيف المكان خارج البرج، فكان يلقي كل حجر لا يدخل في البناء بعدما يبذل كل الجهد لتسليم كل حجر للعذارى الست حتى المفتت والمشقّق لعلّه يصلح في البناء.

المثل العاشر: ينبّه ملاك العقاب هرماس وعائلته بالتوبة، معلنًا أن العذارى فرحات بوجودهنّ عنده، وأنّه ينصحهنّ ألاّ يتركن بيت هرماس فقبلت العذارى النصيحة فرحات.

## ج-أفكاره

### ج-١-التوبة

جاء في الوصيّة الرابعة حوار بين هرماس وملاك التوبة عن موضوع التوبة وغفران الخطايا بعد نوال المعمودية.

«قلت: أيمكنني يا سيّدي أن أسألك سؤالًا آخر؟

قال: تكلّم.

قلت: سمعت بعض المعلّمين يقولون أنّه ليس هناك توبة غير التي نلناها عند المعمودية حيث نلنا غفران الخطايا السابقة.

فقال لي: ما سمعته صحيح. وهذا هو الواقع، فالذي نال مغفرة الخطايا لا يجب عليه أن يخطئ، بل أن يبقى في النقاوة. ولكن ما دمت ترغب في أن تتحقّق في من شيء، اسمع ما أقوله لك. لا تفسح المجال للذين آمنوا الآن وسيؤمنون... إني أقول لك أن الإنسان

يخطئ خطيّة عظيم إذا وقع في التجربة بعد تلك الدعوة العظيمة الشريفة؛ للإنسان توبة واحدة؛ ولكنّه إذ يخطئ المرّة بعد الأخرى، فالتوبة غير مفيدة... «

ا. يلاحظ هنا أن ملاك التوبة يفتح باب التوبة أمام الساقطين بعد العماد في خطيّة عظيمة، ربّما عني بها جحود الإيمان وقت الضيق والاضطهاد حيث ثارت في الكنيسة مناقشات كثيرة حول إمكانيّة قبول توبتهم؛ لكنّه يضع أمام التائبين فرصة نهائيّة، فلا تُستغل طول أناة الله ومراحمه للسقوط المتكرّر.

هنا لا يتحدّث ملاك التوبة عن السقوط في الضعف التي يئن منها الجميع، إنّما عن خطايا معيّنة تمس إيمان الإنسان أو قدسيّة حياتهم بأكملها...

ب. تحمل التوبة سمة «الجامعيّة» فلا يُستبعد خاطئ ما منها، لا يستبعد الإنسان الدنس أو الجاحد، وإنّما يستبعد فقط من يصرّ على عدم التوبة.

ج. يلاحظ هنا أن التوبة تترجم إلى عمل، أو إلى حياة إيمانيّة عاملة. التائب حجر حيّ تتلقّفه الاثنتا عشر عذراء اللواتي هن: الإيمان والعفّة والقوّة وطول الأناة والبساطة والحب... الخ. أمّا غايتها فهو التمتّع بالعضويّة الكنسيّة الروحيّة، البناء الأبدي القائم على السيّد المسيح الصخرة المتّسعة لكل البشر، والباب المفتوح لكل تائب.

د. التوبة حياة شخصيّة خفيّة وليست مجرّد ممارسات ظاهرة، هذه الحياة لا تختبر خارج الحياة الجماعيّة الكنسيّة... فالمؤمن يبقى حجرًا لا قيمة له، ولا يتغيّر لونه إلى البياض والبهاء ما لم تدخل به العذارى إلى البرج ليصير مع أخوته بناءً مترابطًا وبهيًا.

في المثال ٩ يبرز أنّه لا مكان للمؤمن في البرج أي في الكنيسة بدون توبة، وأيضًا لا خلاص إلاَّ بدخول البرج. كأنّه بالتوبة نتمتّع بالحياة الكنسيّة الحقّة، وبالحياة الكنسيّة نخلص من الخطيّة وننعم بحياة القداسة المجيدة.

## ج-٢-الإيمان الثالوثي

لم يذكر هرماس قط اسم «يسوع المسيح» بل دائمًا يدعوه ابن الله أو السيّد، وهكذا فقد يكون هرماس من التيارات الكنسية التي تؤنس المسيح وتنظر اليه نظرة بشرية ناسوتية لا الهية. ففي المثل ٢:٧:٥-٣: « **الحقل هو العالم وسيد الحقل هو خالق الكل وجهزه ومقويه أما الابن فهو الروح المقدس أما العبد فهو ابن الله أما الكروم فهم البشر الذين غرسهم. الأسيجة هم الملائكة القديسون الذين يسهرون على شعبه...**» (البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢ صفحة ٢٢٠).

**وهذا نص واضح في عقيدة التأنيس لأنه يعتبر الابن الذي هو يسوع المسيح روحا مقدسا لا خالقا للعالم باعتباره الله كما يقول المؤلهة البولسية**. ولقد أخطأ البطريرك الياس معوض واللاهوتيين القائمين على الموقع العلمي للكنيسة القبطية على الشبكة العنكبوتية -موقع القديس تكلا/ *St. Takla* من تهوينهم من الأثر اللاهوتي لهذا الكتاب، زاعمين أن صاحبه يخلط بين الابن والروح القدس معتمدين على قول ملاك التوبة له: «أريد أن أريك كل ما أظهره لك الروح القدس الذي خاطبك باسم الكنيسة، هذا الروح **هو ابن الله**». وعلى المقطع السالف الذكر.

هذين المقطعين، ولو تأملوهما جيدا لوجدوا هرماس ناطقا عن وعي ومغزى لا عن خلط ووهم:

فقد وصف القديس هرماس -في النص الأول، الابن ب: «**الروح المقدس**» وليس هو نفس التعبير ل «**الروح القدس**». والفرق بينهما ان «الروح المقدس» جاءت على صيغة مفعول، فالمسيح روح قدست من خارجها، لأنها مقدسة من الله الآب، ولم تكن القدسية فيها أصلية فهو كسائر بني الإنسان ينال قدسيته من خارجه من الله الآب. أما عبارة «الروح القدس» فهو اسم علم مركب يدل على الملك جبرائيل الذي أنزل الناموس على موسى والوحي على محمد ﷺ فتعني أنها قدسية من أصلها، والقدسية فيها اصلية لا مضافة كما

هو الحال بالنسبة لابن الإنسان يسوع المسيح عليه السلام الذي باركه الله من يوم ولادته العجائبية. ومما يؤكد تفسيرنا لهذا النص استخدامه -الروح المقدس -على روح الله التي في مخلوقاته: فقد قال في الوصية:٥:٢:٥-٦:» عندما تأتي الارواح لتقطن في آنية واحدة حيث يقطن الروح **المقدس** تطفح الآنية، لأنها لا تتسع لكل هذه الأرواح. وهكذا يهرب الروح **المقدس** بطبيعته اللطيفة لآنه لا يستطيع أن يسكن مع هذه الأرواح الشريرة، ويذهب حيث الوداعة والهدوء». فالروح المقدس لا تعني الروح القدس المعروفة بجبرائيل ملك الناموس ولكن تعني الهامات الله والأفكار الصالحة التي لا تقبل شراكة الأفكار الخاطئة والشريرة. فأينما وجدت احداهما نفضت الأخرى. فليُتأمل.

أما عن النص الثاني، في وصفه الروح القدس بابن الله، فهي لا تعني المسيح، لأننا بتنا نفسر النصوص المؤسسة بما اصطلح عليه بعدها بقرون. وابن الله في التراث الكتابي وكما سنبين بتفصيل عما قريب لا تعني المسيح ولكن تعني «عبد» أو «رسول» أي عبد الله أو رسول الله، مع أن كثيرا من الطوائف والأساقفة يعتبرون الروح القدس مخلوقا لا الها.

كما أننا لو فرضنا أنه قد سمى الابن بروح القدس فهذا لا يعتبر خلطا، لأن كثيرا من الطوائف التي تحدث عنها التاريخ الكنسي كانت لا تؤمن بألوهية وقدسية الروح القدس. فهذا القديس سابيليوس الليبي -سنة ٢٥٧ ميلادية- يجعل من الروح القدس والابن والآب -الثالوث- «ماهي إلا ثلاثة اسماء لإله واحد مخترعة لتبيان مفاعيل اللاهوت المختلفة. ولكي يوضح سر التثليث استعمل مثل الشمس مميزا بها الشعاع والحرارة والدائرة المتضمنة كليهما، فالشعاع عبارة عن الابن والحرارة عن الروح القدس والدائرة أو جسم الشمس عبارة عن الآب الذي بأقنوم واحد يحوي الابن والروح القدس» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٦). فالروح القدس عند سابيليوس ماهي إلا صفة من صفات الاله الخالق، وليست كيانا مستقلا ذو طبيعة الهية كما يعتقد المؤلهة البولسيون. وفي القرن الرابع اعتقد الاريوسيين حدوث الثالوث وعدم أزليته، وقد ذكر ذلك عدو آريوس ومعاصره عنه اثناثيوس في كتابه» ضد الآريوسيين» (القديس اثناثيوس ، ١٩٨٤

صفحة ١٢٢). كما هو مذهب أسقف القسطنطينية البطريرك مكدونيوس، الذي **يعتقد أنه كسائر المخلوقات، وخادم للابن كأحد الملائكة**. وهو نفس قول سابقيه. بل لم ترسم ألوهية الروح القدس حتى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ميلادية، حينها أصدر الامبراطور الروماني ثودوسيوس الكبير مرسوماً أعلن فيه: «حسب تعليم الرسل وحق الإنجيل، يجب علينا أن نؤمن بلاهوت الأب والابن والروح القدس، المتساوي في السلطان، **وكل من يخالف ذلك يجب عليه أن ينتظر منا العقوبات الصارمة التي تقتضي سلطتنا بإرشاد الحكمة السماوية أن نوقعها به، علاوة على دينونة الله العادل**». وابتداء من هذا التاريخ تقرر الثالوث باعتباره مقدسا وأزليا مثل الآب. كما نقل القديس الفونسو دي ماريا ليكوري في كتابه «الأرطقات مع دحضها» عن القديس بولس السميساطي أسقف أنطاكيا وأستاذ آريوس أنه كان قد «أنكر تثليث الاقانيم الإلهية وان سلم باسم الآب والابن والروح القدس غير انه من انكاره على الابن والروح القدس وجودهما الأقنومي الذاتي كان ينتج انه لا يعرف كليهما...ثم أوصل تلاميذه ضلالهم هذا ضد سر الثالوث القدس...» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٣٩). وسار على مذهب بولس السميساطي طائفة معروفة تدعى بالبوليقانية...الخ كما كان المثلثة دائما محل سخرية واعتراض الفلاسفة الوثنيين على هذا التثليث باعتباره مناقضا للتوحيد الذي يزعمه المثلثة، وقد ذكر ألفونسو دي ليكوري عن الفيلسوف الوثني غيلسون كان معترضا على التثليث لأنه يؤدي إلى تعدد الالهة **فأجابه أوريجانوس في كتابه ضده، بجواب لا يقوى ولا يقبل إلا بإيمان بغير دليل منطقي لا برهان عقلي!!** انظر، (القديس ألفونسو، ١٨٦٤، صفحة ٣٨).

لا يستبعد إذن أن يكون راعي هرماس من منكري لاهوت الروح القدس، بل قد لا يؤمن بوجودها أصلا، لذلك لم يذكرها في نصه، فذكر **خالق العالم-الله- والابن نبي الله المسيح- باعتباره روح من الله-** فهي مقدسة مثلها مثل سائر الأرواح البشرية لأنها من الله وهي أبدية ومقدسة وهو أيضا اعتقاد المسلمين. وذكر بعد ذلك **العبد -عباد الله المؤمنين به / شعب الله- باعتباره ابن الله** أي عبده كما هو معناه في التراث الكتابي والديني اليهودي

الذي نشأت فيه المسيحية. وهذا يعطينا مؤشرا من مؤشرات كثيرة عن جهل الكنيسة الأولى بمفهوم التثليث الذي عليه الكنيسة المتأخرة!!!

إن كلمة ابن الله في التراث الكتابي تعني عبد لله باعتبار البنوة في العهد القديم يُقصد بها العبودية، فكل شعب إسرائيل هم ابناء الله، كما في القرآن نقلا عنهم قولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالمسيحيون نَحْنُ ابناء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أنتم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة المائدة:١٧). يقول البروفيسور اللاهوتي بارت إرمان الحائز على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برينستون –مقدما دليلا منطقيا استنتجه من دراسته المكثفة للكتاب المقدس التي استمرت لسنين: « معظم المسيحيين لا يدركون أنه في العصر اليوناني الروماني الذي كتب فيه مرقس كتابه كان تعبير «ابن الله» يعني أشياء كثيرة منها «الشخص ذو العلاقة الخاصة بالله « كما استخدم هذا المصطلح ليصف «عملا معجزا» أو حتي «الشخص الذي يساعد مجتمعه...»[(١)]

كما تستخدم عبارة «*Benei Elohim*» في اللغة العبرية التي تترجم عادة إلى «ابناء الله» تصف الملائكة والبشر ذوي القوى الخارقة. انظر سفر التكوين من ٦: ٢ إلى ٦: ٤ وسفر أيوب ١: ٦.

استخدمت للدلالة أيضا على القاضي أو الحاكم البشري كما جاء في سفر المزامير ٨٢: ٦ »بنو العلي». وبشكل أخص، استخدمت لوصف ملك إسرائيل الحقيقي في سفر صموئيل الثاني ٧: ١٤، إشارة إلى النبي داود ومن خلفوه، وكذلك في سفر المزامير ٨٩: ٢٧ و٢٨.

بنو إسرائيل يسمون بـ «ابن الله» بصيغة المفرد كما في سفر الخروج ٤: ٢٢ وسفر هوشع ١١: ١.

---

*(1) http://www.themq.com/*

في العصور القديمة كلمة ابن الله تعني رسـول الله أو القوي بأمر اللـه كما أوردنا في العهد القديـم.. وكلمـة الأب تعني المعلم كمـا كانت انبياء إسـرائيل تنـادي الأب، أبوكم. وتعني معلمكم والمعلم البشري للبشر لتعاليم يعني أب أيضا وفي العائلة تعني رب الأسرة أي معلمها وابوهم.

اعتبـر هرماس في المثـل ٥:٦:٥: أن « الـروح القدس الـذي كان قبـل الخليقة، الذي خلق كل **الخليقة** البســه اللباس الـذي اراده»، اذن الـروح القدس هي التـي خلقت الخليقة وقد سـلف معنا عن هرماس نفســه أن الله هـو الخالق العالـم. فلعله يقصد العالـم المادي -الوجود- والروح القدس خلقـت الحياة ومظاهرها فـي هذا العالم، وهـذا اعتقاد مؤثر جدا على المعتقد الكنسـي لأنه سـيحدث شـك في أي المعتقدين هو الأرثوذكسي والآخر هرطوقي. والظاهر أن الكنيسـة إلى اليوم لم تفصل في طبيعة الروح القدس ودورها في هذا العالم وعلاقتها بأبناء آدم وحواء.

## ج-٣-الكنيسة

١- إن كتـاب «الراعـي» هو دعـوة حـارة للتوبـة، فهو فـي الحقيقة دعـوة للدخـول إلى العضويّة الكنسـيّة حيث جماعـة التائبيـن المتمتّعين بنعمـة الله وعملـه الخلاصي. رأينا في المثل التاسـع على وجه الخصوص، كيف نزع ابن الله، صاحب البرج، من كنيسته الحجارة غير اللائقة، ولـم يقبل عودتها لتكون جزءًا لا يتجزّأ من البناء بطريق آخر غير التوبة العمليّة والمستندة على ابن الله، الصخرة المتّسعة لكل البشر.

٢- الكنيسة -عند هرماس- هي أول المخلوقات، لم يُخلق العالم إلاّ لأجلنا.

٣- لا يتجاهل هرماس ضعف الكنيسة، بل يتحدّث عنها بإسهاب في الرؤيا الثالثة، ومع وجود هذا الضعف كان مملوءًا رجاءً في الله الذي يبني الكنيسة كبرج بسرعة.

٤- تحـدّث بطريقـة غير مباشـرة عـن النظـام الكهنوتـي، فقد مـدح محبّة الأسـاقفة الروحيّين، وفي صراحة وبّخ الكهنة القسوس والشمامسة على أخطائهم.

٥- بغض النظر عما للإكليروس من فضائل أو ضعف فإنّه يتطلّع إلى الكنيسة نفسها كأم للمسيحيّين. إنّها كأم تنصح ابناءها قائلة: اسمعوا يا أولادي؛ لقد ربيتكم ببساطة عظيمة وبراءة وقداسة...

٦- يتحدّث عن وحدة الكنيسة فيما بينها ووحدتها مع مسيحها، إذ رآها برجًا كما لو كانت حجرًا واحدًا منفردًا، كما رآها والصخرة القائمة عليها كتلة واحدة.

## ج-٤-المعمودية

١- لا يتمتّع أحد بالعضويّة الكنسيّة ما لم يتقبّل المعمودية: «سألتها: لماذا يُبنى هذا البرج فوق الماء يا سيّدتي؟ فقالت: لقد قلت لك من قبل... إن حياتنا خلصت وتخلص بالماء. للبرج أساس، وأساسه كلمة اسم الله العظيم الممجّد، قائم بقوّة السيّد غير المنظورة».

٢- تسمى المعمودية ختمًا: الذين لا يحملون اسم ابن الله هم أموات، إلاَّ أنّه عندما ينالون الختم يخلعون الموت ويلبسون الحياة. الختم هو ماء المعمودية، ينزلون في الماء أمواتًا ويخرجون منه أحياء. لقد أُعلن هذا الختم لهم أيضًا فاستخدموه ليدخلوا ملكوت السموات.

ويُلاحظ أن العماد هو نزول إلى الماء كما إلى القبر وخروج منه كما بقيامة السيّد المسيح، يتم بالتغطيس لشركة في دفن المسيح وتمتّع بقيامته، كقول الرسول بولس: «فدفنّا معه بالمعمودية للموت؛ حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة» رومية ٦: ٤.

٣. يرى هرماس أن الرسل والمعلّمين نزلوا إلى الجحيم ليعمّدوا الذين رقدوا في الفضيلة والإيمان بابن الله قبل مجيء السيّد المسيح، ويصيروا معهم حجارة ميّتة في البرج الأبدي... **هكذا يرى العماد ضروريًا حتى لرجال العهد القديم الذين ماتوا على رجاء الخلاص... هذه النظرة مبالغ فيها، لكنّها تكشف عن مدى أهميّة المعمودية في العصر الرسولي للتمتّع بالخلاص.**

## ج-٥-الأخلاق

١-يقول كواستن Qusaten أنّه جدير بالملاحظة وأمر هام أن هرماس يميّز بين الوصيّة والمشورة؛ الوصيّة تأمر بما يجب الالتزام بها، أمّا المشورة فتعني أن الإنسان يتمّم ما بعد المشورة بمحض إرادته.»سأظهر لك وصاياه، فإن فعلت ما هو أكثر تنال مجّد أعظم وحظًا أوفر عند الله.

من الأعمال التي بها نمارس ما هو أكثر من الوصايا: الصوم والبتوليّة والاستشهاد».

كأن المسيحيّة لا تقف عند حدود معيّنة، أو لا تعرّف للوصيّة حدًا، إذ يشتاق المؤمن أن يُبذل كل يوم في أصوامه، وأن يسمو بمشاعره فيقدّم نفسه بتولًا لا تنشغل إلاَّ بعريسها السماوي؛ ويشتهي أن يموت من أجل من مات عنه.

٢- لكل إنسان ملاكان، ملاك البرّ يحث الإنسان على الحياة الفاضلة من تقوى وطهارة وقداسة... الخ، وملاك الشر يثير فيه الشر. كل من الملاكين يريدان السكنى في القلب؛ الأول أنيس ومتواضع ووديع والثاني عنيف وبغوض وأحمق.

٣. يتطلّع هرماس إلى الغنى كعائق في الحياة الروحيّة، بل أحيانًا يقود إلى إنكار السيّد

## ج-٦-الزواج

في رأيه لا يجوز لأحد الزوجين أن يتزوّج بسبب زنى الطرف الآخر، لكنّه **يمكنه أن ينفصل عنه، وإن تاب الطرف الآخر فليقبل توبته.**

يجوز الزواج بعد وفاة الطرف الآخر، **وإن بقي الشخص بدون زواج ينال شرفًا عظيمًا ومجدًا أمام السيّد.**

وجود نصين من أمثال رؤيا بطرس وكتاب الراعي هرماس القانونيين المقدسين، لدى الكنيسة المسيحية في القرنين **الأول والثاني والثالث الميلاديين، مع ما تحويه هذه الرسائل المقدسة من نفي الوهية المسيح ونفي الصلب عنه وتأكيد بشريته ومخلوقية الروح القدس**

**لدليل على أصالة هذا المعتقد لدى المسيحيين المؤسسين، فكان من اللازم حذفهما بعد اقرار عقائد الوهية المسيح والتثليث والصلب والفداء والخطيئة الأصلية...ليتم طي صفحة الآلاف من المؤمنين بنبوة المسيح ورسوليته البشرية باعتباره ابن الانسان فقط، وفتح صفحة جديدة من الاعتقاد والاضطهاد للمخالفين باسم الدين وحرابة الهراطقة!! إنها سلطة المنتصرين الذين ما يميلون عادة « الى كتابة التاريخ وذلك من اجل تمجيد مآثرهم والحط من انجازات منافسيهم...»** (بنتلي صفحة ١٧٢).

لقد استمر هذا الإقصاء الممنهج تجاه المخالفين وكتبهم المقدسة إلى يومنا هذا. فقد ذكرت مصادر أن الكنيسة الكاثوليكية قررت منع استخدام إنجيل مرقس -وهو ثاني الأناجيل الأربعة القانونية في العهد الجديد -أثناء موسم الأعياد. يقول البروفيسور بارت إرمان -أحد علماء اللاهوت المرموقين - الحائز علي درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برينستون - محاولا شرح الأسباب التي تقف وراء هذا القرار: «إن هذا القرار يرجع فقط إلى أن إنجيل مرقس لا يدعم وجهة النظر التي يؤمن بها معظم المسيحيون حول الكريسماس: فلن تجد في اي مكان في إنجيل مرقس أن المسيح هو الابن الوحيد لله وليس هناك حتي تسجيلا لحادثة ميلاده: فليس هناك أي ذكر للرعاة ولا للحكماء المجوس وليس هناك اي ذكر للملاك جبريل أو البخور»[١]. ووقد أكد موقف ارمان موقفا سابقا للبروفيسور جيمس بنتلي إذ قال: «ويبدو أن هذه الحقيقة حول مضمون إنجيل مرقس يناقض الأناجيل القانونية كما لاحظنا في المخطوطة السينائية» (بنتلي صفحة ١٦٧).

**تلاعب الكنيسة المسيحية بالكتاب المقدس سيكون في صالح الإسلام، وسيزيد من القلق وشكوك القلة المسيحية الغربية المتبقية، بل وسيزيد شكوك الآلاف من مسيحيي الشرق في مدى قانونية الكتب التي بين أيديهم.**



---

(1) http://www.themq.com/

# الفصل الثالث

## مشكلة الآريوسية وإنكار اللاهوت

لعل أهم المشكلات اللاهوتية التي أخذت أكثر من غيرها الحيز الأكبر من الجدالات العنيفة والتحريمات والتكفير المتبادل هي قضية **طبيعة المسيح عليه السلام**. بالنظر إلى تاريخ الكنيسة في مختلف مصادره فإننا نلحظ حضورا مهما لهذه القضية ابتداء من القرن الرابع حيث بدأ الشعور بوجود خلل لاهوتي يهدد استمرارية الكنيسة ووحدتها. خصوصا وأن الفلسفة اليونانية قد اختلطت باللاهوت المسيحي ثم باللاهوت اليهودي ثم بالعقائد الهلينستية للديانة الوثنية الرومانية، فبدأ نور المسيح يخفت أمام هذه التيارات المتزايدة داخل جسد الكنيسة المقدسة. وهي بذلك مهددة بالتفكك وضياع اللاهوت لصالح لاهوت آخر يلبسه الشرير.

يقول القديس كبريانوس[(١)] أسقف قرطاجنة -٢٠٨/ ٣٠٤ ميلادية- متحدثا

(١) ولد القديس في منتصف القرن الثالث الميلادي في مدينة أنطاكية من والدين وثنيين ربياه تربية وثنية فاسدة زخرت بالخرافات والاعتقادات الباطلة، وما أن شب حتى أخذ يتجول في بلاد كثيرة يتعلم أصناف ضروب السحر والعرافة والشعوذة، مستخدماً إياهم في إغواء وإفساد العذارى وإيقاعهن في حبائله الشريرة. وذات يوم التقى في أنطاكية مسقط رأسه بعذراء مسيحية اسمها ايوستينة التي كانت السبب في إيمانه بالرب يسوع، محاولاً إيقاعها كعادته في الخطيئة والعبث بها، إلا أنها في كل مرة كان هذا الساحر الشرير يحاول الإيقاع بها كانت ترسم إشارة الصليب فتبطل كل فنونه السحرية الشيطانية، فجن جنونه وسأل الشيطان مساعده أن يدله على طريقة ناجعة ينجح ويسيطر بها على ايوستينة، فأجابه الشيطان أن لا حيلة له على الذين يعبدون الرب يسوع عبادة حقيقية، فتأثر جداً من هذا الجواب وأخذ يبكي بشدة على خطايا حياته الشريرة الماضية وما ألحقه من أضرار بالفتيات البريئات. التجأ إلى كاهن قديس اسمه اوسابيوس وطلب منه أن يسمح له بحضور اجتماعات المسيحيين أيام الآحاد والأعياد فأثر فيه خشوعهم وإيمانهم وعبادتهم، واعتنق الدين المسيحي وعزم أن يكفّر عن الشكوك والخطايا الكثرة التي سببها للآخرين في حياته الماضية بسحره وشعوذته. سيّمَ كاهناً ورقيَ إلى درجة الأسقفية وصار مطراناً على كرسي أنطاكية مدينته ومسقط رأسه، ولما اضطهد الإمبراطور ديوكلسيانوس المسيحيين وجاء إلى نيقوميديا وطلب إحضار كبريانوس وايوستينة للمثول أمامه، ولما رآهما ثابتين في الإيمان امتحنا من جديد بالعذابات المتنوعة فوجدا أكثر صلابة وعزماً وثباتاً من الأول في الإيمان، فأمر الإمبراطور بقطع رأسيهما سنة/ ٣٠٤/ م، وبقيت جثتاهما مطروحتين ستة أيام في العراء إلى أن نقلهما بعض الملاحين المؤمنين في سفينتهم إلى مدينة روما ودفنوهما فيها.

عن مكائد الشيطان الرجيم «...وإذ رأى أن أوثانه قد هجرت، وجموع المؤمنين تركت معابده-اخترع حيلة جديدة مستخدما الاسم المسيحي نفسه، حتى يخدع من هو غير حذر وغير حكيم؟ **لقد اخترع الهرطقات والانشقاقات حتى يهد الايمان، ويفسد الحق ويشطر الوحدة، فالذين لم يستطع أن يقيدهم ويأسرهم في ظلام الطريق العتيق**، يحتال عليهم ويخدعهم بضلال طريق جديد، فهو يخطف أناسا من داخل الكنيسة ذاتها، وإذ يظنون أنهم قد اقتربوا من فعل النور، وأفلتوا من ليل العالم المظلم، يلقي عليهم بظلاله من جديد، في جهلهم ولا وعيهم، يدعون ذواتهم مسيحيين، رغم أنهم ليسوا مع إنجيل المسيح ولا وصاياه...» (كبريانوس، ٢٠٠٢ الصفحات ٨-٩).

لقد كاد الشرير للكنيسة بأن شتتها بالهرطقات، لكن تشتيتها ابتدأ على يد الرسل المقدسين ثم استمر حتى القرن الرابع موعد انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية.

لقد كانت التعاليم المقدسة خلال القرون الأربعة الأولى مقسمة بين تعاليم شفوية ليتورجية موروثة عن التقليد القديم وبين نصوص دينية مكتوبة، وظل هذا العذر سببا في تمرير البدع والهرطقات وشرعنتها بنسبتها إلى تلكم التقاليد المنقولة شفويا. ينقل القديس يوسابيوس القيصري عن كاتب سفر أعمال الرسل منكرا عنه هرطقاته التي يقننها اعتمادا على هذه الطريقة « ويدوّن نفس الكاتب روايات أخرى **يقول أنها وصلته من التقليد غير المكتوب وأمثالا وتعاليم غريبة للمخلص، وأمورا أخرى خرافية**» (القيصري، ١٩٧٩، الكتاب الثالث، الفصل التاسع والثلاثين، صفحة ١٤٥). بل صاروا يقدمون التقليد الشفوي على التشريع الكتابي! يقول يوحنا كرافيذوبولوس «بابياس أسقف ايرابوليس فريجيا، في بدايات القرن الثاني، بالرغم من أنه يعرف الأناجيل المكتوبة **إلا انه كان يعتمد على التقليد الحي أكثر من اعتماده عليها**. ونستدل على ذلك من خلال المقطع القادم الذي يعطينا تفصيلات دقيقة:» **ولكنني لا أتردد أيضا أمامكم مع تفسيري كل ما تعلمته بحرص من المشايخ وكل ما أتذكره بحرص،** ضامنا صحته... **لأنني اعتقد أن ما تحصل عليه من الكتب يفيدني بقدر ما يصل الي من**

**الصوت الحي، من الصوت الحي الدائم**» (كرافيذوبولوس، ٢٠٠٤ صفحة ٤). ونظرا لكثرة التقاليد وكثرة الكتب دخل القديسون اللاحقون في اختلاف عميق حول قانونية اللاهوتيات المتضاربة وأصالة المصادر المأخوذة عنها.

## ١-جدل المصادر المقدسة

لم ينته القرن الأول الميلادي حتى طفح العالم المسيحي آنذاك بالعديد من الكتاب المقدسة المنسوبة إلى يسوع المسيح والرسل الاثنا عشر. وهذا واضح في مقدمة إنجيل مرقس١ :١ الذي ألف ما بين٨٠-٩٠ ميلادية- وفيه يظهر كاتب الانجيل السبب وراء كتابته له قائلا «**لما أخذ كثير من الناس يدونون** رواية الأمور التي تمت عندنا، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة». (المقدس، ١٩٩٣).

وبإزاء هذه المصادر المقدسة المتضاربة على مستوى مدونيها ولغتها وعقائدها... الخ، ومنذ ذلك العهد كانت محل خلاف وصراع حول قانونيتها -أصالتها الدينية- خصوصا وأن المسيح عليه السلام لم يترك إنجيلا مكتوبا كما فعل النبي ﷺ، بل كرز بالإنجيل المقدس وعلمه للناس وللحواريين الذين هم بدورهم كرزوا به للعالم. يوضح البروفيسور جيمس بنتلي هذه النقطة قائلا: «**...وكان المسيحيون في الكنيسة الأولى ينقلون العديد من الرسائل المشكوك بأمرها دون التمييز بينها وبين الكتابات الموثقة. وسوف لا يكفي التحقق من التاريخ-وأعني هنا كون الرسائل الأولى قريبة إلى عهد المسيح هي موثقة أكثر من الرسائل اللاحقة-...وقبل قسم من الكتابات المسيحية في بعض الأماكن في العالم المسيحي، ورفض في أماكن أخرى...وباختصار فإن القانون الكنسي لم يكن شيئا حاسما يمكن منحه دون نقاش بشكل واضح لجميع الرجال والنساء من ذوي التفكير الشديد. وخلاف ذلك هو الصحيح، فإنه في تطور دائم عبر القرون وبعض الأحيان على نحو غامض. وأحيانا بدت النقاشات حول الكتب المسيحية باختلاف عناوينها متشابهة. كما اشتملت في أحيان أخرى على النزاعات الناشبة عن طموحات الشخصيات المتنافسة. ومما يدعو للأسف أن الخطر المتعمد على الكتب أدى**

**غلى اختفاء العديد من الكتب التي نرغب بقراءتها اليوم. ففي عام ٤٩٤ ميلادية أصدر الباب جلاسيوس الأول مرسوما شجب فيه أكثر من ستين كتابا وثلاثين مؤلفا... وسرعان ما أدى الخلاف الذي كان دائرا بين المسيحيين واليهود في الأيام الأولى من انتشار العقيدة المسيحية إلى ظهور الشكوك حول مكانة بعض الكتابات المسيحية. إذ اعتقد أحد الشخاص المسيحيين وكان يدعي مارقيون أن الأدبيات المسيحية الأولى قد أفسدتها الأفكار اليهودية.»** (بنتلي الصفحات ١٥٤-١٥٥).

ولن نناقش في هذا المقام، عزيزي القارئ، اصالة الكتب القانونية والتي هي في محل شك دائم خصوصا إنجيل مرقس الذي منعت الكنيسة الكاثوليكية المعاصرة تلاوته في الأعياد، لكنا سنحاول تتبع -قدر الإمكان- مصادر التاريخ الكنسي، باحثين عن أناجيل كانت معتبرة قانونية ومقدسة لدى الكنائس الأولى فتم رفضها لدى الكنائس الحالية. وغرضنا هو الإبقاء على هذا الباب مفتوحا وبشكل علمي تاريخي، لأننا لاحظنا تغييبا ممنهجا لكثير من الكتب المقدسة التي كانت محل ثقة الآباء الرسوليين المؤسسين للمسيحية في صيغها الأولى، لأغراض غير دينية وفي كثير من الأحيان لأسباب تحيزية ممركزة. فنرمي إلى إعادتها للحظيرة اليسوعية ليتم الخلاص لأبناء الله الذين حرموا منه.

عزيزي القارئ الكريم، طبيعة موضوعنا معقدة جدا وليس هذا مجال التفصيل فيها، مع أن بعض مصادر التاريخ الأساسية موجودة بين أيدينا ومنها ما هو نادر الوجود، لكننا سنكتفي ببعض الأمثلة للتدليل على موقفنا. ولنقول «**ربما وقع تزييف للكتاب المقدس**» وسنترك لك أخي القارئ الحكم على ما سنأتي به من أدلة والله الموفق.

سبق أن تحدثنا عن كتابين قانونيين من كتب العهد الجديد، اعترفت بها الكنيسة خلال الثلاثة قرون الميلادية الأولى. ونقصد هنا كلا من رؤيا بطرس وسفر الراعي لهرماس، ولا نرى جدوى من اعادة البحث في أصالتهما التاريخي والقدسية.

منهاجيتنا في دراسة هذه النقطة هي اعتماد اقتباسات الآباء الأولين من العهد الجديد، كما احتفظت لنا بها المصادر التاريخي المسيحية. وإن كنا نعارض موقف كثير من

اللاهوتيين، كالدكتور اللاهوتي القس منيس عبد النور إذ قال « وقد أحصى علماء الكتاب المقدس الآيات التي اقتبسها أصحاب الكتب المذكورة، فوجدوا أنها تبلغ حوالي ثلاثة أرباع الآيات الواردة في الكتاب المقدس الذي بين أيدينا، وتحوي كل آيات العهد الجديد ما عدا إحدى عشرة آية، كما وجدوا أنه ليس هناك اقتباس في هذه الكتب إلا وهو موجود في هذا الكتاب. وقال علماء الكتاب المقدس إنه لو ضاعت نسخ الكتاب المقدس الحالي من الوجود، لأمكن جمع معظمه من الكتب الدينية السابق ذكرها، الأمر الذي يدل على أن نسخة الكتاب المقدس الحالية هي هي كما كانت منذ القرون الأولى، دون تغيير أو تبديل» (عبد النور صفحة ٢٧). ويؤيد الدكتور اللاهوتي يوسف رياض منهجية القس منيس عبد النور (رياض، د.م صفحة ٣٦)(١). اذن فمصادر عصمة الكتاب المقدس ووثوقيته هي:

١. اقتباسات الآباء.

٢. اقتباسات الآباء باعتبارها مصدر من مصادر معرفة الوحي الأصلي!!

ما أتى على كتابي رؤيا بطرس والراعي لهرماس هو نفسه الذي سيأتي على كتب عديدة طالما اعتبرت قانونية ومعصومة بالوحي الإلهي، وقد قدسها الآباء المؤسسون لكن الكنيسة ترفضها الآن وتحرم تابعيها!!

**أ-رسالة برنابا** (نص الرسالة عند البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢، صفحة ٧١).

تعتبر رسالة برنابا، والتي يُظن أنها كُتبت ما بين١١٥ـ١٤٠ ميلادية، أنها النص الوحيد للعصر الذي يأتي بعد العصر الرسولى، والتي فيها انشغل كاتب الرسالة بالفهم الصحيح للعهد القديم وأظهر فيها مفهوم ومعاني التفسير الرمزى للعهد القديم.

و«رسالة برنابا» لم تشر إلى أن برنابا هو واضعها، وليس فيها من دليل على أنها من وضع أحد الرسل. لكن يوجد تقليد قديم ينسبها إلى الرسول برنابا المُسمى يوسف ـ رفيق

(١) -ونفس الكلام ايضا في كتاب الزميل فادى الكسندر، مقدمة في علم النقد النصي، ص: ١٨١.

الرسول بولس ـ والمذكور في سفر الأعمال٤:٣٦، والذي يعنى «ابن الوعظ» أو «ابن التعزية» وقد نالت هذه الرسالة تقديرًا عاليًا في الكنيسة الأولى-كما سيأتي معنا-.

والنسخة السينائية للكتاب المقدس *Codex Sinaiticus* والتي ترجع إلى القرن الرابع الميلادي تعتبر أن «رسالة برنابا» من الرسائل القانونية، وضمن كتب العهد الجديد، ووضعت في الترتيب بعد سفر الرؤيا. وقد اقتبس كليمندوس الإسكندري الكثير منها ونسبها إلى الرسول برنابا. أما العلاّمة أوريجانوس فقد اعتبرها من الكتاب المقدس كإحدى الرسائل الجامعة الكاثوليكون. وعلى العكس من ذلك، نجد أن يوسابيوس القيصري في كتابه «تاريخ الكنيسة» القرن الرابع قد اعتبرها من الرسائل المنحولة أي ليست من تأليف الرسل، وأنها لا تنسب إلى برنابا الرسول. وبالنسبة للقديس جيروم في كتابه «حياة مشاهير الرجال»، فقد اعتبر رسالة برنابا أنها من الأبوكريفا، والتي لا تدخل ضمن الأسفار المقدسة والقانونية.

بالنسبة للأبحاث الحديثة، فهي ترفض نسبتها إلى الرسول برنابا بسبب نظرتها القاسية للعهد القديم، كما أنها كُتبت بعد خراب أورشليم كما هو واضح في الفصل السادس عشر من الرسالة. وربما يشير استخدامها الكثير للتفسير الرمزى، والذي تميزت به مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، إلى أن كاتب الرسالة هو إسكندري، وربما لهذا السبب تكون قد احتلت مركزًا خاصًا بين اللاهوتيين الإسكندريين.

### أ-١-محتويات الرسالة:

يقسم إلى قسمين:

القسم الأول: من ١ـ١٧

القسم الثاني: من ١٨ـ٢١

في القسم الأول يبحث الكاتب معنى العهد القديم. فبالنسبة إليه، الناموس الليتورجى هو رمزيًا وليس حرفيًا، لم يأمر بختانة الجسد، بل العقل والقلب، لم يحرم الخنازير، بل نهى

عن مرافقة الرجال الذين يشبهون الخنازير. والرجال الـ ٣١٨ الذين ختنهم إبراهيم يرمزون إلى موت المخلّص على الصليب الرقم ٣٠٠ يشار إليه بالحرف T «الصليب» والعدد ١٨ يرمز إليه بحرفي IH وهما أول حرفين من اسم يسوع (البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢ صفحة ٧٤).

واليهود، في رأيه، لم يفهموا معنى الوصايا، لأنه حفظوها حرفيًا وتصرفوا كالوثنيين، عندما حصروا الرب في الهيكل كالصنم. ولذلك فإن الهيكل سيهدم١٦: ٢

واعتبر أيضًا أن ٦ أيام الخلق توازى ٦٠٠٠ آلاف سنة، فيها يقود الله كل شيء إلى تمامه، أي أنه سيدين الأشرار بعد انقضاء هذه المدة١٥: ١-٦.

القسم الثاني يحتوى على التعليم حول الطريق عن طريق النور وطريق الظلمة الوارد في تعليم الرسل الاثني عشر. ولعل كاتب هذا النص وكاتب تعليم الرسل استقيا هذا التعليم من المصدر ذاته. البعض يعتبر أن القسم الثاني هو اضافة متأخرة.

كاتب الرسالة يعرف معرفة جيدة اللغة والأفكار الرئيسية للعهد القديم ويرغب كمعلّم أن يكشف للمؤمنين المفهوم الحقيقي للكتاب: «انظروا موهبة تعليمه التي وضعها فينا. إن أحدًا لم يدركها مثلي وإنكم كما أعرف تستحقونها»٩: ٩. لقد شرع الكاتب أن يفصل العهد القديم عن اليهود. فالعهد القديم لا ينتمي إلى اليهود والمسيحيين معًا، بل فقط للمسيحيين. اليهود فقدوا جوهريًا العهد عندما سقطوا في عبادة الأوثان، عندما صعد موسى إلى الجبل٤: ٨. وبسقوطهم فقدوا أي إمكانية لفهم الناموس على المستوى الروحي٨: ٧، فتمسكوا تمسكًا أعمى بالناموس واستبدلوا ناموس الله المحيي، بالذبائح والتقدمات التي ألغيت تمامًا بواسطة الرب. إن فرائض الختان٩: ٤-٧، ووصايا الصوم١٠، وراحة السبت١٥: ١، ... الخ كلها لها مفهوم روحي فقط بالتفسير الروحي يمكن أن يكون لها معنى ومفهوم في العهد الجديد. لذلك يتعرف الكاتب في حوادث العهد القديم ونماذجه على عمل المسيح وحياة الكنيسة. فهو يرى في العهد القديم نبوءات عن ولادة المسيح بالجسد، والمعمودية، والآلام، والقيامة، إذ صوّرت هذه الأحداث بطريقة سرية في العهد القديم انظر ٨: ١. لذلك لا يعتبر كاتب الرسالة أن التفسير الكريستولوجي للعهد القديم هو

تفسير عشوائي. بل يتوافق تمامًا مع المفهوم الداخلي للكتاب. هذا المفهوم الداخلى كان معروفًا لدى موسى وداود والأنبياء من حيث إنهم قد اعترفوا بمجيء المسيح، على عكس الشعب اليهودي الذي تقسى سمعه وقلبه ولم يعد يسمع صوت الرب: وهكذا كل ما يحدث يبقى واضحًا لنا ومظلمًا لهم لأنهم لم يسمعوا كلمة الرب. ٧:٨.

## أ-٢-قانونية الرسالة

ينقل القديس يوسابيوس القيصري في تاريخه، عن القديس اكلمندوس السكندري ١٥٠ - ٢١٥م[١] تقديسه لرسالة برنابا « وباختصار لقد قدم في مؤلفه -وصف المناظر- وصفا موجزا عن جميع الأسفار القانونية، دون أن يحذف الأسفار المتنازع عليها، أعني رسالة يهوذا والرسائل الجامعة الأخرى، ورسالة برنابا والسفر المسمى رؤيا بطرس» (الكتاب السادس الفصل الرابع عشر، القيصري،١٩٧٩، صفحة ٣٠٢). كما كان

---

(١) القديس أكليمندوس الإسكندري من كبار قديسي الكنيسة الطوباويين، ولم تزل مكانته العالية مستمرة الى يومنا هذا. كان القديس اكليمندس الإسكندري مديراً لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية وتلميذاً للعلامة بنتينوس ومُعلماً لكل من العلامة أوريجانوس وهيبوليتوس وكان كما يصفه المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري « متمرساً في الأسفار المقدسة ». وينقل يوسابيوس عن كتابه وصف المناظر أنه أستلم التقليد بكل دقة من الذين تسلموه من الرسل، فقد كان هو نفسه خليفة تلاميذ الرسل أو كما يقول هو عن نفسه إنه « التالي لخلفاء الرسل »، « ويعترف بأن أصدقاءه قد طلبوا منه بإلحاح أن يكتب من أجل الأجيال المتعاقبة التقاليد التي سمعها من الشيوخ الأقدمين »، وذلك باعتباره أحد خلفائهم. ومن ثم فقد سجل التقليد الشفوي الذي سمعه ورآه وتعلمه وعاشه وحوله إلى تقليد مكتوب، كما شرحه ودافع عنه. وينقل عنه يوسابيوس، أيضا، قوله عن معلميه الذين استلم منهم التقليد « وقد حافظ هؤلاء الأشخاص على التقليد الحقيقي للتعليم المبارك، المسلم مباشرة من الرسل القديسين بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس، إذ كان الابن يتسلمه عن أبيه (وقليلون هم الذين شابهوا آباءهم) حتى وصل إلينا بإرادة الله لنحافظ على هذه البذار الرسولية ». ويقول عنه القس عبد المسيح بسيط: «وقد أقتبس من أسفار العهد الجديد ١٤٣٣ مرة، منها ٥٩١ من الأناجيل الأربعة و٧٣١ اقتباسا من رسائل القديس بولس الرسول و١١١ من بقية العهد الجديد»

القديس أوريجانوس،١٨٥ - ٢٥٤ ميلادية[١] مؤمنا بقدسيتها اللاهوتيين، حرف باء، تحت كلمة برنابا-رسالة برنابا، صفحة ١٤٤.

ويدل على قانونيتها أيضا وجودها ضمن المخطوطة السينائية[٢] التي اكتشفها «تشيندروف» في دير القديسة سانت كاثرين بصحراء سيناء المصرية سنة ١٨٤٤ ميلادية (بنتلي صفحة ١٥٢). كما كانت هذه الرسالة متضمنة في المخطوطة الكلارمونتانية التي ترجع إلى القرن الخامس الميلادي-٤٠٠ ميلادية- ووضعتها بين رسالة يهوذا وكتاب الرؤيا. (بنتلي صفحة ١٥٦).

ويرى بعض المحققين كالبروفيسور هارنك «أن تاريخ هذه الرسالة ينحصر بين سنة ٨٠-١٣٠. فليس قبل الثمانين لأن الكاتب، على ما يظهر، لاعلاقة له بالرسل-٩،٥-، وليست بعد سنة ١٣٠ لأن الكاتب يجهل ماركيون والنظريات الغنسطيكية الكثيرة ويجهل الأخطاء التي نجمت عن هذه النظريات، ولو كانت الرسالة كتبت بعد هذا التاريخ لكان صاحبها على معرفة بها» (البطريرك الرابع معوض، ١٩٨٢ صفحة ٧٦). وترجع دائرة المعارف الكتابية تاريخ تدوينها إلى سنة ١٣٠ ميلادية.(اللاهوتيين، حرف باء، تحت كلمة برنابا-رسالة برنابا، صفحة ١٤٤).

## ب-إنجيل العبرانيين[٣]

### ب-١-مقدمة عامة عن إنجيل العبرانيين

إنجيل العبرانيين **إنجيل ضائع** توجد له مقتطفات في كتاب إبيفانوس الذي عاش في القرن الرابع.

---

(١) أوريجانوس، كام من ابرز أوائل آباء الكنيسة المسيحية. توفي في قيصرية فلسطين سنة ٢٥٤م. كتاباته هامة بوصفها واحدة من أولى المحاولات الفكرية لوصف المسيحية.

(٢) المخطوطة السينائية: إحدى أهم مخطوطتين في العالم للعهد الجديد يعود الى القرن الرابع وقد كتب بين سنة ٣٢٥ و٣٦٠ وتحتوي على كلا العهد القديم والجديد. ويعتبر من اقدم المخطوطات **الذي يحتوي على جميع اسفار الكتاب المقدس**. توجد المخطوطة اليوم في المكتبة البريطانية، جامعة لايبزك والمكتبة الوطنية الروسية.

(٣) مقتطفات من نص إنجيل العبرانيين بالإنجليزية ترجمها *Mr. James* على الرابط التالي:
*http://www.earlychristianwritings.com/text/gospelhebrews-mrjames.html*

الإنجيل أقدم من ذلك حيث أكد ايريناوس أن الإبيونيين[١] استعملوا إنجيل شخص اسمه متييسمى إنجيل الإبيونيين[٢] في أواخر القرن الثاني، واقتطف ايريناوس بابياس الذي قال إن متى كتب إنجيله بالخط العبري. لم يكن إنجيل العبرانيين معروفا كثيرا في الكنائس التي أنشأها بولس، فقليل من أتباعه المتعلمين عرفوا الآرامية التي كانت تكتب بالأحرف المربعة نفسها التي استعملتها العبرية.

يبدو أن الاسم استعمل كعبارة عامة لأناجيل اليهود المسيحيين مما أدى لخلطه مع إنجيل الناصريين وإنجيل الإبيونيين والإنجيل حسب العبرانيين وإنجيل متى الآرامي الضائع. وبسبب الأجزاء القليلة الباقية لهذه الأناجيل فمن الصعب تحديد هوياتها وعلاقاتها ببعضها البعض إلا من خلال تعليقات آباء الكنيسة. لكن من الواضح أن عامة الكتاب المسيحيين لم يعطوها أسماء تدل على قبولها بل سموها نسبة للطوائف التي استعملتها.

تعتبر الموسوعة الكاثوليكية١٩٠٨ الإنجيل أصلا آراميا لإنجيل متى معدلا قليلا كتب بالأحرف العبرية، وذلك اعتمادا على أقوال جيروم. لكن من المعروف أن جيروم خلط بينه وبين إنجيل الإبيونيين وإنجيل الناصريين الشبيهين به. يعتقد أن كلمة العبرانيين تشير لليهود المسيحيين الساكنين في مصر، حيث يحتوي النص مواضيع ميثولوجية بأسلوب كتابة مشهور في مصر في ذلك العصر.

عرف عدد من الكتاب المسيحيين التقليديين عن هذا الإنجيل مثل كيرلس الأورشليمي الذي اقتطف منه. وذكر يوسابيوس أن الإنجيل حسب العبرانيين كان معروفا

---

(١) قال القديس أبيفانيوس أسقف سلاميس من آباء القرن الرابع، في كتابه ضد الهرطقات» إنه جاء في الإنجيل الذي يستخدمه الإبيونيين والمسمى بالإنجيل حسب متى» والذي يسمونه الإنجيل العبري» *(Newp. vol.1 p.150)*

(٢) الإبيونيين هم جماعة ظهرت في نهايات القرن الأول وبدايات القرن الثاني وهم تطور عقدي عن كنيسة أورشاليم. اليهود المتنصرين. كفروا بالميلاد المعجز وامنوا بان المسيح من نسل يوسف، واعتبروا المسيح ابن الله بالتبني.

لمؤرخ الكنيسة هيجيسبوس. وقد استعمل الإنجيل اكلمندوس الإسكندري وأوريجنوس حسب جيروم الذي قال «متى المدعو لاوي أيضا وهو رسول للمسيح وجابي ضرائب سابق ألف إنجيلا عن المسيح نشر في اليهودية أولا لفائدة المؤمنين بالختان، وترجمه شخص غير معروف لاحقا إلى اليونانية. ظل الأصل العبري محفوظا لليوم في مكتبة قيصرية... ويلاحظ أن الإنجيلي يقتطف العهد القديم حسب الأصل العبري وليس الترجمة السبعينية[١] (*Schneemelcher, 1992* صفحة ١٧٢).

يذكر جيروم أن كاتب الإنجيل وقراءه يهود محافظون على الشريعة على خلاف اليهود الذين انصهروا في الحضارة اليونانية، والذين ترجم لهم العهد القديم إلى اليونانية. (*Schneemelcher, 1992* صفحة ١٧٢).

وذكر جيروم أيضا أنه ترجمه لليونانية واللاتينية، وهذا جهد غريب إن كان الإنجيل شبيها جدا بالإنجيل القانوني. لكن حتى هذه الترجمات ضاعت.

إحدى خصائص النص التي تميزه عن إنجيل متى القانوني أن الروح القدس يشار إليه على أنه أم المسيح/ يسوع، حيث أشار إلى ذلك أوريجنوس في تعليقه على إنجيل يوحنا. يشير *M. R. James* إلى أن ذلك يعود لكون كلمة الروح في العبرية أنثى. اقترح البعض أن مريم العذراء هي تجسد لروح القدس حسب ذلك النص.

يركز الإنجيل أيضا على يعقوب البار كرئيس لكنيسة القدس وعلى واجب اتباع الشريعة الموسوية، وأن يعقوب أول من رأي قيام المسيح من الأموات.

يقر أغلب العلماء الحديثين أن اسم الإنجيل غير معروف، لكن إبيفانوس قال «إن

---

(١) لسبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم التي أجريت في القرن الثالث قبل الميلاد. حيث يذكر أن بطليموس أراد أن يضم إلى مكتبة الإسكندرية الكتب المقدسة لليهود، والبعض يرى أنه بسبب عدد اليهود الذين لا يعرفون العبرية قام اثنان وسبعون من الأحبار بالترجمة. ويرمز لها بعددها اللاتيني *LXX* أي سبعون.

الإنجيل المستعمل عندهم عامة يسمى حسب متى وهو ناقص ومزور وممزق، ويسمونه إنجيل العبرانيين» ويقول إنهم يقبلونه ويرفضون باقي الأناجيل. وكتب أيضا أنهم يقولون أن المسيح لم يولد من الله، بل خلق كأحد كبار الملائكة ( *Cameron, 1982 p. 84*).

## ب-٢- قانونيته

تقول دائرة المعارف الكتابية عن إنجيل العبرانيين القانوني المقدس بأنه:» لم يبق منه سوى اقتباسات قليلة من كتابات كلمندس الإسكندري وأوريجانوس وكيرلس، كما يذكره هيجيسبس ويوسابيوس وربما بابياس أيضا»ا (للاهوتيين، تحت اسم عبرانيون: الإنجيل الى العبرانيين). فاقتباس الآباء المؤسسين منه دليل على قانونيته، لكن تم حذفه من الكتاب المقدس الذي بين أيدينا الآن!!

تعرفنا على أربعة كتب قانونية مقدسة وملهمة عرفها الآباء الرسوليون وقدسوها وتلوها كرسائل موحاة من الله في الكنائس خلال القرون المسيحية الأولى لكنها حذفت بشكل غامض من الكتاب المقدس الذي بين أيدينا. وهناك رسائل قانونية أخرى يمكن ادراجها في هذه الألعوبة القدسية؟! كأعمال بولس وتعليم الرسل -المعروف بالديداخي- مثلا رغم قانونيتهما فإنهما حذفا أيضا!! كما نجد أيضا كتابات مسيحية اعتبرت مقدسة ولم تعترف بها الكنيسة القديمة مثل: الرسالة إلى العبرانيين وكذلك الرسالة الثالثة للقديس يوحنا ورسالة يعقوب ورسالتي بطرس فهي رسائل لم تدرج في القائمة الموراتورية وهي مدرجة في العهد الجديد الحالي!!

وكما يقال بالمثال يتضح المقال، ولعل ما قدمنا كاف على أن الكتاب المقدس صار ألعوبة بين ايدي البشر، فأفقدوه رساليته وطمسوا ألوهيته-مع كامل الأسف- وبالتالي فقد حجيته على الناس في انتظار البديل السماوي الذي سيرسله المسيح عندما يغادر كما جاء في بشارة يوحنا.

وسنقف في أمثلة أخرى على نصوص غير قانونية ولا يعرف عنها الاباء الرسوليين شيئا بل واعتبروا بعضها كتبا منحولة وقد أدرجت بريبة شديدة في الكتاب المقدس الذي بين أيدينا!!

## ت-رسالة بطرس الثانية

### ت-١-تعريف عام برسالة بطرس الثانية

رسالة بطرس الثانية هي إحدى أحد أسفار العهد الجديد التي تصنف ضمن رسائل الكاثوليكون، الرسالة موجهة من سِمْعَانُ بُطْرُسُ عَبْدُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَرَسُولُهُ٢ بطرس ١:١ إلى ذات الجماعات المسيحية المشتتة في آسيا الصغرى التي بُعثت إليها الرسالة الأولى، بحسب التقليد المسيحي فإن كاتب الرسالة هو بطرس أحد رسل المسيح الإثنا عشر! وقد كتبها في فترة قريبة من نهاية عمره استنادا إلى قوله فيهاعالمًا أن خلع مسكني قريب في فترة تقدر ما بين عام ٦٤ م إلى ٦٨ م.!

قدم كاتب الرسالة نفسه باسم الرسول بطرس، ولكن الآراء اختلفت حول شخصية الكاتب الحقيقية للاختلافات الموجودة بينها وبين الرسالة الأولى من حيث الطريقة المتبعة لصياغة وكتابة الرسالتين، إلا أن عدد كبير من آباء الكنيسة أيدوا صحة نسبها إلى الرسول بطرس وفي مقدمتهم جيروم وإيرونيموس الذي أوعز إلى الفرق في الترجمة.

تتضمن رسالة بطرس الثانية:

- دعوة المؤمنين إلى الاجتهاد في الثبات في دعوة الله لهم لملكوت السماوات.٢ بطرس ١: ١ – ١١
- النبوات التي كتبت عن المسيح حقيقية لأنها لم تأت بمشيئة البشر بل بوحي الروح القدس. ٢ بطرس ١: ١٢ – ٢١
- الوعيد والهلاك للمعلمين الكذبة الذين يحاولون تضليل شعب الله.٢ بطرس ٢
- مجيئ المسيح الثاني والإشارة إلى الرسائل التي كتبها بولس الرسول.٢ بطرس ٣

## ت-٢-رسالة بطرس الثانية رسالة غير قانونية؟!

يقول اللاهوتي الدكتور وليم باركلي في تفسيره للعهد الجديد تحت عنوان-شكوك الكنيسة الأولى-هذه هي محتويات الرسالة. ولقد ينظر إلى هذه الرسالة **بعين الشك لفترة طويلة**، وعدم الإكتراث. ولأننا **لا نجد لها أثرا حتى بعد سنة ٢٠٠ ميلادية**، ولانجدها مدرجة ضمن لائحة موراتوري التي ترجع إلى سنة ١٧٠م، والتي كانت تعتبر أول قائمة رسمية بأسماء أسفار العهد الجديد. ولم يرد ذكرها أيضا في الطبعة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس، ولا في العهد الجديد للكنيسة السورية الأولى. وهذا يرجع لأن **علماء الإسكندرية لم يعرفوها أو لأنهم كانوا يشكون فيها. ان اكليمندس لم يكتب شيئا عن هذه الرسالة ضمن ما كتبه عن محتويات أسفار الكتاب المقدس**، ويقول اوريجانوس أنه: «ربما قد ترك لنا بطرس غير رسالته المعترف بها من الجميع، رسالة أخرى، وهو غير مؤكد».

وعلق ديديموس على الرسالة، ولكنه ختم مؤلفه بالقوا «لا يجب أن يغيب عن بالنا أن هذه الرسالة مشكوك في صحتها، قد تقرأ أممام الناس، ةلكنها ليست ضمن أسفار الكتاب القانونية». وقال يوسيبس عالم قيصرية العظيم، والذي قام باجراء بحوث قيمة في الأدب المسيحي في عصره: «ان رسالة بطرس المعروفة بالرسالة الأولى، معترف بها من الجميع، وقد استشهد بها كثير من الشيوخ القدامى في كتاباتهم، وهذا لا يدع مجالا للشك في صحتها، ولكن الرسالة المعروفة باسم رسالة بطرس الثانية فنحن نعرف، حسبما تسلمناه، **أنها غير قانونية**، هذا بالرغم من أن بها فائدة كبيرة للكثيرين، وأنها تقرأ دائما جنبا الى جنب مع السفار الأخرى للكتاب المقدس» **ولم تدرج الرسالة الثانية من أسفار العهد الجديد حتى القرن الرابع**. (باركلي صفحة ٣٣٩).

جاء فى تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري -كتاب ٦ فصل ٢٥-» وترك أيضا-يعني بطرس- رسالة قصيرة جدا، وربما أيضا رسالة ثانية وثالثة، ولكنهما **ليسا معترفا بصحتهما من الجميع**، وهما لا يحتويان على مائة سطر» (القيصري، ١٩٧٩ صفحة ٢٧٥)

السؤال: طاما اعتبرت رسالة بطرس الثانية منحولة لدى غالبية الآباء ثم اختلف فيها فيما بعد، فلماذا الإبقاء عليها في الكتاب المقدس؟ وحذفها أولى من حذف إنجيل مرقس، أيتها الكنيسة الكاثوليكية المحترمة.

## ج-نصوص منحولة للعهد القديم في الكتاب المقدس المسيحي

### ج-١- علاقة المسيحية بالعهد القديم

لقد ولد المسيح وعاش في بين اسرائيل، بين يهود الناصرة وأورشليم والقرى المجاورة فيما يعرف في العرف الكتابي باليهودية أي الديار اليهودية. لذا لم يكم المسيح لينقض ناموس الموسى المقدم لليهود بني جنسه-بني إسرائيل- وهو نفسه قال كما في متى: ١٧:٥ «لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس والأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل». فرسالته تقتضي الإعتراف بالناموس وقوانينه التي تتسم في جوهرها بكثير من العنف والقساوة تجاه الآثمين مع التأويل الالخاطئ الذي عرفه تطبيق نصوص الناموس من لدن الأحبار. فجاء رسلة المسيح لتصحيح الأخطاء ورد الأمور إلى نصابها وغعادة تأويل النص المقدس بما يتلائم والوضع الجديد للبشرية آنذاك. وبيان ذلك كما يلي:

لم يقل السيد المسيح عليه السلام فقط ما جئت لأنقض، وإنما أضاف بل لأكمل.

وعبارة إنه جاء ليكمل، لها معنيان:

الأول: إنه جاء يكمل فهم الناس للشريعة.

فاليهود ما كانوا على فهم سليم للشريعة. حتى أن شريعة السبت مثلا، كانوا يفهمونها بطريقة حرفية بحتة، فلا يعمل الإنسان أي عمل في السبت، **حتى فعل الخير**!! لدرجة أنه حينما قام السيد المسيح بمعجزة كبيرة، في يوم سبت، وهى منح البصر لشخص مولود أعمى، قابلوا هذا الإنسان بعد أن أبصر وقالوا له إن الذي شفاه إنسان خاطئ!!يوحنا ٩: ٢٤ لمجرد إنه صنع المعجزة في يوم سبت!! وقد جادلوا المسيح في عناد عن «هل يحل الإبراء في السبوت؟ لكي يشتكوا عليه. متى ١٢ : ١٠. وما أكثر المجادلات التي دخلوا فيها الحل مشكلة «هل يحل في السبت فعل الخير؟!»لوقا ٦: ٩ ومتى ١٢: ١٢.

ثانيا: عبارة يكمل تعنى أيضًا يكمل لهم طريق السمو والقداسة.

وبخاصة لأن العهد الجديد بدأت تقل فيه العبادة الوثنية التي كانت منتشرة طوال العهد القديم. وعمل الإيمان في قلوب الناس، إلى جوار عمل الروح فيهم، ومؤازرة النعمة لهم. فكان يمكن لهم أن يتقدموا في حياة الروح ويسلكوا بسمو أعلى من ذي قبل.

وتكملة الطريق الروحي، لم يكن فيها نقض للقديم: فمثلا قال لهم السيد المسيح عليه السلام «سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه» متى ٥: ٢٧، ٢٨. هنا الوصية القديمة «لا تزن» لا تزال قائمة لم تنقض، فجاء التعليم المسيحي ليخاطب نية الإنسان وقلبه ليجنبه الفاحشة قبل وقوعها. وهو نوع من الرقابة الذاتية وكما يسميه القديس بولس ب»الضمير».

مثال آخر: قال السيد المسيح ابن الإنسان «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم. أما أنا فأقول لكم إن كل من بغضب على أخيه باطلا، يكون مستوجب الحكم»متى ٥: ٢١، ٢٢. هنا الوصية القديمة «لا تقتل»، لا تزال قائمة لم ينقضها. ولكن أضيف إليها منع الغضب الباطل، على اعتبار أن القتل خطوته الأولى هى الغضب. كما أن الزنى خطوته الأولى هي الشهوة في القلب.

إذن السيد المسيح **لم ينقض العهد القديم**. بل شرح روح الوصية، ومنع الخطوة الأولى إلى الخطية. يقول هرمان ريمارس-ت١٧٦٨ ميلادية-» ان يسوع لا يمكن أن يعد مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم، بل يجب أن يفهم على أنه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوفة اليهود القائلين بالبعث والحساب، ومعنى أن المسيح لم يفكر في إيجاد دين جديد بل كانفكر في تهيئة الناس في استقبال دار العالم المرتقب، وليوم الحشر الذي يحاسب فيه الأرواح على ما قدمت من خير أو شر» (ريمارس).

ويعوزنا الوقت إن دخلنا في كل التفاصيل بالنسبة إلى كل الوصايا، فهذا يحتاج إلى كتاب كامل، وليس إلى مجرد نقطة فرعية في كتاب.

كذلك ليس العهد القديم فيه الوصايا العشر فقط، إنما توجد فيه وصايا وتعاليم أدبية كثيرة كان فيها سمو كبير. وقد خفي ذلك على عديد من معلمي اليهود. لذلك قال لهم السيد المسيح في مناسبة أخرى:»تضلون إذ لا تعرفون الكتب»متى ٢٢: ٢٩ وقال أيضا « لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ» متى ١٥:٢٤.

## ج-٢-قانون العهد القديم المسيحي ومشكلة التأصيل!!

لقد ورث المسيحيون الأوائل العهد القديم من اليهود، لكن لا ندري لماذا اختلف عهدهم القديم عن الذي لدى اليهود. ولعل هذا نتيجة العداء القديم بينهم، نظرا للرؤية الدونية التي كانت تنظر بها الأحبار والربانيون للمسيحيين باعتبارهم تابعين لرجل « زنيم» مؤيد بالسحر والشياطين!!

يختلف العهد القديم في الكتاب المقدس المسيحي بحسب الطوائف المسيحية، التي تعترف كل واحدة منها بأسفار لا تعترف به الأخرى. ويعد العهد القديم الجزء الأكبر من الكتاب المقدس. ويحتوي على جميع كتب اليهود بما فيها التوراة الكتب الخمسة الأولى ويعرف بالتنتاتوك وهي كلمة مركبة من الأحرف الأُول من كل قسم من أقسامه: توراه =التوراه، نبييم =الأنبياء وكتوبيم =الكتب.

يتكون العهد القديم حسب الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية من ٤٦ **كتاباً** يطلق عليها اسم أسفار. وأما الكنائس البروتستانتية فهي تتفق مع اليهود في قبول ٣٩ **سفراً فقط**، وهي تلك التي دونت باللغة العبرية رافضة اعتبار الكتب المدونة باليونانية أسفاراً قانونية موحاة.

يقسم العهد القديم في التقليد اليهودي إلى التوراة، وهي مكونة من خمسة كتب تنسب إلى موسى وكذلك الأنبياء والكتابات. أما التقليد المسيحي فقد قسم الأسفار إلى التوراة، أسفار الحكمة، الأسفار التاريخية، أسفار الأنبياء.

الكتاب المقدس مكتبة تم كتابتها على يد عدة أشخاص، على مر عدة عصور موحى لهم بوحي من الروح القدس!، لهذا نجد فيها العديد من التقاليد الأدبية والكتابية التي

تعكس عقلية وبيئة المؤلف. ولهذا لا يعتبر جميع اليهود والمسيحيين الكتاب منزلاً حرفيا بل مكتوباً بوحى من الروح القدس.

## ج-٣- أسفار العهد القديم

التوراة-خمسة أسفار-

سفر التكوين- سفر الخروج -سفر اللاويين -سفر العدد -سفر التثنية

الأسفار التاريخية-اثنا عشر سفر-

سفر يشوع -سفر القضاة -سفر راعوث -سفر صموئيل الأول -سفر صموئيل الثاني -سفر الملوك الأول -سفر الملوك الثاني -سفر أخبار الأيام الأول -سفر أخبار الأيام الثاني -سفر عزرا -سفر نحميا -سفر أستير-طوبيا-يهوديث-سفر المكابيين الأول-سفر المكابيين الثاني.

الأسفار الشعرية-سبعة أسفار-

سفر أيوب -سفر المزامير -سفر الأمثال -سفر نشيد الأنشاد -سفر الجامعة -سفر الحكمة-يشوع بن سيراخ

الأسفار النبوية-سبعة عشر سفر-

سفر إشعياء -سفر إرميا -سفر مراثي إرميا -سفر باروك-سفر حزقيال -سفر دانيال -سفر هوشع -سفر يوئيل -سفر عاموس -سفر عوبديا -سفر يونان -سفر ميخا -سفر ناحوم -سفر حبقوق -سفر صفنيا -سفر حجاي -سفر زكريا -سفر ملاخي

الأسفار القانونية الثانية -**لا تعترف بها الطوائف البروتستانتية**-سبعة أسفار-

سفر المكابين الأول -سفر المكابين الثاني -سفر طوبيا -سفر يهوديت -سفر الحكمة -سفر ابن سيراخ -سفر باروك -تتمة سفر أستير -تتمة سفر دانيال.

وأيا كان الأمر وهو خارج عن موضوع كتابنا، فإنه من الواجب الرجوع الى التاريخ الكنسي للتعرف على طبيعة العهد القديم المسيحي ونقارنه بالذي بين أيدينا.

## ج-٤- العهد القديم والقديسين أريجانوس واثناسيوس

ينقل يوسابيوس القيصري عن القديس اوريجانوس١٨٥-٢٤٥م في الكتاب السادس، الفصل الخامس والعشرين، أن عدد الأسفار ٢٢، كما يلي:

«أسفار موسى الخمسة-يسوع-قضاة وراعوث-صموئيل-الملوك- أخبار الأيام-عزرا الأول والثاني-المزامير-أمثال-الجامعة-نشيد الأنشاد-الأنبياء الصغار حسب راي-أشعياء-ارميا ومراثيه ورسالته-دانيال-حزقيال-أيوب-استير».

وتقول دائرة المعارف الكتابية «...**وفي الواقع لم يعتبر أي سفر من أسفار المكابيين سفرا قانونيا، قبل مجمع ترنت -١٥٥٣م- الذي منح هذا الوضع للسفرين الأول والثاني. ولكن الكنائس البروتستانتية لا تعترف بأن السفار الأبوكريفية أسفارا قانونية**» (لاهوتيين صفحة المجلد السابع، صفحة ١٨٨) كما تذكر دائرة المعارف الكتابية ايضا أن أوريجانوس واثناسيوس -ت٢٧٣ميلادية- وكيرلس الأورشليمي -ت٣٨٦ميلادية- وجريجوري النازينزي-ت٣٩٠ميلادية- لم يذكروا هذا السفر في قائمة كتب العهد الجديد لديهم، خصوصا السفر الأول منه (اللاهوتيين، صفحة المجلد السابع، صفحة ١٨٨).

**لماذا إذن نجد سفر المكابيين ضمن مجموعة العهد القديم المسيحي الكاثوليكية والأورثوذكسية-وهم غالبية مسيحيي العالم-؟ وخصوصا الأول منهما؟؟**

أختم هذه النقطة على أهميتها بما قاله اللاهوتي يوحنا كرافيذوبولوس في مقدمة كتيبه الصغير الحجم العظيم النفع الموسوم بـ-تاريخ قانون العهد الجديد -قال» الآباء القديسون كانوا خير حفظة للأمانة الرسولية!![1]، إذ أنهم دأبوا عندما كثرت وتنوعت الكتب على تحديد ما يسمى بالكتب القانونية، **وهي الأسفار التي قبلتها الكنيسة لأنها موحاة من الله. هذه العملية أخذت مراحل تطور تاريخية امتدت خلال القرون الأربعة الأولى للمسيحية.**» (كرافيذوبولوس، ٢٠٠٤ صفحة ٣). فالكتاب المقدس الحالي هو محاض أربعة قرون

---

(١) -لك أن تحكم أيها القارئ الكريم إن كانوا كذلك.

من غياب المرجعية النهائية، وتدخل الإجتهادات الفردية بدوافع مختلفة لتحديد القانوني من الكتب المقدسة وغير القانوني. فمن يضمن لنا أن تعاليم هذا الكتاب ماهي إلا غنوصية فلسفية تم اعتمادها لأغراض غامضة؟؟ ولعل في ما اسلفت من الشواهد وفيما بقي من كتب التاريخ الكنسي أجوبة لك أخي القارئ على هذا السؤال الشائك؟

وبعد أن انتهينا من بحث جدل المصادر المسيحية، ننتقل إلى النقطة الثانية الرئيسية في هذا الفصل كما يأتي.

## ٢-مشكلة ألوهية يسوع المسيح

بعد وفاة السيد المسيح ورفعه إلى السماء، افترق الحواريون في البلاد يكرزون باسم الإنجيل، ويعلمون الناس ما سمعوه من المسيح وآياته وكراماته. وبداية من عهد الرسل ابتدأ المجتمع المسيحي ينقسم على نفسه، وتتوسع خلافاته يوما عن يوم فيما يرتبط بالمسائل اللاهوتية وعلاقتها الموجودات الأرضية. ولعل أهم قضايا اللاهوت التي أرقت الآباء الرسوليين القدماء ألا وهي قضية طبيعة السيد المسيح عليه السلام، هل هي ناسوتية بشرية؟ أم هي الهية؟ أم هي الإثنين معا؟

إن خوارق الطبيعة التي أجراها المسيح، من تحويل جرار الماء إلى خمر-يوحنا ٢:٣- وإحياء الموتى: احياء ابنة يايرس -مرقس ٥: ٤٠، ٤٢- -متى ٩: ١٨-. وابن أرملة نايين -لوقا٧: ١٤، ١٥- وأقام أيضًا لعازر-يوحنا ١١: ٤٣، ٤٤-. وشفاء المرضى: أعاد إلى عبد رئيس الكهنة أذنه التي قطعها بطرس -لوقا ٢٢: ٥٠، ٥١-. وغلبة الأرواح الشريرة...الخ كانت عاملا حاسما في احداث قلق حول طبيعته الفريدة. والتي قد تكون فوق الطبيعية أي من مصدر الهي. المعجزات والخوارق ليست أمرا غريبا على العقل والوجدان الديني اليهودي الفريسي. والعهد القديم ملئ بالعديد من الشخصيات ذات الأعمال فوق الطبيعية كشخصية ملكي صادق وغيره من صالحي العهد القديم. فقد أقام إيليا ابن أرملة صرفة صيدون -١مل ١٧: ٢١-، وكذلك ابن المرأة الشونمية -٢مل٤: ٣٥-. أيضًا قام ميت عند ملامسته لعظام أليشع -٢مل١٣: ٢١-. لكن لم يشك أحد في

طبيعة أصحاب تلكم المعجزات التي تحدث عنها العهد القديم، وقد كان كثير منهم أنبياء بل ورجالا علمانيين[1]. فما هو المختلف في زمن مابعد المسيح؟

إن الطبيعة الانغلاقية والاستعلائية للشعب اليهودي ساهمت بشكل كبير في تقنين عنصر الألوهية في فكره العقائدي. كما ساهمت في الحفاظ قدر المستطاع على الطبيعة الأصيلة للاهوت. لذلك لم يتم تأليه أي من البشر مع ما أجروه من خوارق العادة وعجائب الأمور. وهذا ما لم تستطعه الجماعة المسيحية الأولى التي هرعت نحو توسيع ملكوت المسيح على الدخلاء من الأمميين الوثنيين والفلاسفة الملحدين وادخالهم الى الحظيرة اليسوعية المقدسة. لم يكن لهذا الفعل أن يمر دون أن تكون له تبعات. خصوصا وأن المؤمنين الجدد كانوا على حظ أوفر من المؤمنين القدماء من التعليم والكتابة والاطلاع الواسع على أنماط المعرفة والفلسفة الوثنية التعددية السائدة في العالم آنذاك. وهنا مكن الخطر. وقد يكون هذا أول الأبواب التي فتحت السؤال حول طبيعة المسيح، التي تفترض أن تكون مثل الآلهة الوثنية والهلينستية اللائي كن آلهة من أصل بشري صورة ونفسا وغريزة وإنسانية... إنها بداية الشرخ في الكنيسة الأولى مذ عهد الرسل الأولين. وبالرجوع إلى الكتابات القديمة والتنقيب في الروايات والأخبار نجد كثيرا من الطوائف الشهيرة واسعة الإنتشار في عالم المسيحي قد أنكرت ألوهية المسيح وكرزت ببشريته. ولكن بصور مختلفة. ومن هذه الفرق: الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والماركيونية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكاليونية والبولسية والماينسية، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والفلنطانيائية والهرمسيون.

حتى قال القديس ترتاليانوس_ ٢٠٠ ميلادية_ « إنَّ في أيامه **كان غالبيَّة الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنسانًا**» (*ENCYCLOPEDIA, 1959, VOL.27. P.294*). وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول.

---

(١) علمانيين: مصطلح من قاموس التراث المسيحي الشرقي القديم. والمقصود به الناس من غير رجال الدين. المتفرغين للخدمة في الكنيسة.

لقد قالها اللوثريون[١] والكلوينيون[٢] والدوناتيون[٣]. قالوا «**إن الكنيسة الكاثوليكية**

(١) اللوثرية مذهب البروتستانتية يرجع تأسيسه إلى مارتن لوثر والذي كان راهبا أوغسطينيا حاول في القرن السادس عشر القيام بحركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية فأدى ذلك لاصطدامه مع القيادات الكاثوليكية فانفصل عنها وأسس كنائس مستقلة ذات تنظيم وإدارة جديدة عرفت بالكنائس الإنجيلية أو البروتستانتية، كانت ألمانيا والبلدان الإسكندنافية أبرز مواطن انتشارها. آمن لوثر بأن الإنسان الذي سقط في الخطيئة ذو طبيعة فاسدة وهو غير قادر على الرجوع إلى حياة الطهارة أو حتى القيام بأعمال خيِّرة، لذا فأن الخلاص هو عطية إلهية مجانية، أي أن الإنسان لا يستطيع بلوغ البر ونيل الخلاص بإعماله مهما بلغ سموها فلا مكان إذا للاستحقاق الشخصي في عملية الخلاص فهو يعتمد فقط على استحقاقات دم المسيح الفادي والإيمان بها. ولكن هذه النعمة لا تمنح الإنسان القوة اللازمة للتجديد حيث يستمر المؤمن في حياته الإيمانية خاطئا ومبررا معا فهو مستور ببر المسيح. وقد لخص لوثر اعتقاداته تلك في هذه العبارة «الإيمان فقط، النعمة فقط، الكتاب المقدس فقط.» **ويعترف اللوثريون بقانون الإيمان النيقاوي - القسطنطيني، وبقانون إيمان الرسل**. يتبع هذا المذهب اليوم حوالي ٧٠ مليون مسيحي ينتمون للكنيسة اللوثرية العالمية، وهناك علاوة على ذلك أربعمائة مليون مسيحي بروتستانتي يتبعون هذا المذهب بشكل جزئي في كنائسهم المختلفة في جميع أنحاء العالم.

(٢) طائفة من البروتستانت. ففي القرن السابع عشر الميلادي، في مقاطعة الشبلة في جنيف، كان البروتستانت الكلوينيون قد خربوا كنائسها وهدموا أديارها وشتتوا كهنتها وأبادوا الإيمان الكاثوليكي فيها.

(٣) حركة الدوناتيين (٣١٣م.٤١١م) هي حركة دينية مناهضة للاحتلال الروماني لشمال أفريقيا، أعطيت هذه التسمية نسبة الي الراهب المغاربي الأمازيغي دوناتوس، مناطق نشاطها أفريقيا ونوميديا وموريتانيا ومن أهم مؤيديها القس سيكوندوس الذي كان يتخذ من مدينة تيجسيس مقرا له. ويختلف المذهب الدوناتي عن الكاثوليكي لاهوتيا، فهو يؤمن **بالطبيعة الواحدة للمسيح مثل المذاهب المشرقية المصرية والسورية**، كما تختلف الدوناتية عن الكاثوليكية لغويا وثقافيا، فلغة المذهب الدوناتي هي الفينيقية أي الكنعانية. فالدوناتيون يصلّون في كنائسهم بالفينيقية. توجد بالمغرب الكبير منذ القدم وقبل الإسلام لغة فصحى هي الفينيقية التي تعتبر لغة الحضر والدواوين والعبادات، محاطة بلهجات أمازيغية شفوية، وكلاهما ينتميان إلى أرومة واحدة هي العروبية، وخير من يوضح هذه المسألة هو المستشرق الفرنسي هنري باسيه *H.Basset* يقول: «إن اللغة البونيقية لم تختف من المغرب إلا بعد دخول العرب، ومعنى هذا أن هذه اللغة بقيت قائمة هذه المدة بالمغرب سبعة عشر قرنا وهو أمر

**قد حفظت الإيمان الصحيح إلى زمان محدود، قال بعضهم الى الجيل الثالث، وغيرهم إلى الرابع، وآخرون الى الخامس، ثم اعتراها النقص بعد ذلك وأفسدت التعليم الصحيح وبالتالي أصبحت فاسقة بعد أن كانت عروسا»** (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٩).

إن وجود العشرات من الطوائف -وسنذكر بعضا منها- ممن كان لها تأثير واسع على الفكر اللاهوتي للعالم المسيحي، كلها اتحدت في إنكار ألوهية المسيح لدليل على فساد تعاليم الكنيسة.

نعم لا ننكر وجود المؤلهة من اتباع بولس الرسول الذين يعتقدون بألوهية المسيح برؤى متنوعة. كفرقة المرقيونيين، وفرقة البربرانية، وفرقة الأليانية، وفرقة التثليث كما أن أقدم نص يبين أيدينا يُظهر عقيدة التأليه وهو الإعتراف المعمداني الرومي المستخدم في النص الروماني الشرقي عام ١٢٥-١٣٥ ميلادية [١]. لكنهم بالمقارنة مع الطوائف الأخرى فقد كانوا أقلية انتصرت على الأكثرية، كما قال اللاهوتي جميس بنتلي.

---

عظيم» -،السيد عبد العزيز: المغرب الكبير ج ٢ ص ٩ القاهرة ١٩٦٦- أي أن هذه اللغة استمرت قائمة كلغة فصحى بالمغرب منذ دخول الفينيقيين المغرب في الألف الثانية قبل الميلاد، وحتى الفتح الإسلامي ونشر اللغة العربية العدنانية التي خلفت طبيعيا الفينيقية العروبية. ومعنى هذا أن الرومان الذين سيطروا على المغرب منذ ١٤٦ ق. م لم يستطيعوا فرض لغتهم وثقافتهم الرومانية على سكان المغرب الأمازيغ، وهذا يؤكد شرقيتهم بل وعروبيتهم.

وأمام إصرار الدوناتيين على موقفهم، وازدياد عقيدتهم صلابة في إطار وطنية تتوق للتحرر من الاستعمار الروماني، وتجاوب الشعب معهم، اضطر الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢١ م إلى إصدار تعليمات بوقف عمليات القمع ضد الدوناتيين الذين رفعوا شعار (نحن أبناء الشهداء في مواجهة أبناء الخونة)، كما أطلق الأب دونا صيحته المشهورة (لا علاقة للمسيحية بالإمبراطور والإمبراطورية، الله أرسل المسيح لإنصاف المستضعفين). لكن اعتبار المذهب الدوناتي استمر غير شرعي. وأمام شعبية دونا أمرت الإمبراطورية بإلقاء القبض عليه ونقله إلى إسبانيا، حيث سجن في سجون الرومان ومات هناك بالسجن سنة ٣٥٥ م.

(١) يقول هذا النص **«أؤمن باله واحد قدير -الآب-». وبالمسيا يسوع ابنه الوحيد الذي هو ضابط الكل. الذي ولد من الروح القدس ومن مريم العذراء. الذي صلب على عهد بيلاطس البنطى وقبر، وقام في اليوم الثالث من بين الأموات. وجلس عن يمين الآب. وهناك سوف يأتي ليدين الأحياء والأموات. وبالروح القدس الذي هو قدوس. وبكنيسة واحدة. وبمغفرة الخطايا. وقيامة الأجساد آمين»** (إبراهارد، ٢٠٠٠ صفحة ١٦٠)

لم يخرج تعليم المسيح عن تعليم الأنبياء قبله. بل جاء تتمة لكرازتهم لأممهم في الدعوة إلى عبادة الله والبشارة بالمعزي، الذي سيرسله بعد صعوده. والإستعداد ليوم الدينون الكبرى اليوم الذي لا ريب فيه.

## ٢-١-المسيح بشر ويكرز بعبادة الله الواحد

نشأ يسوع في بيئة يهودية مغلقة تنتظر قدوم الماشيح، وقبيل البدء بنشاطه اعتمد على يد يوحنا المعمدان، متى ١٣/ ٣، كان يسوع الصبي يعيش حياة طبيعية مع أمه، مثله مثل أي صبي يهودي، وقد تم ختانه ولم يدع يوما «أني أنا الله» أوقال «اعبدوني». بل كل الأدلة التي يوردها المؤلهة، إنما هي أدلة غامضة قابلة للتأويل وليست صريحة في التأليه. وكيف يختن الله ويخاف ويقتل ويسجد لله ويأمر بالصلاة ويستغيث الله، فهل كان سيستغيث بنفسه؟؟؟

جاء في إنجيل يوحنا ١٧ : ٣ أن المسيح عليه السلام توجه ببصره نحو السماء قائلاً لله: «**وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**».

إذا كان المسيحيون يقولون أن الله قد تجسد في جسد المسيح يسوع، فمن هو الإله الذي كان يخاطبه يسوع؟

ومن ناحية أخرى ألم يلاحظ المسيحيون تلك الكلمات: ويسوع المسيح الذي أرسلته، ألا تدل تلك الكلمات على أن يسوع المسيح هو رسول تم إرساله من قبل الله؟ ولاشك أن المرسل غير الراسل، وإذا أمعن المسيحيون التفكير ألا يجدون أن هذا الكلام يتفق مع كلام الذي أسموه الهرطوقي أريوس الذي كان يقول بأن المسيح ما هو إلا وسيط بين الله والبشر؟

### أخي القارئ:

ان النص السابق من إنجيل يوحنا يبرهن لنا الآتي:

أولاً: أنه يوجد إله حقيقي واحد وأن يسوع لا يعرف شيئاً عن التثليث أو الاقانيم بقوله: أنت الإله الحقيقي وحدك.

ثانياً: وأن يسوع المسيح لم يدع الالوهية لأنه أشار إلى الإله الحقيقي بقوله: أنت الإله الحقيقي لا إلى ذاته.

ثالثاً: لقد شهد يسوع المسيح بأنه رسول الله فحسب بقوله: ويسوع المسيح الذي أرسلته.

إن المسيح لم يقل: إن الحياة الأبدية أن يعرفوكم أنكم ثلاثة أقانيم وأنكم جميعاً واحد.

وإن المسيح لم يقل: إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله المكون من ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس.

بل لقد شهد المسيح أن الحياة الأبدية هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع رسول الله

٢- كتب لوقا في ٤: ١٨: ما نصه «وَعَادَ يَسُوعُ إِلَى مِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ بِقُدْرَةِ الرُّوحِ؛ وَذَاعَ صِيتُهُ فِي الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ كُلِّهَا. وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِ الْيَهُودِ إلي أن قال، وَوَقَفَ لِيَقْرَأَ. فَقُدِّمَ إِلَيْهِ كِتَابُ النَّبِيِّ إِشَعْيَاءَ، فَلَمَّا فَتَحَهُ وَجَدَ الْمَكَانَ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْفُقَرَاءَ؛ أَرْسَلَنِي لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاقِ...»

عزيزي القارىء إذا كانت هذه النبوءة التي جاءت على لسان النبي إشعياء هي نبوءة عن المسيح فإنها تقول روح الرب علي أي وحي الله وأنه لم يقل روح الرب هي ذاتي أو أقنومي أو جزئي أو نفسي وقد وورد في الكتاب المقدس أن روح الرب حلت على ألداد وميداد كما في سفر العدد١١: ٢٦ وعلى صموئيل كما في الاصحاح العاشر الفقره السادسة من سفر صموئيل. وقد قالها النبي حزقيال عن نفسه في سفره كما في الاصحاح الحادي عشر الفقرة الخامسة يقول حزقيال «وحل عَلَيَّ رُوحُ الرَّبِّ».

ثم إن قوله أرسلني لأنادي للمأسورين بالاطلاق... هو دليل على انه نبي مرسل وليس هو الرب النازل إلي البشر.

ثم ان ماجاء في إنجيل لوقا ٤: ٣٤ من قول المسيح: «**لا بد لي أن أبشر المدن الأخرى بملكوت الله لأني لهذا أرسلت**» لهو نص واضح آخر على ان المسيح رسول مرسل من الله ليس إلا وأن الله لم يأت بنفسه جل جلاله !!

٣- جاء في إنجيل لوقا٧: ١٦ «ان المسيح بعدما أحيا الميت الذي هو ابن وحيد لإمرأة أرملة حدث ان جميع الناس الحاضرين مجدوا الله قائلين: **قد قام فينا نبي عظيم،** وتفقد الله شعبه وذاع هذا الخبر في منطقة اليهودية وفي جميع النواحي المجاورة».

أيها القارىء الكريم إن هذا لدليل صريح على بشرية المسيح وأنه عبد رسول، فإنه بعد أن أحيا هذا الميت استطاع جميع الحاضرين أن يفرقوا بين الله وبين المسيح فمجدوا الله وشهدوا للمسيح بالنبوة وشكروا الله إذ أرسل في بني اسرائيل نبياً، ويسمون انفسهم شعب الله إذ أن الله تفقده أي اهتم به، وأرسل فيهم نبياً جديداً وتأمل عزيزي القارىء لقول الإنجيل: «قد قام فينا نبي عظيم وتفقد الله شعبه» وتأمل كيف أن المسيح أقرهم على هذا القول ولم ينكره عليهم وكيف ذاع ذلك في كل مكان.

٤-وإذا قرأنا رواية لوقا٧: ٣٩: نجده يذكر أن الفريسي بعدما رأى المرأة تبكي وتمسح قدمي المسيح بشعرها قال في نفسه: «لو كان هذا نبياً، لعرف من هي هذه المرأة التي تلمسه».

فإن قول الفريسي هذا يدل على أنه داخله الشك في نبوة المسيح، وهذه الرواية تثبت بالبداهة أن المسيح عليه السلام كان معروفاً بالنبوة ومشتهراً بها، ويدعيها لنفسه، لأن الفريسي داخله الشك فيما هو معروف له والمشهور بادعائه، وإلا لكان قال: لو كان هذا هو الله لعرف من هي هذه المرأة التي تلمسه. وهذا أمر ظاهر عند كل من لديه مسحة عقل.

وهنا أود أن أسرد إليك أيها القارىء الكريم الأدلة من الاناجيل التي تثبت أن المسيح عليه السلام لم يكن معروفاً إلا بالنبوة، وسيتضح من هذه الادلة أن المسيح والمؤمنين به وأعداؤه اتفقت كلمتهم على صفة النبوة إثباتاً له من نفسه والمؤمنين به أو إنكاراً له من جانب أعدائه.

أولاً: ورد بإنجيل لوقا٢٤: ١٩: «أن تلميذين من تلاميذ المسيح وصفوه بالنبوه وهو يخاطبهم ولم ينكر عليهم هذا الوصف فكانا يقولان: يسوع الناصري الذي كان **إنساناً نبياً** مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب».

ثانياً: ورد بإنجيل يوحنا٩: ١٧ قول الرجل الاعمى: «قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك فقال إنه **نبي**».

ثالثا: وفي رسالة أعمال الرسل٣: ٢٢ «حمل بطرس قول موسى عليه السلام الوارد في العهد القديم عن المسيح قوله إن **نبياً مثلي** سيقيم لكم الرب إلهكم».

فموسى عليه السلام صرح بأن الله سيقيم لهم نبياً ولم يقل سينزل لهم الرب.

رابعا: ورد بإنجيل متى٢١: ١٠، ١١ «ان المسيح لما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها وسألت من هذا؟ فكانت الاجابة من الجموع الغفيرة من المؤمنين والتلاميذ الذين دخلوا مع المسيح مدينة القدس هي:**هذا يسوع النبي** من ناصرة الجليل».

كل الجموع تسأل، وكل المؤمنين يجيبون وعلى رأسهم تلاميذ المسيح قائلين **هذا يسوع النبي**. فهل هناك أعظم من هذه الشهادة التي شهد بها كل المؤمنين وسمع بها الجموع الغفيرة في أورشليم؟! وتفرق الجمع بعد ذلك على معرفة هذه الحقيقة وهي أن المسيح نبي كريم وليس إلهاً.

خامساً: ورد بإنجيل يوحنا٦: ١٤ »ان الناس الذين رأوا معجزة تكثير الطعام التي صنعها المسيح فآمنوا بها قالوا: إن هذا هو **بالحقيقة النبي** الآتي إلى العالم» فأقرهم المسيح ولم ينكر عليهم وصفهم له بالنبوة وكانوا جمع كثير بنحو ٥ آلاف رجل فدل هذا على أن المسيح لم يدع الألوهية ولم يكن يعرف عن ألوهيته المزعومة شيئاً.

سادساً: جاء في إنجيل متى١٣: ٥٧ « ان المسيح لما رأى أهل الناصرة يحاربونه وينكرون معجزاته رد عليهم قائلاً: **ليس نبي** بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته» فالمسيح لم يقل لهم أني إله وانما قال لهم فقط إنني نبي ولا كرامة لنبي في بلده، فالألوهية لم تكن تخطر ببال المسيح عليه السلام مطلقا.

سابعا: وفي إنجيل لوقا١٣: ٣٣ يتكلم المسيح وهو يعرض نفسه قائلا: «لا يمكن أن **يهلك نبي** خارجاً عن أورشليم» فهذا إقرار من المسيح عليه السلام بأنه نبي من جملة الأنبياء وليس للأنبياء كلهم إلا طبيعة واحدة وهي الطبيعة الآدمية.

ثامناً: ونستنتج من كلام أعداء المسيح النافين لنبوته الوارد في لوقا ٧: ٢٥ «أن المسيح كان مشتهراً بالنبوة ولم يدع الالوهية لذلك فهم ينفون نبوته قائلين: «**إنه لم يقم نبي من الجليل**».

## وخلاصة ما تقدم من أدلة:

إنه إذا كان المؤمنون بالمسيح وأعداؤه والمسيح نفسه لا يتعدى كلامهم نبوة المسيح إثباتاً ونفياً، فهل يجوز لأحد بعد ذلك أن يرفض تلك الأقوال جميعها في صراحتها ويذهب إلى القول بأنه إله؟

٥- جاء في إنجيل متى في الاصحاح الخامس قول المسيح: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْغِيَ الشَّرِيعَةَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأُلْغِيَ، بَلْ لأُكَمِّل».

أيها القارىء الكريم:

إن هذا لهو نص واضح، بأن المسيح رسول قد مضت من قبله الرسل، وأنه واحد ممن سبقوه، وليس رباً أو إلهاً، وانه ما جاء إلا ليعمل بالشريعة التي سبقته وهي شريعة موسى ويكمل ما بناه الانبياء قبله. ولو كان المسيح هو رب العالمين حسبما يؤمن المسيحيون المؤلهون ما كان ليصح بتاتاً أن يقول لهم: ما جئت لإلغي بل لأكمل فلا شك أن المسيح حلقة في سلسلة الانبياء والمرسلين وليس هو رب العالمين كما يعتقد.

وقد جاءت نصوص واضحة الدلالة على أن يسوع المسيح عندما كان يدعو تلاميذه، ويعلمهم لم يكن يدعوهم إلا على أنه رسول من الله وانه كان يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته، انظر إلى قوله في يوحنا في١٢ : ٤٩ : «**لم أتكلم من نفسي، لكن الأب الذي أرسلني، هو أعطاني وصية ماذا أقول، وبماذا أتكلم**»

ونجده يقول للتلاميذ في متى٥ : ١٦ : «هكذا فليضيء نوركم أمام الناس ليروا أعمالكم الحسنة **ويمجدوا أباكم الذي في السماوات**».

ويقول لهم في إنجيل متى٧: ١١: «**أبوكم الذي في السموات** يهب خيرات للذين يسألونه» ويقول في الفقرة ٢١ من نفس الاصحاح: «ما كل من يقول لي: يا رب ! يدخل في ملكوت السموات، بل من يعمل بمشيئة **أبي الذي في السموات**» وغيرها من النصوص.

٦-ذكر لوقا في٢٢: ٤٣ «أن المسيح بعدما وصل وتلامذته الى جبل الزيتون واشتد عليه الحزن والضيق حتى أن عرقه صار يتصبب كقطرات دم نازلة **ظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يقويه !**».

ونحن نسأل:

كيف يحتاج ابن الله المتحد مع الله إلى ملاك من السماء ليقويه؟

أليس ان للمسيح طبيعة لاهوتية؟ فهل هذا الملك أقوى من الله؟!!

ومن المعلوم أن الملاك مخلوق والمسيح خالق فكيف يقوي المخلوق خالقه؟ أين كان لاهوت المسيح؟! أما كان الاولى به أن يظهر طبيعته اللاهوتية بدلاً من أن يكتئب ويحزن ويشتد عليه الضيق والخوف ويظهر بمظهر الجبناء؟!!

أم ان الأمر ليس ألوهية ولا أقنومية وأن المسيح هو رسول من رسل الله يحتاج إلى المعونة والمدد من الله؟

٧-يحدثنا متى في ١٤: ١٥ عن معجزة إشباع الآلاف من الجياع بخمسة أرغفة وسمكتين فيقول: «وَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَجْلِسُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، **وَرَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ**، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ الأَرْغِفَةَ، وَأَعْطَاهَا لِلتَّلاَمِيذِ، فَوَزَّعُوهَا عَلَى الْجُمُوعِ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا».

أيها القارىء الكريم:

لقد قام المسيح برفع نظره نحو السماء قبل أن يقوم بالمعجزة وقبل أن يبارك، ويحق لنا أن نتسائل:

لماذا رفع المسيح نظره إلى السماء؟ ولمن يتجه ويطلب إذا كان الآب متحداً به؟! أم أن المسألة واضحة وهي أنه كان يدعو خالق السموات والأرض ليمنحه القوة على تحقيق المعجزة؟

وقد تكرر منه هذا الفعل حينما أحيا لعازر، فإنه ورد بإنجيل يوحنا١١: ٤١ عنه الأتي: «**وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ** وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ دَوْماً تَسْمَعُ لِي. وَلكِنِّي قُلْتُ هَذَا لأَجْلِ الْجَمْعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي.»

ان قيام المسيح بأن رفع نظره نحو السماء هو فعل منافي للألوهية لأن هذا الفعل يأتيه الإنسان عادة عندما يطلب الإمداد السماوي من الله، وهذا لا يتفق مع كون المسيح صورة الله وأن الآب حال فيه كما يعتقد.

تأمل أيها القارىء الكريم إلى قول المسيح: لأجل الجمع الواقف حولي **ليؤمنوا أنك أرسلتني**. فالهدف من عمل هذه المعجزة هي أن يعلم الجميع أن المسيح رسول الله وقد كانت الجموع حوله تنتظر هذه المعجزة وأن كل ما طلبه المسيح هو أن يشهدوا له بالرسالة فقط.

٨- جاء في مرقس١٣: ٣٢ أن المسيح بعدما سئل عن موعد الساعة قال: «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ **فَلاَ يَعْرِفُهُمَا أَحَدٌ، لاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الابن، إِلاَّ الآبُ**».

ونحن نسأل:

إذا كان الابن هو الاقنوم الثاني من الثالوث حسبما يعتقد المسيحيون فكيف ينفي الابن عن نفسه العلم بموعد الساعة ويثبته للأب فقط؟!

ولا يصح أن يقال ان هذا من جهة ناسوته لأن النفي جاء عن الابن مطلقاً واثبت العلم بالموعد للأب فقط.

وان تخصيص العلم بموعد الساعة للأب فقط هو دليل على بطلان ألوهية الروح القدس. وأن لا مساواة بين الاقانيم المزعومة.

٩-قال المسيح في يوحنا١: ٥١: «الحق أقول لكم من آلان سترون السماء مفتوحة وملائكة الله صاعدين نازلين على **ابن الانسان**».

ونحن نسأل:

إذا كان المسيح يصرح بأن ملائكة الله سوف تنزل عليه من السماء بالأوامر الالهية ولتأييده فأين هو اذن الاله خالق الملائكة الذي حل بالمسيح والمتحد معه؟!!

وقد ورد لقب «ابن الإنسان» في العهد الجديد حوالي ٨٣ مرَّة، فقد ورد في الإنجيل للقديس متى ٣٠ مرَّة، وفي الإنجيل للقديس مرقس ١٣ مرَّة، وفي الإنجيل للقديس لوقا ٢٥ مرَّة، وفي الإنجيل للقديس يوحنا ١٢ مرَّة، ومرة واحدة فقط في سفر أعمال الرسل، ومرّتَين في سفر الرؤيا تحت عبارة «شبه ابن إنسان». مع ملاحظة أنَّ أغلب المرَّات التي ذُكِرَ فيها اللَّقب في الأناجيل الثلاثة الأولي هي تكرار لمواقف واحدة. ولا يُذْكَر مرَّة أخرى في بقيَّة العهد الجديد. وهي تأكيد على بشرية المسيح بن مريم وابن يوسف النجار، فهو ابن الإنسان أكثر منه ابن الله. يعلق البروفيسور فرانسيس يونغ على هذا المصطلع في رسائل بولس الرسول قائلا «فبولص لا يسمي هذه الشخصية -الله- ولايقرنها في أي مكان بالله. صحيح أنها -أي الشخصية- تقوم أعمال الله، إنها بالتأكيد وكيل الله فوق المستوى الطبيعي يفعل بمبادهة من الله. ولكن في النهاية عليه-أي يسوع- أن يتخلى عن السلطة التي منحها اللع ليبقى الله هو الكل الواحد. وهذه الشخصية موجودة سابقا، ليس ببساطة كنوع من كائن الهي، بل على أساس أنه إنسان من السماء، وبنوته لله لا يعبر عنها بصيغة طبيعية الهية، ولكن كنتيجة لخلق واختيار إلهيين من جهة ولولائه الكامل عندما يقوم بعمل الله مطبقا تماما» (يونغ، ١٩٨٥ صفحة ٥٢).

١٠-كتب لوقا في٣: ٢٣ ما نصه: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة

إن المسيح كما يذكر لوقا لما بدأ دعوته كان عمره ثلاثين سنة» والسؤال الذي يطرح نفسه هو أنه إذا كان المسيح هو رب العالمين المتجسد فماذا كان يفعل الإله رب العالمين قبل تلك الفترة وطوال الثلاثين سنة؟! هل كان يتمشى في شوارع القدس؟!

١١-كتب متى في٣: ١٣ ما نصه:

حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي؟ فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برٍّ، حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السماوات قائلا هذا هو **ابني الحبيب الذي به سررت.**

من البديهي أنه لو كان المسيح هو الله نفسه الذي تجسد ونزل لعالم الدنيا ـ كما يدعون ـ لكانت رسالته مبتدئة منذ ولادته، ولكان روح القدس ملازما له باعتباره جزء اللاهوت الذي لا يتجزأ ـ كما يدعون ـ، ولما احتاج إلى من ينزل عليه بالوحي أو الرسالة، ولم يكن هناك أي معنى أصلا لابتداء بعثته بهبوط روح القدس عليه وابتداء هبوط الملائكة صاعدين نازلين بالوحي والرسائل عندما بلغ الثلاثين من العمر واعتمد على يد يوحنا النبي! فهذا النص والنصوص الأخرى التي تبين كيفية بدء البعثة النبوية للمسيح، لأكبر وأوضح دليل على بشرية المسيح المحضة وعدم ألوهيته وأنه ليس الله المتجسد بل عبدٌ رسولٌ ونبيٌّ مبعوثٌ برسالة من الله كسائر الأنبياء والرسل وحسب.

ولنستمع إلي ما ذكره لوقا في٣: ٢١ عن بدء بعثة المسيح بنزول روح القدس عليه «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلا: أنت ابني الحبيب بك سررت. وكان يسوع عند بدء رسالته في نحو الثلاثين من عمره... ورجع يسوع من الأردن وهو ممتلئ من الروح القدس»

ونحن نتساءل: أليس هذا النص أوضح دليل على نفي ألوهية المسيح ونفي التثليث؟

فأولاً: لو كان المسيح إلـها متجسدا لما احتاج لروح القدس ليهبط عليه !

ثانياً: لو كان التثليث حقا لكان المسيح متحدا دائما وأزلا مع روح القدس، لأن الثلاثة واحد فما احتاج أن يهبط عليه كحمامة!

وكيف ينادي الله عند اعتماد المسيح وابتداء بعثته قائلاً: هذا ابني الحبيب، مع انه من المفروض أن اللاهوت متحد به من البداية ولأن الله لا يمكن أن تنفصل عنه إحدى صفاته.

ثالثاً: أليس ما كتبه متى ولوقا يبطل أن الثلاثة واحد فالروح القدس منفصل عن الذات وهو نازل بين السماء والارض والابن صاعد من الماء!

أليس هذا دليلاً على أن الوحده بين الاقانيم لا وجود لها؟!

هل المسيح وحده الذي أمتلأ من الروح القدس كما كتب لوقا أم شاركه آخرون مما تنقض معه الخصوصية؟

الجواب: هناك آخرون امتلأوا من الروح القدس وهم كثيرون طبقاً للآتي:

ورد بسفر أعمال الرسل ٦: ٥ عن استفانوس ما نصه: «فاختاروا استفانوس رجلاً مملوءاً من الايمان والروح القدس «

وورد في إنجيل لوقا١: ١٥ عن يوحنا المعمدان ما نصه: «ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس»

وكذلك امتلأ زكريا والد يوحنا المعمدان من الروح القدس طبقاً لما ذكره لوقا في الأصحاح الثامن وغيرهم مما لا يسع المقام لذكرهم.

١٢- جاء في إنجيل متى٤: ٦ « أن الشيطان بعدما أخذ المسيح إلى المدينة المقدسة وأوقفه على حافة سطح الهيكل قال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلي أسفل لأنه قد كتب: يُوْصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ قَدَمَكَ بِحَجَرٍ! «

في هذا النص اقرار من المسيح للشيطان بأنه قد كتب عنه في العهد القديم أن الله يوصي ملائكته به ليحملونه ويحفظونه ونجد ان هذا ثابت بالمزمور الواحد والتسعين.

والسؤال الآن هو:

إذا كان المسيح هو رب العالمين وأن الآب متحد معه وحال فيه فكيف يوصي الله ملائكته به لكي يحفظونه.

فهل رب العالمين الذي ظهر في الجسد بحاجة إلي ملائكة تكون حفظاً وحماية له؟!!

١٣-جاء في إنجيل مرقس١: ١٢: « أن المسيح تم اربعين يوماً يجرب من الشيطان يقول النص: وَفِي الْحَالِ اقْتَادَ الرُّوحُ يَسُوعَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، **فَقَضَى فِيهَا أَرْبَعِينَ يَوْماً وَالشَّيْطَانُ يُجَرِّبُهُ**. وَكَانَ بَيْنَ الْوُحُوشِ وَمَلاَئِكَةٌ تَخْدُمُهُ».

ونحن نقول:إذا كان المسيح هو رب العالمين حسبما يعتقد المسيحيون فهل يعقل أو يتصور أن الشيطان الرجيم تسلط على رب العالمين طوال اربعين يوماً؟!!

وقد يقول المسيحيون حسبما يعتقدون في لاهوت وناسوت المسيح بإن الشيطان جربه كإنسان ولم يجربه كإله.

فنقول ان النص الوارد في متى٤: ٣ يثبت أن الشيطان جربه كإله، يقول النص: «فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابن اللهِ، فَقُلْ لِهَذِهِ الْحِجَارَةِ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى خُبْزٍ! ولم يقل له ان كنت ابن الانسان «!

ونقول أيضاً لو إن إبليس كان يقصد ناسوت المسيح فقط لخاطب نصفه ولم يخاطبه كله كما جاء في رواية متى.كما أن الناسوت هو مرتبط باللاهوت لا ينفك عنه، وإذا جاز انفكاكه صار المسيح في بعض أحيانه بشريا.

وقد كتب متى في٤: ٨ «ان إبليس أخذ المسيح إلى قمة جبل عال جداً، وأراه جميع ممالك العالم، وقال له: أعطيك هذه كلها إن جثوت وسجدت لي» !

ونحن نسأل:

كيف يطمع إبليس في أن يسجد له وأن يخضع له من فيه روح اللاهوت.؟ !

ومن العجب أن الشيطان لا يبقى ويثبت مع وجود الملك، فكيف يطمع ويثبت فيمن يعتقد ربوبيته وأنه صورة الله؟

١٤-وقد كتب متى في الاصحاح الأول ابتداء من الفقرة الأولى حول تجربة إبليس

للمسيح أن إبليس كان يقود المسيح إلي حيث شاء فينقاد له. فتارة يقوده إلي المدينة المقدسة ويوقفه على جناح الهيكل وتارة يأخذه إلي جبل عال جداً... ونحن نسأل كيف يمكن لعاقل بعد هذا الكلام أن يقول أن رب العالمين كان في جسد المسيح وكان هذا الجسد بهذه حاله مع ابليس؟! ١٥ -كتب متى في ١٢: ١٤ ومرقس في ٣: ٦ أن الفريسيين تشاوروا على المسيح لكي يقتلوه، فلما علم يسوع انصرف من مكانه... وكتب يوحنا في ١١: ٥٣: أن اليهود لما قرروا قتل المسيح فمن ذلك اليو لم يعد المسيح يتجول بينهم جهاراً، بل ذهب إلى مدينة اسمها أفرايم.

ولا يخفى عليك أيها القارىء الكريم من خلال هذين النصين أن انصراف المسيح كان هرباً من اليهود، وأن الرب حسب اعتقاد المسيحيين كان في جسد المسيح، فكيف يتصور ويعقل أن رب العالمين كان في جسد وكان هذا الجسد يتجنب اليهود من مدينة إلى مدينة هرباً منهم !!

كيف يمكن لعاقل أن يصور رب العالمين بهذه الصورة ويعبد إلهاُ كانت هذه أحواله مه هذا الجسد؟!

١٦-كتب متى في ٢٦: ٦٧: أن اليهود عذبوا المسيح وبصقوا في وجهه وضربوه وهذا نص ما كتب: «**فبصقوا في وجه يسوع ولطموه، ومنهم من لكمه**» وجاء في إنجيل لوقا في٢٢: ٦٣: وأخذ الذين يحرسون يسوع يستهزئون به ويضربونه ويغطون وجهه ويسألونه: من ضربك؟ تنبأ ! وزادوا على ذلك كثيراً من الشتائم.

إننا نجد من خلال هذه النصوص أيها القارىء الكريم:

أن اليهود اتخذوا المسيح لعبةً يلعبون بها إهانةً له وتحقيراً لشأنه، وليت شعري ألم يكن في زمن المسيح من هو ذا شهامة ومروءة، يدافع عنه؟

أين كان هؤلاء الألوف الذين حكت عنهم الاناجيل بأنهم آمنوا به، وشفى كثيراً من أمراضهم المزمنة، أين تلك الجموع الغفيرة التي خرجت لملاقاته، حين دخوله أورشليم، وهو راكب الجحش والأتان معاً !

ثم ان ما حكته الاناجيل أن اليهود عذبوا المسيح فبصقوا في وجهه وضربوه ولكموه وجلدوه هو أمر مناقض لما ذكره متى في٤: ٥ «في حق المسيح من أن الله يوصي ملائكته به فيحملونه على أيديهم لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ قَدَمَهَ بِحَجَرٍ»

ونسأل في هذا المقام:

هل ينزل رب العالمين من عليائه ويحل في جسد بشري؟ هذا الجسد يساق من قبل اليهود ليحاكم ويلاقي أشد أنواع الاهانة والتحقير من ضرب وجلد وبصق واستهزاء كل هذا ورب العالمين مالك الملك في هذا الجسد حسبما يؤمن المسيحيون؟ !

هل يليق بخالق السموات والارض ومن له الكمال المطلق أن تكون هذه حاله.

١٧-جاء في إنجيل متى٧: ١١ قول المسيح: «أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه»

ويقول المسيح في الفقرة الحادية والعشرين من نفس الاصحاح: ما كل من يقول لي: «يا رب ! يدخل في ملكوت السموات، بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات»

ويقول أيضاً في١٢: ٥ من إنجيل متى: «من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي».

وجاء أيضاً في إنجيل متى١٦: ١٧ قول المسيح لبطرس: «طُوبَى لَكَ يَاسِمْعَانَ فَمَا أَعْلَنَ لَكَ هَذَا لَحْمٌ وَدَمٌ، بَلْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

تأمل عزيزي القارى في كلام المسيح لسمعان فإنه لم يقل له طوبى لك فإنني أنا الذي أعلنت لك هذا أو الآب المتجسد هو أعلن لك هذا وإنما قال له أبي الذي في السموات هو أعلن لك هذا !

لقد صرح المسيح مراراً وتكراراً بأن الأب موجود في السموات، والسؤال الذي نوجهه للمسيحين هو:

كيف يصرح المسيح بأن الآب موجود في السماء مع أنكم تدعون أن الأب متجسد فيه ومتحد معه؟

فلو كان الأب متحد معه وهو صورة هذا الآب لأمتنع أن يشير إليه في السماء !

وبمعنى آخر لو كان المسيح هو الإله، لامتنع أن يشير إلى إله آخر في السموات.

وإذا قلتم أن اقنوم الابن يشير إلى اقنوم الأب، نقول لكم ان هذا يمنع الوحدة ما بين الاقانيم المزعومة ويؤكد انفصالها واستقلالها..

١٨-كتب يوحنا في ٢٠: ١٧ أن المسيح قال لمريم المجدلية: «**قولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**»

إذا كان المسيح هو صورة الله على الأرض وأن الآب متجسد فيه، فمن هو يا ترى هذا الإله الذي سوف يصعد إليه المسيح؟!

إذا قلتم أن اقنوم الابن سوف يصعد إلى أقنوم الأب فثبت إمتناع الوحدة بين هذه الأقانيم المزعومة وثبت الإنفصال بينها وأنه إله على الأرض وإله في السماء وهذا هو الشرك بأم عينه.

وقد قال المسيح في إنجيل يوحنا ١٤ : ٢٨: «**أبي أعظم مني**».

وإننا نتعجب كيف يكون الأب أعظم من الابن وهما شيء واحد وجوهر واحد لذات واحدة وقدرة واحدة حسب ما يؤمن به المسيحيون في قانون الأمانة النيقاوي؟!

فلو كان الابن هو جوهر واحد مع الآب لما فرق الابن بينه وبين الآب.

١٩- كتب بولس في الرسالة الأولى لكورنثوس ١٥ : ٢٨ ما نصه: «**وَعِنْدَمَا يَتِمُّ إِخْضَاعُ كُلُّ شَيْءٍ لِلابن، فَإِنَّ الابن نَفْسَهُ سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ اللهُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ**».

لقد بين بولس أن المسيح سيخضع في النهاية لله، وهذا بحد ذاته من أوضح الأدلة

على عدم ألوهية المسيح لأن الإلــه لا يخضع لأحـد، كما أن فـي قوله: فَإِنَّ الابن نَفْسَهُ سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ دلالة أخرى على عدم ألوهية المسيح لأن مفاد هذا النص أن الله تعالى هو الذي كان قد أخضع للمسيح كل شيء، مما يعني أن المسيح لم يكن يستطع، بذاته ومستقلا عن الله، أن يسخر ويخضع الأشياء. فهل مثل هذا يكون إلـها؟!!

ومن جهة أخرى:

نقول لأصحاب التثليث لا شك أن الخاضع هو غير المخضوع له، فأين الوحدة والمساواة بين الاقانيم عندما يخضع الابن للأب؟!

ثم كيف يخضع الابن للأب مع انكم تدعون أن الاب والابن إله واحد لجوهر واحد وقدرة واحده وان الاب هو عين الابن والابن هو عين الاب وهما شيء واحد أم انكم تؤمنون بتعدد الآلهة وان لله شريكاً في الملك سيخضع له في النهاية؟

٢٠-جاء في إنجيل متى ٢٣: ٩ ان المسيح قال لأتباعه:

**«ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات، ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد المسيح».**

من المعروف أنه في لغة الإنجيل، كثيرا ما يعبر عن الله بالآب، وهنا كذلك، فقول عيسى لأتباعه: لا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات يعنى ليس لكم إله إلا الله وحده الذي في السماوات، وهذا صريح في نفي ألوهية كل أحد ممن هو على الأرض، ويدخل في هذا النفي المسيح كذلك لكونه على الأرض.لقد سمى المسيح نفسه معلماً في الأرض لهم، وشهد أن إلههم في السماء واحد.

٢١-كتب متى في٢١: ١٨ ـ ١٩ ومرقس ١١: ١١ ـ ٤ ما نصه:

فدخل يسوع أورشليم... وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا. لأنه لم يكن وقت التين. فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد!.

ان هذا النص يبين أن المسيح لما رأى الشجرة من بعد، لم يدر ولم يعلم أنها في الواقع غير مثمرة، بل توقع لأول وهلة أن تكون مثمرة، لذلك ذهب باتجاهها، لكن لما اقترب منها ظهر له أنها غير مثمرة فعند ذلك غضب عليها ولعنها!.

و في هذه القصة سنجد عدة دلائل واضحة على نفي لاوهوت يسوع المسيح فأولاً: عدم علمه منذ البداية بخلو الشجرة من الثمر يؤكد بشريته المحضة لأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وثانياً: كونه جاع تأكيد آخر على أنه بشر محض يحتاج للغذاء للإبقاء على حياته.

فإن قالوا بأنه جاع بحسب ناسوته، قلنا أفلم يكن لاهوته قادرا على إمداد ذلك الناسوتأي الجسد؟! خاصة أنكم تدعون أن اللاهوت طبيعة دائمة له وحاضرة لا تنفك عنه!!

وثالثاً: أنه لما وجد الشجرة غير مثمرة لعنها وبقي جائعا! ولو كان إلها لكان عوضا عن أن يلعنها ويبقى جائعا، يأمرها أمرا تكوينيا أن تخرج ثمرها على الفور، لأن الله لا يعجزه شيء بل يقول للشيء كن فيكون.

٢٢-كتب يوحنا في ١٠ : ٢٣ ما نصه: «كَانَ يَسُوعُ يَتَمَشَّى فِي الْهَيْكَلِ فِي قَاعَةِ سُلَيْمَانَ. فَتَجَمَّعَ حَوْلَهُ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «حَتَّى مَتَى تُبْقِينَا حَائِرِينَ بِشَأْنِكَ؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ حَقّاً، فَقُلْ لَنَا صَرَاحَةً». فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «قُلْتُ لَكُمْ، وَلكِنَّكُمْ لاَ تُصَدِّقُونَ. وَالأَعْمَالُ الَّتِي أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي، هِيَ تَشْهَدُ لِي».

لنتأمل قول اليهود للمسيح: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ حَقّاً، فَقُلْ لَنَا صَرَاحَةً فانهم لم يقولوا له: إن كنت الله أو ابن الله، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك، ولا اختلاف عند اليهود أن الذي انتظروه هو **انسان نبي مرسل**، ليس بإنسان إله!».

٢٣-وإذا تأملنا في سؤال يوحنا المعمدان للمسيح عندما أرسل للمسيح من يسأله: أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر متى١١ : ٢، سنجد أن هذا السؤال من يوحنا المعمدان يدل على ان المسيح نبي مرسل وهو المسيح الذي بشرت به التوراة، ولا يوجد نص واحد في التوراة يقول أن الله سيأتي بنفسه إلي الارض.

٢٤-لقد جاء في إنجيل يوحنا١٠ : ٣١ نصاً واضحاً يسقط تماماً إدعاء المسيحيين من أن رب العالمين حل في جسد المسيح وذلك عندما قال المسيح لليهود في الفقرة الثلاثين من الاصحاح العاشر أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ! أنكر عليه اليهود هذا القول وسارعوا لرجمه بالحجارة، فعرفهم المسيح وجه خطأهم في الفهم بأن هذه العبارة لا تقتضي ألوهيته وبين لهم أن استعمال اللفظ على سبيل المجاز وليس على حقيقته وإلا لزم منهم أن يكونوا كلهم آلهه !

تأمل معي أيها القارىء الكريم في نص المحاورة بين المسيح واليهود بعد أن قال لهم «أنا والآب واحد: فتناول الْيَهُودُ، أيضاً حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَرَيْتُكُمْ أَعْمَالاً صَالِحَةً كَثِيرَةً مِنْ عِنْدِ أَبِي، فَبِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» فأجابه اليهود قائلين: ليس من أجل الاعمال الحسنة نرجمك ولكن لأجل التجديف، وإذ أنت إنسان تجعل نفسك إلهاً فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي شَرِيعَتِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ فَإِذَا كَانَتِ الشَّرِيعَةُ تَدْعُو أُولئِكَ الَّذِينَ نَزَلَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ آلِهَةً وَالْكِتَابُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ فَهَلْ تَقُولُونَ لِمَنْ قَدَّسَهُ الآبُ وَبَعَثَهُ إِلَى الْعَالَمِ: أَنْتَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: أَنَا ابن اللهِ؟»

لا شك عزيزي القارىء أن معنى هذه المحاورة أن اليهود فهموا خطأ من قول المسيح: أنا والآب واحد إنه يدعي الالوهية فأرادوا لذلك أن ينتقموا منه، ويرجموه، فرد عليهم المسيح خطأهم، وسوء فهمهم بأن هذه العبارة لا تستدعي ألوهيته، لأن آساف قديماً أطلق على القضاة أنهم آلهه، بقوله الثابت في المزمور الثاني والثمانين الفقرة السادسة ٨٢: ٦: «أنا قلت: إنكم آلهه، وبنو العلي كلكم» ولم يفهم أحد من هذه العبارة تأليه هؤلاء القضاة، ولكن المعنى المسوغ لإطلاق لفظ آلهه عليهم أنهم أعطوا سلطاناً أن يأمروا ويتحكموا ويقضوا باسم الله.

وبموجب هذا المنطق السهل الذي شرحه المسيح لليهود، ساغ للمسيح أن يعبر عن نفسه بمثل ما عبر به آساف عن أولئك القضاة الذين صارت إليهم كلمة الله.

ولايقتضي كل من التعبيرين أن في المسيح، أو أن في القضاة لاهوتاً حسبما فهمه اليهود خطأ.

هذا ولو لم يكن ما ضربه المسيح لهم من التمثيل جواباً قاطعاً لما تخيلوه من إرادة ظاهر اللفظ، لكان ذلك مغالطة منه وغشاً في المعتقدات المفضي الجهل بها إلى سخط الله، وهذا لا يليق بالانبياء المرسلين الهادين إلي الحق، فإن كان المسيح هو رب العالمين الذي يجب أن يعبد، وقد صرفهم عن اعتقاد ذلك بضربه لهم المثل، فيكون قد أمرهم بعبادة غيره، وصرفهم عن عبادته، والتقدير أنه هو الاله الذي يعبد، فيكون ذلك غشاً وضلالة من المسيح لهم وهذا لا يليق بالانبياء والمرسلين فضلاً ممن يدعى فيه الالوهية.هذا وقد أطلق الكتاب المقدس لفظ الله على كثيرين ولم يقل أحد أن فيهم طبيعة لا هوتية طبقاً للآتي:

أ- ورد في سفر القضاة١٣ : ٢١، ٢٢ اطلاق لفظ الله على الملك: يقول النص «وَلَمْ يَتَجَلَّ مَلاَكُ الرَّبِّ ثَانِيَةً لِمَنُوحَ وَزَوْجَتِهِ. عِنْدَئِذٍأَدْرَكَ مَنُوحُ أَنَّهُ مَلاَكُ الرَّبِّ. فَقَالَ مَنُوحُ لإِمْرَأَتِهِ نموت موتاً لأَنَّنَاقَدْ رَأَيْنَا الله».

وواضح أن الذي تراءى لمنوح وامراته كان الملك.

ب- ورد في سفر الخروج٢٢ : ٨ اطلاق لفظ الله على القاضي: يقول النص:وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم، هل يمد يده إلى ملك صاحبه فقوله: إلى الله، أي: إلى القاضي.

ت- وكذلك أيضاً جاء في سفر الخروج٢٢ : ٩ اطلاق لفظ الله على القاضي: يقول النص في كل دعوى جنائية من جهة ثور أو حمار أوشاة أو ثوب أو مفقود ما، يقال: إن هذا هو، تقدم إلى الله دعواها، فالذي يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين فقوله إلى الله، أي: إلى القاضي نائب الله.

د- كما اطلق الكتاب المقدس لفظ إله على القاضي فقد ورد في المزمور٨٢ : ١ : «الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهه يقضي».

ج- وأطلق الكتاب المقدس لفظ الآلهه على الأشراف فقد ورد في المزمور١ : ١٣٨ «قول داود النبي: أحمدك من كل قلبي، قدام الآلهه أعزف لك»

ح- وأطلقه على الانبياء كموسى في سفر الخروج ٧: ١ يقول النص: «قال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك».

لو كان إطلاق كلمة الله أو إله على المخلوق يقتضي أن اللاهوت حل فيه للزم بناء على النصوص السابقة أن يكون الملك والقاضي والاشراف يكونون آلهه، وهذا لم يقل به أحد.

ولكن بالنظر لكون الملائكة والقضاة نواباً عن الله أطلق عليهم كلمة الله وبالنظر إلي أن أولئك الأشراف فيهم صفة المجد والقوة اللتين يوصف بهما الله، أطلق عليهم لفظ الله مجازاً.

وبعد كل ما قد ذكرناه نقول ان الواجب فهمه من قول المسيح: **أنا والآب واحد** إنما يريد أن قبولكم لأمري هو قبولكم لأمر الله، كما يقول رسول الرجل: أنا ومن أرسلني واحد، ويقول الوكيل: أنا ومن وكلني واحد، لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه، ويؤدي عنه ما أرسله به ويتكلم بحجته، ويطالب له بحقوقه وكذلك قول المسيح: من **رآني فقد** رأى **الآب** يريد بذلك أن من رأى هذه الأفعال التي أظهرها فقد رأى أفعال أبي وهذا ما يقتضيه السياق الذي جائت به هذه الفقرات لأن أسفار العهد الجديد اتفقت على عدم إمكان رؤية الله طبقاً للآتي:

- ورد في إنجيل يوحنا١ : ١٨ «الله لم يره أحد قط»
- ما ورد في إنجيل يوحنا٥ : ٣٧: «والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولاأبصرتم هيئته»
- ما ورد في رسالة يوحنا الأولى٤ : ١٢: «الله لم ينظره أحد قط».
- ويقول بولس في رسالته الاولى إلي تيموثاوس٦ : ١٦ عن الله: «الذي لم يره أحد ولا يقدر أن يراه».

فإذا تقرر ذلك فليس معنى قول المسيح الذي رآني فقد رأى الآب ان الذي يرى المسيح يرى الله لأن ذلك طبقاً للأدلة السابقة من المحال. فلا بد من المصير إلى مجاز منطقي يقبله العقل وتساعد عليه النصوص الإنجيلية المماثلة الأخرى.

وبمراجعة بسيطة للأناجيل نجد أن مثل هذا التعبير جاء مرات عديدة، دون أن يقصد به قطعا أي تطابق وعينية حقيقية بين المفعولين.

مثلاً في إنجيل لوقا١٠/ ١٦ يقول المسيح لتلاميذه السبعين الذين أرسلهم اثنين اثنين إلى البلاد للتبشير: الذي يسمع منكم يسمعني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني، ولا يوجد حتى أحمق فضلا عن عاقل يستدل بقوله: من يسمعكم يسمعني، على أن المسيح حالٌّ بالتلاميذ أو أنهم المسيح ذاته !

وكذلك جاء في إنجيل متى١٠/ ٤٠ أن المسيح قال لتلاميذه: «من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني» ومثله ما جاء في إنجيل لوقا٩ / ٤٨ « من قول المسيح في حق الولد الصغير: من قبل هذا الولد الصغير باسمي يقبلني ومن قبلني يقبل الذي أرسلني» ووجه هذا المجاز واضح وهو أن شخصا ما إذا أرسل رسولا أو مبعوثا أو ممثلا عن نفسه فكل ما يُعَامَلُ به هذا الرسول يعتبر في الحقيقة معاملة للشخص المرسِل أيضا.

وإذا عدنا للعبارة وللنص الذي جاءت فيه، سنرى أن الكلام كان عن المكان الذي سيذهب إليه المسيح وأنه ذاهب إلى ربه، ثم سؤال توما عن الطريق إلى الله، فأجابه المسيح أنه هو الطريق، أي أن حياته وأفعاله وأقواله وتعاليمه هي طريق السير والوصول إلى الله، وهذا لا شك فيه فكل قوم يكون نبيهم ورسولهم طريقا لهم لله، ثم يطلب فيليبس من المسيح أن يريه الله، فيقول له متعجبا: كل هذه المدة أنا معكم وما زلت تريد رؤية الله، ومعلوم أن الله تعالى ليس جسما حتى يرى، فمن رأى المسيح ومعجزاته وأخلاقه وتعاليمه التي تجلى فيها الله تبارك وتعالى أعظم تجل، فكأنه رأى الله فالرؤيا رؤيا معنوية.

وجاء نحو هذا المجاز أيضا، في القرآن، كثيراً كقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧) أو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠) أو قوله: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

ولقد ورد في رسالة بولس إلي أهل غلاطية٣: ٢٨ قوله: «لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع».

ونحن نسأل هل يعني هذا القول أن أهالي غلاطية متحدون في الجوهر والقوة وسائر الصفات، أو أنهم متحدون في الايمان بالمسيح وفي شرف متابعته وهذا هو الاقرب للفهم والعقل.

لقد ورد بإنجيل يوحنا١٧ : ١١ القول المنسوب للمسيح في صلاته لتلاميذه»: أيها الآب القدوس _ احفظهم في اسمك الذي اعطيتني _ ليكونوا واحداً كما نحن» فهل يفهم أن هذا الاتحاد بين التلاميذ هو اتحاد في الجوهر والذات وسائر الصفات؟

لاشك ان هذا الفهم محال إذا لا بد أن يكون المقصود أن يكونوا جميعاً واحداً في حب الخير وان تكون غايتهم ورغباتهم واحدة نظير الاتحاد الذي بين المسيح وبين الله في إرادة الخير والمحبة للمؤمنين وهذا ما يفيده قول المسيح الوارد في إنجيل يوحنا الاصحاح السابع عشر الفقرة الثانية والعشرين: «**وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما إننا نحن واحد**».

## ٢-٢-الكنيسة الأولى تنكر الوهية المسيح

لعل أهم تعليم جاء يسوع المسيح ليمنح للناس هو الخلاص. وقد كان اليهود في مجتمع المسيح ينتظرون المخلص، لذلك استعمل المسيحيون الأوائل ألقابا مختلفة للتعبير عن استجابتهم الإيمانية ليسوع الناصري مستقة من الخلفية الثقافية واللاهوتية للبيئة التي نشأوا فيها. يقول البروفيسور فرانسيس يونغ «كان المسيحيون الأوائل يبحثون عن تصانيف يمكنها أن تعبر تماما عن شعورهم الباطني بالخلاص. والمهم أن البعض رأوا فيه حاخاما والبعض نبيا وآخرون اعتبروه متحمسا متعصبا والبعض الآخر اعتبره -شافيا- وصاحب معجزات، والبعض دعاه السيد والبعض سماه المسيح والبعض ابن الله...وهكذا وإبان حياته وفي إطار الكنيسة الباكرة استجاب له أفراد ومجموعات بطريقتهم الذاتية على أنه الواحد الذي حقق حاجاتهم وآمالهم...ونجد كفي كتابات يباء الكنيسة تطبيق نصوص العهد القديم في دراسة شخصية المسيح متين الأساس. وكان شعورهم بأنهم وجدوا في يسوع ما كانوا يبحثون عنه، فبدأت بذلك دراستهم لشخصية المسيح، وبكلمات أخرى اشتقت صيغ

دراسة المسيح من شعورهم بالتجربة التي حدثت لهم في الخلاص الذي وعدهم الله به- مهما كان تفسير ذلك- من خلال يسوع المسيح» (يونغ، ١٩٨٥ صفحة ٤٨).

ونظرية يونغ هذه قد يكون لها جانب من الدقة بالنظر إلى الواقع التاريخي اللاهوتي للآباء المؤسسين. فقد كانوا ابتداء من القرن الأول على عقائد مختلفة وكان لكل واحد منظاره الخاص للمسيح وطبيعته الفريدة والعجائب التي أجريت على يديه، «واختلاف مواقف الدراسات -يعني دراسات الآباء المسيحيين الأوائل لطبيعة المسيح-عن شخصية المسيح متعلق بأسلوب حميم باختلاف طرق فهم موضوع الخلاص، لقد دعمت هذه الدراسات بجدل ناقص وتأويل مشوه للآثار الدينية المكتوبة وابتكرت صيغ لحلول وسط لم تفعل أكثر من إعادة بيان التناقض المستحيل وتركه بدون حل» (يونغ، ١٩٨٥ صفحة ٥٥).

لقد كان للتحريف الذي تعرضت له النقاط الحاسمة في الإنجيل- على حد تعبير اللاهوتي توما تورانس-»والفهم الخاطئ تحت تأثير الفكر الهلليني واليهودية المتهلنة»، دافعا للآباء المؤسسين إلى شرح التعابير والتدقيق في التعاليم. يقول تورانس» وفي هذا الصدد كان الوضع المركزي ليسوع المسيح -الابن المتجسد-في ايمان الكنيسة يتطلب الإجابة بوضوح على السؤال عما اذا كان هو الها وربا أو أنه مجرد مخلوق متوسط بين الله والإنسان. وأين هو الخط الفاصل بين الله والخليقة، وبين الله الآب ويسوع المسيح، أو بين يسوع المسيح ابن الله المتجسد وبين العالم؟...» (تورانس، ٢٠٠٧ صفحة ٥).

وفي محاولة البحث عن أجوبة للأسئلة المطروحة، تعدد الإجابات في النهاية لتتحول إلى لغز من ألغاز الإنجيل-على حد تعبير فراس السواح-.

وقبل أن نعرض لك عزيزي القارئ بعض اجابات الاباء المؤسسين عن السؤال الجوهري المطروح، لا بد أن أبين أن مصادرنا التي نعتمدها قد كتبها المخالفين، وهذا من الناحية العلمية ينقص من مصداقية المعلومات المستقاة من هذه المصادر من جهة، ومن جهة أخرى قد تعرض التاريخ للتشويه، لأنه تأليف المنتصر. خصوصا وأن كتابات المخالفين قد تم احراقها مع أصحابها بسبب ما سمي ب»الحرب على الهرطقات

والهراطقة» بعد تكون النظام اللاهوتي الرسمي بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، لكن ليس لدينا خيار آخر سوى التعامل مع هذه المصادر ولكن بحذر شديد!

١. اعلن شمعون السامري سنة ٣٥ ميلادية عن رايه في السؤال المحور لطبيعة المسيح والله. فأنكر ألوهية المسيح معلنا أن «الملائكة هي التي خلقت العالم» (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ١٤).

٢. كرز ميناندراوس السامري، تلميذ شمعون، سنة ٧٢ ميلادية، بالطبيعة الخيالية للمسيح وقال» ان يسوع المسيح استعمل الأفعال البشرية استعمالا خياليا فقط» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ١٥) أي أن حياة المسيح بين الناس كبشري غنما هي خيالية ووهمية وليس حقيقية مادية. كما اعلن أن العالم خلقه الأيونات وهي كيانات وسيطة بين الآلهة والمادة. وهو بذلك يظهر تاثرا كبيرا الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وبالفكر الغنوصي المعادي للعالم المادي كما بينا من قبل.

٣. القديس كيريرنتوس، سنة ٧٣ ميلادية-، وكان يعلم الناس «أن يسوع كان انسانا محضا ولد كعامة الناس، وأنه لما تعمد في الأردن انحدر عليه المسيح يعني قوة بشكل حمامة أو كان ذلك روحا مرسلا من الله بملؤه من معرفته ويشرك الناس بها..» «وكان يرى ضرورة الشريعة الموساوية للخلاص» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ١٥). بمثله قال القديس أبيون (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ١٦).

٤. االقديسين ساتورنينوس وباسيليدي، قالا: «ان المسيح قد ظهر بصورة بشرية **ولكن من غير جسد** لإبادة اله اليهود» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ١٦). فكأن المسيح اله متجسد في صورة بشرية هيولية من غير جسد مادي، لقتل اله اليهود الذي خلق هذا العالم بعد أن عصى الآب. إذ لا يبيد الإله إلا إله مثله.

٥. القديس باسيليدي، يجيب عن طبيعة المسيح، بأنه ذا» قوة هيولية، وكان يتشح ما شاء من الهيئات ولذا اراد اليهود صلبه أخذ صورة سمعان القروي وأعطاه

صورته، ومصلب سمعان لا يسوع الذي كان يسخر باليهود. ثم عاد غير منظور وصعد الى السماء» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ١٧).

٦. فهذه بعض أجوبة قديسي القجيل الأول-القرن الأول-حسب الترتيب الزمني للقديس ماريا دي اليكوري، في كتابه»الأرطقات مع دحضها».

٧. القديس كربوكرات السكندري، وقد كون فرقة ذات أتباع كثر يسمون بـ»النيوستيشيين» أي المعلمين. وكان يجيب عن طبيعة يسوع المسيح أنه «...كان ابن يوسف ومولودا منه كعامة الناس ومتميزا عنهم بقوته فقط ثانيا ان الملائكة خلقوا العالم...» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ١٩).

٨. القديس والتينوس المصري. أعلن سنة ١٤١ ميلادية، في روما أن العالم خلقه الآيونات، كما « أنكر تجسد يسوع المسيح من مريم البتول وأنه أتى بجسد من السماء!!» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ١٩).

٩. الشيثيين يقولون أن المسيح عليه السلام، ولد من شيث ابن نوح أو أن شيث هو المسيح نفسه» أي تجسد المسيح روح شيث، كنوع من تناسخ الأرواح.

١٠. طائفة الأوفينتيون الذين يعبدون الحكمة التي أصبحت حية ويسجدون ليسوع المسيح بواسطة أفعى وكانوا في ولائمهم يأتون بحية من ثقب بواسطة السحر فتنساب على خبز المائدة فيقبلونها وتلك الخبزات المقدسة من الحية الزاعمين أنها المسيح كانوا يكسرونها بمنزلة الأفخاريستيا ويوزعونها على الشعب!» (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٠) لأن الحية في رمز الحكمة -صوفيا- الأيونة التي خلقت العالم، ويسوع المسيح تجسيد لها.

١١. القديس مرقس والقديس كولارباسوس: كانا يعتقدنا ان الحقيقة محصورة في حروف الهجاء اليونانية، لذلك كانا يدعون المسيح ألفا وأوميكا أي الألف والياء. (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٠).

١٢. القديس برودبكوس، كان يرفض عبادة الله غير المنظور، وكان يسجد للعناصر الأربعة-الطبيعة- وهي: الشمس والقمر والكواكب والنجوم، وكان يعترى للصلاة لها. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢١).

١٣. القديس تاتيانوس الكلداني، مؤسس فرقة الأنكراتيين أي القنوعين. كان يعتقد أن المادة غير مخلوقة وأزلية، وأن العالم خلقه الله ولكن بواسطة ايوني ادنى... وأنكر بعث الأموات **وزعم أن الجسد البشري لا يستحق أن يأخذه ابن الله**. (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢١).

١٤. القديسين ساويروس يوليوس كاسيانوس رأس شيعة الدوشاتين، الذين كانوا يعتقدون أن يسوع المسيح ـخذ جسدا خياليا» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢١) وهو مذهي قريب من تأليه المسيح في طبيعته.

١٥. القديس شردون، يقول ببشرية المسيح، بوجود مبدأين أو الهين أحدهما صالح والآخر شرير. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٢).

١٦. القديس مارقيون، كان يقول بمبدأي شرذون، والإله الصالح هو كان أبا يسوع المسيح مانح النعمة له. كما أنكر تجسد المسيح بالحقيقة. وقال أنه لا يليق بابن الله الصالح أن يتخذ اقذار الجسد وأن يقرن نفسه مع جسد مفسود واثيم طبعا. كما اعتقد أن الإلهين قد وعدا بالمسيح وأن الذي ظهر ي عهد كيباريوس كان الإله الصالح ولكن من غير حقيقة. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٢).

١٧. القديس هابيل، كان يرفض النبوات، ويقول ان ابن الله يسوع المسيح أخذ جسدا هوائيا وفي صعوده ارجعه الى كا من العناصر. (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٣).

١٨. القديس منتانوس، اذي اعتقد أن « الله قد أراد أن يخلص العالم بواسطة موسى والأنبياء. واذ لم يتمكنوا من ذلك تجسدهو ولما لم يقدر على هذا حل بواسطة الروح القدس على منتانوس» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٣). لقد شاع

سيط هذا القديس بالقداسة-كما قال ألفونسو دي ليكوري- لكن اثبات عجز الله في خلاص الناس فآثره على نفسه لهذه المهمة، قد يكون نتيجة اغتراره بكثرن أتباعه، كأنه حسبهم أكثر البشرية، فظن عن نفسه خيرا. خصوصا وأن عقيدته قد تفرع عنها شيعا كثيرة كالكاتافريجيين واللارنوتيريتيون والبابوسيون واللاسكدروجيتيون والبطالورينكيتيون وغيرهم. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٤).

وهذه الشيع كلها تعتقد بألوهية المسيح وبالتجسد.

١٩. القديس تاودوطوس الدباغ البيزنطي والقديس ارتيمون. اعتقدجا هذين القديسين ببشرية المسيح المحضة مثل كيرينتوس وأبيون. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٥).

٢٠. القديس تاودوطوس الصراف، الذي كان يعتقد أن ملكاصادق الممدوح في العهد القديم هو السيد المسيح. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٥). ولعله كان يعتقد بتناسخ الأرواح، فانتقلت روح ملكي صادق التوراتية إلى يسوع بن مريم. وهو أيضا قول ببشرية المسيح لأن ملكي صادق التوراتي بشر مخلوق مثل سائر البشر.

٢١. القديس هرموجانوس، كان يقول»...أن جسد المسيح كان في الشمس!!« (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٥).

وكما نلاحظ من خلال هذه النماذج من معتقدات لاقرن الثاني الميلادي، فهي يغلب عليها القول ينفي ألوهية المسيح واعتقاد بشريته، لكن كل يفسرها بحسب ثقافته وتعمقه في الهيلينستية وقلسفة الرواقيين الأفلاطونيين والعنوصيين واليهود..الخ

أما عن معتقدات القرن الثالث فهي أيضا على نفس المنوال من الإجابة على الشوال المحير. لكن لعل ما يميز هذا الجيل هو صعود مذهب نفي ألوهية

المسيح حتى كاد يختفي معه المؤلهين. فكتب القديس ايرونيموس في -خطابه ضد لوشيغوروس-» إن العالم حينئذ قد شوهد بحال يرثى لها أنه صار أريوسيا» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٧). بل واكتسب نقاة الوهية المسيح الديالكتيك الدفاعي للاهوتهم حول المسيح، صار لهم كتب ومجادلات حتى اكتسحوا ثلثي العالم المسيحي. وسيأتي معنا شهادات لقدماء الآباء في هذه المسألة.

٢٢. القديس براسيا الفريجي، كان من أتباع القديس مونتانوس. وكان قد « قاوم سر الثالوث معترفا أن في الله أقنوما واحدا وطبيعة واحدة كان يدعوها الآب ويقول: إن هذا الأقنوم قد حل في احشاء البتول ولما اتلد دعي يسوع المسيح» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٥)، هذا هو معتقد المسلمين كما جاء في القرآن. ومن أشهر تلاميذ براسا باريلوس أسقف البصرة في العراق والقديس نواطوس والقديس سابيليوس.

٢٣. القديس باريلوس، أسقف البصرة في العراق. اعتقد أن المسيح قبل تجسده لم يكن له لاهوت خاص بل اتخذ بتجسده لاهوت الأب فقط. ويقصد بالتجسد الظهور في شكل الجسد البشري، وقبل ذلك كان روحا الهية من الآب وبعد تكون جسده أخذ لاهوت الآب ويقصد به الروح، فصار جسدا وروحا بعد أن كان روحا الهية دون جسد. (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٥) وهو مذهب ينفي ألوهية المسيح لأن هذا الوصف هو وصف حال كل البشر، وهو شريعة محمد ﷺ عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم.

٢٤. القديس نواطوس. فهو على مذهب أستاذه وزميله. وكا يقول الآب والابن والروح القدس هم أقنوم واحد واله واحد مفرد. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٦)، بمعنى ان الروح القدس والابن والآب هما صفات لله الواحد وليست آلهة كما هو قول المثلثة من مؤلهي يسوع المسيح. هو أيضا من نفاة الألوهية اليسوعية.

٢٥. القديس سابليوس الليبي الشهير، أظهر اعتقاده سنة ٢٠٥٧ ميلادية. «كان ينكر تمييز الثلاثة ألقانيم في الثالوث الأقدس، قائلا: «أنه توجد ثلاثة أسماء لإله واحد مخترعة لتبيان مفاعيل اللاهوت المختلفة. ولكي يوضح سر التثليث استعمل مثل الشمس مميزا بها الشعاع والحرارة والدائرة المتضمنة كليهما. فالشعاع عبارة عن الابن والحرارة عن الروح القدس والدائرة أو جسم الشمس عبارة عن الآب الذي باقنوم واحد يحوي الابن والروح القدس » (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٢٦).

٢٦. القديس بولس السميساطي، اسقف انطاكيا. كان من كبار منكري لاهوت المسيح عليه السلام. وكان يكرز في كنيسته الأنطاكية أن»يسوع المسيح ابتدأ يوجد حينما ولد من العذراء فقط، وبالتالي فقد اعتبره انسانا محضا. ثانيا: قال كان في المسيح اقنومان وابنان لله الواحد. بالطبيعة والآخر الذخيرة. ثالثا: أنكر تثليث الأقانيم الإلهية وأن سلم باسم اب وابن ورح قدس، غير أنه من انكاره على الابن والروح القدس وجودهما الذاتي الأقنومي الذاتي كان ينتج أنه لا يعرف كليهما. وبالتالي قد اتصل الى أن نسب لأقنوم واحدأي الآب وحده التجسد والآلام» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٣٩).

٢٧. القديس ماني، صاعب فرقة المانيين، كان يعتقد أن المسيح لم يأخذ حسدا نظيرا جسدنا. والتالي فهو من منطري لاهوت المسيح وزغن لم يقل ببشريته. قال القديس الفونسو: لقد امتد المانيون في أكثر آفاق العالم ومع أنهم حرموا من باباوات كثيرين واضطهدهم ملوك عديدون منهم ديوكلتيانوس ايضا ثم كراسانوس وتاودوسيوس لا سيما يوستينوس ويوستينيانوس اللذان أحرقاهم أحياءا في ارمينية فما برحوا باقين أجيالا كثيرة حتة سنة ١٥٥٢ التي فيها وجد انريكي الثاني ايضا بعضا منهم في افرنسة فشنقهم على آخرهم كما روى بارونيوس» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٤٠).

٢٨. القديس ترتوليانوس، كان وثنا ثم تنصر سنة ١٩٧ ميلادية. كان ينكر لاهوت

المسيح والثالوث وكان يسمى الكاثوليكيين بيسكيشي أي الحيوانات؟!. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٤١). وقد استمرت الترتوليانية بعد ذلك ٢٠٠ سنة حتى عهد القديس أوغسطين.

٢٩. القديس باريللوس. وكان ينكر لاهوت يسوع المسيح. (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٤٢).

فهذا الجيل الثالث هو أيضا غلب عليه انكار ألوهية المسيح والتثليث، **فقد كان يسوع بشرا.**

ومن أهل القرن الرابع ممن أنكر أولهية المسيح ما يأتي:

٣٠. القديس دوناتوس الكبير[١]، الذي كان يقول بمذهب آريوس (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٤٩) في المسيح وأنه مخلوق ودون الآب في كل شيء. وكان الدوناتيوس بأعداد هائلة في العالم المسيحي، وكانوا يقتلون المؤلهة، وينبشون قبورهم برئاسة قديس اسمه ماكسيوس. (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٤٩). وقد انتشرت العقيدة الآريوسة عن طريق الدوناتيين، واستمرت إلى أواخر اقرن السادس الميلادي ٥٩١ و٥٩٦ ميلادية. قال المؤرخ بارونيوس في تاريخه « **النتيجة أن هؤلاء الهراطقة قد خربوا كنيسة افريقيا**» (القديس ألفونسو، ١٨٦٤ صفحة ٥٣).

٣١. القديس آريوس، الذي أقيم مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية بسبب معتقداته التي باتت تهددت عقيدة ألوهية يسوع المسيح. أنكر آريوس سر التثليث المقدس وألوهية المسيح المساوية لألوهية الآب. غير أنه جعل المسيح أزليا مع الآب وقدج وكل الآب اليه مهمة خلق العالم. فصار يسوع اله ثانوي اسفل وتابع للإله الآب الأعظم.

---

(١) يذكره القديس غريغوريوس الكبير لقداسته وعجائبه. قبض عليه كودراتيانوس، حاكم توسكانا، زمن الإمبراطور يوليانوس الجاحد. أبى أن يؤدّي فرض العبادة للأوثان. عُذب. أبدى جلادة لا تُخترق. أنهى جهاد بقطع الهامة سنة ٣٦١م. رفاته في كاتدرائية أريزّو. في الوقت عينه قضى راهب اسمه هيلارينوس ضُرب للمسيح حتى الموت ونُقلت رفاته إلى أوسيتا.

وكما نرى فعقيدة انكار ألوهية المسيح والقول بالتثليث لم تكن من هرطقات المسيحية المتأخرة، بل هي اعتقاد اصيل وذو انتشار أفقي عريض وسط المؤمنين من أتباع السيد المسيح والرسل المبجلين،»ويعترف القديس يوحنا فم الذهب وأثناثيوس بأن ألوهة المسيح قلما ورد ذكرها على لسانه أو لسان حوارييه. ويقول غيبون: «وكان الغرباء عن المسيحية من سكان رومة وآسية الذين لم تقع أبصارهم قط على المسيح، أكثر نزوعا إلى الإيمان بالوهيته». (سحاب، ١٩٨٦ صفحة ٣٨). يقول اللاهوتي البروفيسور جميس بنتلي «ومعروف أن تعبير الثالوث لم يكن موجودا ماديا في العهد الجديد، ولا لدى الآباء الرسوليين.» (بنتلي صفحة ٧٧)، بطبيعة الحال إلى جانب هذا الإعتقاد السائد وجدت طائفة البولسيين -اتباع بولس الرسول-التي كتبت التاريخ من بعد انتصاراتها السياسية، وأحرقت المخالفين. لكنها في أي حال من الأحوال لم تكن لها الأغالبية في ميدان صراع الألوهية اليسوعية في العالم المسيحي خلال القرون الأربعة الميلادية. بل لم يزل التثليث محل شك ورفض الطوائف على مر التاريخ. ولم يكن للمثلثة أجوبة مقنعة على الإعتراضات اللاهوتية على الوهية الثالوث بما فيه الابن يسوع المسيح.

وينقل الفونسو دي اليكوري في آخر اعتراضاته على باسيليوس» ويعترض أخيرا بأن المسيحيين الأولين لم يكونوا يؤمنون بسر التثليث ولو كانوا آمنوا به لأعترضهم الحنفاء بصعوبات عديدة لإشراكهم...أجيب أولا أن رعاة الكنيسة في تلك الأزمنة الأولى حسنا كانوا يعلمون المرتدين الى الإيمان قانون الرسل المحتوي على سر التثليث ون لم يوضحوه علانية للحنفاء الذين من حيث أن هذه الأمور الإلهية تفوق طور عقلهم فيضحكون على ما لا يفهمون» (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٢٧). وغريب جواب القديس ألفونسو، كيف يعلم الاباء سر التثليث دون توضيحه؟ لماذا لا يوضحون جوهر خلاص المرتدين؟ لماذا يخفون عنهم الاهم المخلص لهم من شر الخطيئة؟ فهم باخفائهم يضلونهم ويقدمون لهم المسيحية على غير حقيقتها، فهم اشرار من هذا المنظور!! وأوضح الفونسو الكاثوليكي السبب: **وهو أن هؤلاء لن يفهموا سر الثالوث وقد كان منهم الفلاسفة والعلماء!!** وهذا صحيح لأن هؤلاء لم يكون بمقدورهم عقلنة اللاهوت اليسوعي وإقناع الشعب به خصوصا النخب المثقفة والمتعلمة. كما

يقول اللاهوتي البروفيسور ميكائيل غولدر[(١)] « وقد وجدت الكنائس نفسها عاجزة عن التبشير بهذا الأسلوب، كما هو الآن في عصرنا الحاضر. فهو بحاجة لمحاضرة لاهوتية» (هك، ١٩٨٥ صفحة ٩٥) ومثال على ذلك ما اعترضه سابليوس عن المثلثة المؤلهين ليسوع المسيح قالوا لهم « إن العقل الطبيعي ذاته يبين لنا أنه كما أنه ثلاثة اقانيم بين الناس يقيمون ثلاثة اشخاص سرية منفردة، فكذلك الأقانيم في الله ان كانوا متميزين حقيقة فيقيمون ثلاثة آلهة مختلفة. أجيبَ: أنه لا ينبغي أن نحكم على الأسرار الالهية بموجب عقلنا البشري الخسيف لكونها تفوق فروقا غير متناهية أهلية عقلنا» (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٣٥).

يريد المؤلهة مؤمنين بلا عقل، يتبعونهم بغير قيادة حكيمة تميزلهم الخطأ والصواب. وكيف سيتم هداية الوثنيين الذين لا يؤمنون بالتقليد ولا بالإنجيل ولا بيسوع. فالعقل هو برهان كوني جامع للقواعد الاساسية الفطرية التي لا تختلف عليها البشرية والمسماة ب» البدهيات». والأولهية بما أنها قد كرز بها في الكنيسة فيلزم تبيانها بما يتفق مع القانون الممنوح للبشرية جمعاء للهداية إلى الحق. وهو كما للمؤمنين فهو ممنوح ايضا للوثنيين وغيرهم كما قال بولس الرسول، فيجب اقناع الناس به ليتم الإقبال عليه براحة ودون قلق. «وقد كان القديس براسيا ينكر الثالوث ويوبخ المثلثة على الشرك بالله. وكما كان عبدة الأوثان يوبخونهم ايضا على سجودهم ليسوع وعبادتهم له، مع كرازتهم بالتوحيد-عبادة الإله الواحد-، كما أن شيلسيوس الفلسوف الوثني جعل الثالوث ذريعة إلى تعدد الآلهة» (القديس دي لكوري، ١٨٦٤ صفحة ٣٨). أما الفيلسوف الوثني المتمسح اثناغورس الأثيني[(٢)] فيقر قائلا في صورة من التهكم في كتابه *حجة تتعلق بالتعاليم المسيحية:

---

(١) محاضر في الإلهيات وعميد كلية عمانوئيل-جامعة كامبردج-بريطانيا.

(٢) كما وصفه الأنبا يؤانس القبطي أسقف الغربية:...كان من أساطين الديانة الوثنية ومن انصار الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وحيث كان يدير بالإسكندرية مدرسة وثنية تنهج نهج الأفلاطونية المحدثة... وقد تحول -الى المسيحية- فعلا نحو سنة ١٨٦م وصار من انصار المسيحية ومن أكبر المدافعين عنها ولذا لقب ب»اثيناغوراس المدافع». (الأنبا يؤانس صفحة ٩٨).

الفصل العاشر «ونؤمن أيضا بابن الله. دعونا نعرف شيئا انه من المضحك أن الله يجب أن يكون له ابن! بالنسبة لفكرنا عن الله والآب فهو مختلف عن أساطير الشعراء التي تتضمن أن الآلهة ليسوا في حال أفضل من البشر...وإذا تساءلتم بالرغم من ذلك عما يعنيه تعبير «ابن» فإنني سوف أعطيكم شرحا مختصرا: إنه مولود من الآب ولكنه ليس مخلوقا. وإن الله الفكر الأبدي كان لديه الكلمة في نفسه منذ البدء لم يكن قط بلا كلمه. أما الكلمة فقد جاء بالأحرى ليكون الفكرة المبدعة والقوة الخلاقة لكل الأشياء الملموسة. وهذا يتوافق أيضا مع روح النبوة القائلة «الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القديم» (إبراهارد، ٢٠٠٠ صفحة ١٦٢ بتصرف يسير).[١]

## ٣-مشكلة الثالوث المقدس

يستدل اصدقاؤنا المسيحيون على حقيقة الثالوث والأقانيم الآب والابن والروح القدس وان الله الواحد يتكون من اقانيم ثلاثة من فقرة فى إنجيل متى، تعد هى الفقرة الوحيدة التى وردت على لسان المسيح ويذكر فيها الثالوث بوضوح وهى في متى ٢٨: ١٩ والتى يقول فيها: «**فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**».

ولكن بمراجعة المصادر المسيحية من كتابات وتفاسير نجد أن بعض الآباء الرسوليين الاوائل يذكرون فى كتاباتهم ما يوحى أن هذا النص غير أصلى ومضاف الى إنجيل متى فى عصور لاحقة. خصوصا وحداثة الثالوث في التاريخ الديني المسيحي والذي أقر به عدة لاهوتيين ودارسين كالقس الألماني ابراهاد ارنولد إذ قال «إن كلمة -ثالوث- ذكرت

(١) عريف الفيلسوف واتيناغوراس للكلمة مطابق الى حد كبير للمفهوم الاسلامي لكلمة الله. فالله قال للعالم «كن» فكان ووجد. وقوله كن هو كلام الله الذي هو صفة ذاته العلية الأزلية الأبدية-الصفات الله-. اذن فكلمة الله غير مخلوقة. لكن ما ترتب عنها وبسببها من الأشياء بما فيها المسيح فهو مخلوق. ومعنى مولود أي من اصل الاهي على اعتبار أن الله هو الذي أوجده هو بذلك يشترك مع كل الناس. فكل العالم كلمة الله غير المخلوقة وهي التي خلق منها وبسببها. واتيناغوراس في طريقة دفاعه عن المسيحية قريب من نحس في طريقة كلامه قربه للطريقة الاسلامية في التعبير عن الله والملكوت.

للمرة الأولى في كتابات ترتليانوس (ضد براكسياس)[١]. ومن قبله عام ١٨٠ م تكلم ثاوفيلس الأنطاكي الذي كان مهتما برسائل بولس باعتبارها كلمة الله عن «ثلاثية» وذكر ذلك في «اوتوليكس ٢:١٥» وقارن ذلك أيضا بما قاله اثيناغوراس فيما سبق ذكره. وبالنسبة لترتليانوس الأفريقي اللاتيني فإن الآب والابن والروح هم ثلاثية خالقة ومنظمة بحسب الدرجة والعمل وليس بحسب المركز والطبيعة» (إبراهارد، ٢٠٠٠ صفحة ١٩٩).

ومن هذه المصادر كتاب تاريخ الكنيسه ليوسابيوس القيصرى وكتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس.

من هو يوسابيوس القيصرى؟

من كتاب «نظرة شاملة فى علم الباترولوجى» ص: ١٦٨ باختصار، (ولد ٢٦٠/ ٢٦٥ ميلاديه وتوفى ٣٤٠ ميلادية تقريبا. كان هو المرشد والمفسر اللاهوتى الأول للإمبراطور قسطنطين، نال شهرة واسعه بسبب كتابه التاريخى الضخم «تاريخ الكنيسة» ولذلك لُقب «أبو التأريخ الكنسى»، يعد من أوائل المؤرخين الكنسيين، وهو أيضا مفسر للكتاب المقدس، ومدافع عن المسيحيين ضد الوثنيين، وكان له دور فعال وعنيف احيانا فى الجدل الآريوسى. فقد كان نصف آريوسيا. كما كلف بمهام اختيار الكتب المقدسة التي يجب أن تعتمد ابان مجمع نيقية نظرا لمعرفته الواسعة بالكتب المقدسة. وتوضح كتاباته العديده أنه كان يميل الى التفسير الحرفى والتاريخى للكتاب المقدس أكثر من التفسير الرمزى أو الانعكاس اللاهوتى وذلك بالرغم من اعجابه بأوريجانوس.).

يقول يوسابيوس القيصرى فى كتابه تاريخ الكنيسه صفحة ١٠٠عند استشهاده بالفقرة متى ٢٨: ١٩ «أما الرسل الذين استمرت المؤامرات ضدهم بقصد ابادتهم، وطوردوا من أرض اليهودية، فقد ذهبوا إلى كل الأمم ليكرزوا بالإنجيل معتمدين على قوة المسيح الذي قال لهم -**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسمي**-» (القيصري، ١٩٧٩).

---

(١) - (حوالي ١٦٠ إلى ٢٢٠ م). وقد سبقت الترجمة له.

ليس يوسابيوس وحده الذي لم يكن يعرف الثالوث المقدس الذي تحدث عنه متى في إنجيله بل الحواريون الاثنى عشر أيضا بما فيهم بطرس صخرة الكنيسة وبولس وغيرهم، كانوا يعمدون باسم المسيح وحده ولا وجود للابن ولا للروح القدس.

فهل خالفوا تعاليم المسيح أم كانوا جاهلين بها؟ أم أنهم نسوا ركن أساسي تقوم عليه الديانة؟

١-بطرس الصخرة ورسول المسيح وواحد من الأحد عشر تلميذا يُخالف تعاليم المسيح، قال إذا كانت هذه المقولة صحيحة وكان يسوع قد قال للأحد عشر تلميذاً إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، فيكون بطرس قد خالف وصايا سيده لأنه عمد بإسم يسوع المسيح... وضرب بوصية المسيح عرض الحائط ولم يُعمد بإسم الثلاثة اقانيم: كما في أعمال ٢: ٣٨: «فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ: تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ».

أعمال ١٠: ٤٢ - ٤٣ «وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللهِ وَالأَمْوَاتِ. لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا».

أعمال ١٠: ٤٨ «وَأَمَرَ أَنْ يَعْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّب حِينَئِذٍ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ أَيَّاما».

٢-فيلبس أحد تلاميذ المسيح يُخالف هو أيضاً وصايا المسيح: لقد خالف تعاليم المسيح ولم يُعمد باسم الآب والابن والروح القدس كما في: أعمال ٨: ١٦ «لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَمِدِينَ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ».

٣- حنانيا الذي كان تقياً حسب الناموس يُخالف تعاليم المسيح: ويُعمد بولس بإسم الرب وليس بإسم الثلاثة أقانيم كما في أعمال ٢٢: ١٦ «وَالآنَ لِمَاذَا تَتَوَانَى؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِياً بِاسْمِ الرَّبِّ».

٤-بولس الذي يدعي أنه رسول المسيح للامم يُخالف تعاليم المسيح: فبولس لم يُعمد بإسم الآب والابن والروح القدس بل بإسم الابن فقط، فهل كان يجهل تعاليم المسيح أم كان يُخالف وصاياه؟ أم أنه تأثر بحنانيا حين عمده أيضاً بنفس الطريقة، وصدق

حنانيا وكذّب الروح القُدُس؟ أعمال الرسل ١٩: ٥ «فَلَمَّا سَمِعُوا اعْتَمَدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوع « كورنثوس ١ ٦: ١١ «وَهَكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لَكِنِ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلَهِنَا».

ليس هذا فحسب بل إن بولس عمّد بكرازة هذا الذي صلب من أجلنا، ألم يعلم ان وصية المسيح في متى كانت بعد صلبه ولذا إن كان العماد لصلب المسيح لكان المسيح أولى أن يقول ذلك؟ إن المسيح لم يذكر فيها للحظة ان الكرازة والمعمودية بصلبه!!!!

بل إن بولس يُخالف المسيح في العماد، ويُخالفه مرة أخرى بمناقضة غرض العماد ويُكذب المسيح لأن معمودية المسيح كانت بالتوبة لمغفرة الخطايا وليس بالصلب لمغفرة الخطايا، وليست بموته فنجد لوقا على لسان المسيح يقول: « وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ.٤٨ وَأَنتم شُهُودٌ لِذَلِكَ».

بينما بولس يقول: كورنثوس١ ١: ١٢-١٥ «فَأَنَا أَعْنِي هَذَا: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَقُولُ: «أَنَا لِبُولُسَ وَأَنَا لأَبُلُّوسَ وَأَنَا لِصَفَا وَأَنَا لِلْمَسِيحِ هَلِ انْقَسَمَ الْمَسِيحُ؟ أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لأَجْلِكُمْ أَمْ بِاسْمِ بُولُسَ اعْتَمَدْتُمْ؟ أَشْكُرُ اللهَ أَنِّي لَمْ أُعَمِّدْ أَحَداً مِنْكُمْ إِلاَّ كِرِيسْبُسَ وَغَايُسَ حَتَّى لاَ يَقُولَ أَحَدٌ إِنِّي عَمَّدْتُ بِاسْمِي».

ونعود لطريقة العماد باسم المسيح،. وهنا نجد بولس يؤكد أن العماد بإسم الذي صُلب يعني بإسم المسيح وليس بإسم الآب ولا الروح لأنهما لم يُصلبا... وهذا رد بولسي من صريح يُفحم كل من يدّعي أن العماد بإسم المسيح مثله كالعماد بالثالوث لأنهم واحد كما يقال. فبولس يؤكد أن العماد لموت المسيح... والآب والروح لم يموتا.

يقول بولس أيضاً في رومية رومية ٦: ٣ «أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ». غلاطية ٣: ٢٧ «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ».

٥-في مرقس نجد أن التعميد ليس بإسم أحد بل كرازة بالإنجيل وإسم يسوع

فهل كان مرقس يجهل أن المعمودية لابد أن تكون بالآب والابن والروح القدس؟...

أم أن مرقس يُحرف في كلام الله؟ أم أن المسيح يُناقض نفسه؟

«أَخِيراً ظَهَرَ **لِلأَحَدَ عَشَرَ** وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ. ١٥وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ **وَاكْرِزُوا بِالإنجيل لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا**. ١٦مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ. ١٧وَهذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. ١٨يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئاً مُمِيتاً لاَ يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُون. ١٩ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. ٢٠وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلاَمَ بِالآيَاتِ التَّابِعَةِ. آمِينَ».

٦-في لوقا نجد أن التعميد ليس بإسم الآب والابن والروح القدس وإنما بإسم المسيح بالكرازة بالتوبة ومغفرة الخطايا أحد بل كرازة بالإنجيل.فهل كان لوقا يجهل ما عرفه متى؟هل كان لوقا يجهل أن المعمودية لابد أن تكون بالآب والابن والروح القدس؟. أم أن لوقا يُحرف في كلام الله؟ أم أن المسيح يُناقض نفسه؟

لوقا ٢٤: ٤٦ «وَقَالَ لَهُمْ:هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ٤٧ وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ.٤٨ وَأنتم شُهُودٌ لِذَلِكَ».

لماذا خالف متى ما قاله مرقس وما قاله لوقا؟ ما قاله المسيح على لسان مرقس ولوقا هو البشارة بالإنجيل والكرازة بإسمه ولكن متى يُخالفهم ويضع المسيح وتلاميذه في مأزق التناقض والعصيان:

- فقد جعل متى المسيح مناقضاً نفسه حين يقول اذهبوا وعمدوهم باسم الثلاثة مُخالفاً ومناقضاً نفسه في لوقا ومرقس
- كما أن متى أظهر التلاميذ مُخالفين كلام الرب عاصين لأوامره حين عمدوا جميعاً بإسم المسيح وليس بإسم الثلاثة.

إن المشكلة التي تُقابل علماء الكتاب...وتؤرق مضجعهم وتُشكك في معموديتهم هي هذا التناقض الذي في متى ومخالفته لجميع التلاميذ ورسل المسيح في التعميد بل مُظهراً المسيح نفسه مناقضاً لما قاله في لوقا ومرقس.

يقول كتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس فى تفسير إنجيل القديس متى: «والواقع أن المعمودية كانت تمارس في عصور العهد الجديد، بحسب ما جاء في مصادرنا باسم يسوع. وهو أمر غريب إذ أن يسوع وضع لنا صيغة ثالوث واضحة قبل صعوده...**ولقد قيل إن هذه الكلمات لم تكن أساسا جزءا من النص الأصلي لإنجيل متى، لأن يوسابيوس اعتاد في كتاباته السابقة لمجمع نيقية أن يقتبس متى ١٩:٢٨ في صيغتها المختصرة**».
وهناك الكثير من الكتابات والتفاسير التى ترجع الى آباء الكنيسه فى القرون الاولى لا تذكر هذه الصيغه للتعميد والتعلم ولا تستشهد بنص الفقرة متى ٢٨: ١٩ فى كتاباتها ولا استدلالها على التثليث.

مما جعل هذه الفقرة محل دراسة وبحث لتحديد مدى صحتها وصدق ورودها على لسان المسيح بالحقيقة وذلك عن طريق دعمها ببعض الشواهد وحقيقة ما ورد فى باقى الاناجيل الازائيه المتشابهه مرقس ولوقا أو إنجيل يوحنا أيضا، وكذلك ما ورد فى كتابات تلاميذ المسيح وأعمالهم كشاهد على ما تلقاه التلاميذ عن المسيح ليدلنا على مدى صدق هذه الفقرة وصحتها أو تحريفها.

لقد وردت هذه الفقرة فى إنجيل متى لتوضح آخر تعاليم المسيح وأمرة بإرسال تلاميذه لتعليم الامم وتكريزها بعد قيامته من الموت. وبمراجعة هذه الحادثة وكلام المسيح فيها فى سائر الاناجيل نجدها كالتالى:

إنجيل مرقس ١٦: ١٥ «وقال لهم: اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» وفي إنجيل لوقا ٢٤: ٤٧ « وأن يكرز باسمه بالتوبة وغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم» وفي إنجيل يوحنا ٢١:٢٠ «...ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. فقال لهم يسوع أيضا: **سلام عليكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا**».

كما نرى لم يذكر أى من كتبة الاناجيل أن المسيح قال لتلاميذه كرزوا أو علموا أو عمدوا باسم الاب والابن والروح القدس كما ورد فى متى، ولكن كان أمر المسيح لتلاميذه أنه سوف يرسلهم كما أرسله الاب، وان عليهم أن يكرزوا فى الامم ويعلموهم بالإنجيل وباسم يسوع المسيح.

وربما يقال أن الاناجيل يكمل بعضها بعضا وأن عدم ذكر الفقرة المقصوده فى الاناجيل الاخرى لا يعنى انها مضافه فى متى.

نقول ان فعل التلاميذ وأعمالهم وتنفيذهم لوصايا المسيح ربما تكون الفيصل فى هذا الامر. ونستطيع منها أن نستدل على ما أمر المسيح به تلاميذه تحديدا وأرسلهم به.

ونرى من تعاليم المسيح لتلاميذه اثناء حياته أنه كان يدعوهم ويأمرهم أن يعلموا ويطلبوا الإيمان وعمل المعجزات باسمه ولم يذكر الثالوث كما فى:

مرقس ١٦ : ١٧ وهذه الآيات تتبع المؤمنين.يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة».

لوقا ١٠ : ١٧ «فرجع السبعون بفرح قائلين يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك»

لوقا ٩ : ٤٨ «وقال لهم.من قبل هذا الولد باسمي يقبلني.ومن قبلني يقبل الذي ارسلني.لان الاصغر فيكم جميعا هو يكون عظيما».

لوقا ٩ : ٤٩ «فاجاب يوحنا وقال يا معلّم رأينا واحد يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لانه ليس يتبع معنا».

يوحنا ٢ : ٢٣ «ولما كان في اورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه اذ رأوا الآيات التي صنع»

يوحنا ٣ : ١٨ «الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لانه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد».

يوحنا ١٦ : ٢٣ «وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئا.الحق الحق اقول لكم ان كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم».

وقبل أن نتعرض لكيفية تنفيذ التلاميذ والرسل لأمر المسيح الذى ورد اليهم عند لقائه بهم بعد القيامه المزعومه نذكر تعليق الاب متى المسكين فى تفسيره لإنجيل متى الخاص بهذه الفقره فيقول: «وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»

«الفعل الأساسي في الجملة باليونانية هو: «تلمذوهم»، ومن بعده تأتي عمِّدوهم ثم علِّموهم. ولكن هذه الأفعال لا تأتي بهذا الترتيب عملياً، لأنه وإن كان بحسب الفكر الكنسي أن العماد هو المصدر الذي يستمد منه المتعمِّد الروح القدس، والروح القدس هو روح الحق وبالتالي روح التعليم الذي يستمر معه طول حياته، ولكن الفعل الكنسي من الوجهة اللاهوتية لا يعمِّد إلاَّ مَنْ تعلَّم. والسبب في وضع التعليم بعد العماد من وجهة نظر المسيح والإنجيل أنها هي عملية التلمذة في صورتها الدائمة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أكثر إلحاحاً أن التلمذة ستبدأ بين الأُمم على مستوى كبار السن رجالاً ونساءً، كدعوة للرجوع إلى الله من عبادة الأوثان. هنا يهتم المسيح وتهتم الكنيسة بالدرجة الأُولى بإجراء العماد أولاً حتى يستطيع المعمَّد بالروح القدس أن يجحد الشيطان، ويقول إن المسيح رب لمجد الله الآب، التي لا ينطقها إنسان إلاَّ بالروح القدس» ١كولوسي ١٢ :٣.

الشاهد من كلام الاب متى المسكين هو أن الفعل الاساسى فى الجمله اليونانيه هو تلمذوهم ثم تأتى عمدوهم ثم علموهم، ومن هنا ممكن أن نفهم أن الجمله ممكن أن تترجم تلمذوهم باسم، او عمدوهم او علموهم باسم.

وبالتالى وجب على الباحث أن يتحرى فى اعمال الرسل بماذا كان التلاميذ والرسل يتلمذوا ويعمدوا ويعلموا الناس.

ونجد فى أعمال الرسل الآتى:

اعمال ٣: ٦ «فقال بطرس ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فاياه اعطيك.باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش»

اعمال ٣: ١٦ «وبالايمان باسمه شدد اسمه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه والايمان الذي بواسطته اعطاه هذه الصحة امام جميعكم».

اعمال ٤: ١٠ «فليكن معلوما عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل انه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي اقامه الله من الاموات.بذاك وقف هذا امامكم صحيحا».

اعمال ٤: ١٨» فدعوهما واوصوهما ان لا ينطقا البتة ولا يعلّما باسم يسوع».

اعمال ٤: ٣٠ «بمد يدك للشفاء ولتجر آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع».

اعمال ٥: ٤٠ «فانقادوا اليه.ودعوا الرسل وجلدوهم واوصوهم ان لا يتكلموا باسم يسوع ثم اطلقوهم».

اعمال ٨: ١٢ «ولكن لما صدقوا فيلبس وهو يبشر بالامور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالا ونساء».

اعمال ٨: ١٦ «لانه لم يكن قد حل بعد على احد منهم.غير انهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع».

اعمال ٩: ٢٧ «فاخذه برنابا واحضره الى الرسل وحدثهم كيف ابصر الرب في الطريق وانه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع».

اعمال ٩: ٢٨ «فكان معهم يدخل ويخرج في اورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع».

اعمال ١٦: ١٨ «وكانت تفعل هذا اياما كثيرة.فضجر بولس والتفت الى الروح وقال انا آمرك باسم يسوع المسيح ان تخرج منها.فخرج في تلك الساعة».

اعمال ١٩: ٥ «فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع».

اعمال ١٩: ١٣ «فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين ان يسمّوا على الذين بهم الارواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس».

كورنثوس الاولى ١: ٢ «الى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع المدعوين قديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا».

كولوسى ٣: ١٧ «وكل ما عملتم بقول او فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به».

من كل هذه الشواهد والتى يوجد غيرها الكثير فى العهد الجديد نعلم يقينا أن المسيح لم يقل لتلاميذه عمدوا أو علموا وتلمذوا الامم باسم الاب والابن والروح القدس وإلا لفعل التلاميذ كما أمرهم ولم يخالفوا أمره أبدا، كما ان هذا الامر لم يرد على لسان المسيح فى الاناجيل الاخرى ولا فى إنجيل متى فى غير هذا الموقف مما يعنى أن ما ذهب اليه البعض أن هذه الفقرة مضافه لاحقا الى إنجيل متى هو رأى **أقرب للصواب وأرجح من رأى من يقولون أن هذه الفقرة اصيله** فى النص.وهاهو القديس باسيليوس الكبير -٣٢٩-٣٧٩ميلادية-أسقف قيصرية، يقر أن التعميد بصيغة الثالوث ماهو الا تقليد كنسي وليس له أصل مكتوب، فقد نقل الدكتور جورج حبيب بباوي عنه في كتابه الروح القدس، الفصل العاشر « إنهم يريدون هدم التسليم الرسولي ومحوه ليصبح في مستوى تراب الأرض وهم مثل الذين عليهم دين واقترضوا من آخرين، ولكنهم يطلبون الإبطال، أي الوثيقة المكتوبة **ويرفضون تسليم الآباء غير المكتوب كأنه بلا قيمة**. أما نحن فلن نتأخر عن الدفاع عن الحق ولن نهرب مثل الجبناء لقد سلمنا الرب كأساس للخلاص: التعليم بأن الروح القدس يُحسب مع الآب في جوهر واحد. أما المقاومون فهم يقولون عكس ذلك ويُعبرون عن رأيهم بفصل الروح القدس عن الآب واعتباره في مرتبة الأرواح الخادمة» (باسيليوس، ٢٠١٤ صفحة الفصل ١٠ صفحة ٩٦). فليتأمل.

ويبقى قبل أن ننهى الموضوع أن نقول أنه حتى لو ثبت النص، فليس فيه ما يثبت صفة الالوهيه للابن والروح القدس ولا مساواتهم بالاب، كما لا يوجد فيه ما يشير الى ان الاب والابن والروح القدس هم واحد.

فاستخدام لفظة باسم بصيغة المفرد وليس باسماء لا تعنى أن المشار اليه بعدها مفرد

أو واحد فى الذات، فهى تستخدم فـى اللغة عامة بهذه الصيغة، وتشير الـى الجمع كمثال أن يقول قائل إنى أتحدث باسـم الشـعب، أو باسم الأساتذة، او باسـم الاحزاب المعارضة وهكذا لا يعنى هذا ان المشار اليه واحد فى الذات.

وقد اتى فى الكتاب المقدس نفسه استخدام لفظة باسم المفرده للإشـارة إلى المثنى والجمع كما فى الفقرات:

التكوين ٤٨ : ٦ «وَامَّـا اوْلادُكَ الَّذِيـنَ تَلِدُ بَعْدَهُمَـا فَيَكُونُونَ لَـكَ. عَلَى اسْـمِ اخَوَيْهِمْ يُسَمُّونَ فِي نَصِيبِهِمْ».

الملوك الاول ١٨ : ٢٤ - ٢٥ «ثم تدعون باسـم آلهتكم وانا ادعو باسـم الرب.والاله الذي يجيـب بنار فهو اللـه. فاجاب جميع الشـعب وقالوا الكلام حسـن. فقـال ايليا لانبياء البعل اختاروا لانفسـكم ثـورا واحـد وقرّبوا اولا لانكـم أنتم الاكثـر وادعوا باسـم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارا».

وأن الايمان والتعميد والتعليم باسـم يسـوع يعنـى بالنيابة عنه وبتكليـف منه كما ورد نفس هذا المعنى فى الاناجيل كالتالى:

متى ١٠ : ٤١ - ٤٢ «من يقبل نبيا باسـم نبي فأجـر نبي ياخذ.ومن يقبل بارا باسـم بار فأجر بار ياخذ. ومن سـقى احد هؤلاء الصغار كاس ماء بارد باسـم تلميذ فالحق اقول لكم انه لا يضيع اجره».

مرقـس ٩ : ٣٧ «من قبل واحـدا من اولاد مثـل هذا باسـمي يقبلني ومـن قبلني فليس يقبلني انا بل الذي ارسلني».

يوحنا ٥ : ٤٣ «انا قد أتيت باسـم ابي ولسـتم تقبلونني.ان أتى آخر باسـم نفسـه فذلك تقبلونه».

يوحنا ١٠ : ٢٥ «اجابهم يسـوع اني قلت لكم ولسـتم تؤمنون.الاعمال التي انا اعملها باسم ابي هي تشهد لي».

## ٤- مكانة الآريوسة في العالم المسيحي

الآريوسة هي مذهب مسيحي، وإحدى الطوائف التي لم يعد لها وجود في الوقت الراهن. تنسب إلى القديس آريوس الليبي الأمازيغي حوالي ٢٥٠ - ٣٣٦ ميلادية، أحد كهنة الإسكندرية. وتتمحور تعاليمها المختلفة عن سائر الطوائف في علاقة أقانيم الثالوث الأقدس ببعضها البعض، وطبيعة هذه الأقانيم. في العام ٣٢٥ اعتبر آريوس هرطوقًا في مجمع نيقية الذي عقده الإمبراطور قسطنطين، وكان قد أدين قبلها في مجمع محلي عقد بالإسكندرية عام ٣١٦. ومجمع محلي آخر عقد في أنطاكية عام ٣٢٠. (عون، ١٩٩٦ صفحة ٧). لكن هذه الإدانة لم تكن نهائية إذ تمت تبرئة آريوس عام ٣٣٥ في مجمع محلي عقد في صور، إثر اعترافه بصيغة قانون الإيمان الخاص بمجمع نيقية: موجود مع الآب قبل كل الدهور، وإن لم يناقش أو يذكر تتمة هذه العبارة: مساوٍ للآب في الجوهر (العربية، تشرين الثاني ٢٠١٠). ظهرت خلال هذه الفترة مرحلة جديدة من الآريوسة أطلق عليها اسم نصف الآريوسة، لاحقًا قام مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١ بوضع حرم نهائي على أي شكل من أشكال الآريوسة. إن تأخر الإدانة النهائية للآريوسية يعود بشكل أساسي للأباطرة الذين توالوا على عرش الإمبراطورية البيزنطية خلال فترة ٣٢٥ إلى٣٨١ ميلادية. إذ إن كلاً من قسطنطين الثاني وفالنس كانوا آريوسيين أو شبه آريوسيين. وعلى الرغم من أنّ الآريوسة في أعقاب مجمع القسطنطينية الأول قد انقرضت من الشرق، فإنها ظلت في الغرب خصوصًا في ألمانيا وبعض مناطق البلقان بنتيجة فرضها من قبل ملوك القوط الشرقيين على القبائل الواقعة تحت حكمهم، ولم تندمج في بنية الكنيسة الكاثوليكية الرومانية إلا تدريجيًا وبحلول القرن الثامن.

يرى بعض الباحثين أمثال ابن حزم(١)، ونهاد خياطة أن آريوس كان موحدًا باعتباره

(١) قال ابن حزم في كتابه «الملل» ص.٢٧: «منهم أصحاب أريوس وكان قسيساً بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عبد مخلوق وأنه كلمة الله التي بها خلق السموات والأرض».

حصر صفات الألوهة المطلقة بشخص أو بأقنوم الآب، غير أن الرأي السائد لدى غالب الباحثين أن آريوس وإن حصر الألوهة المطلقة بأقنوم الآب إلى أنه اعتبر الابن إلهًا يعبد بحق، وإن كان والروح القدس آلهة مرؤوسة لا تمتلك الكيان الإلهي المطلق الفريد. (خياطة، ٢٠٠٢ صفحة ٨٢) وبالتالي فقد طبقت الآريوسة الفلسفة اليونانية على المسيحية إذ إن الفلسفة اليونانية تحوي أنصاف وأشباه آلهة أيضًا.

أطلق على الآريوسة في كتابات آباء الكنيسة عمومًا مصطلح العدميين لأن إيمانهم بالثالوث الأقدس احتوى على عقيدة خلق الابن من العدم أي أن يسوع والذي هو الأقنوم الثاني وكذلك الروح القدس قد خلقا من العدم بإرادة الآب، بمعنى وجود فاصل زمني بين وجود الآب ووجود الابن والروح القدس.

يقول الباحث الأب ميشال عون إن «إحدى نتائج الآريوسة السلبية أنها فسحت في المجال للأباطرة التدخل في الشؤون الكنسية وتسييس اللاهوت خدمةً لمآربهم الشخصية» (عون، ١٩٩٦ صفحة ٧).

ولعل أهمية الآريوسة، تتجلى في كونها» تحتل من بين كل الإنشقاقات التي هددت حتى فترة الإصلاح الديني وحدة العالم المسيحي، المقام الأول من حيث قوتها، واتساعها وديمومتها. فلقد كانت أكثر من هرطقة، وأكثر من بدعة، كانت كنيسة مستقلة كبرى، مع اساقفتها ولاهوتيين ومجامع خاصة هزت سلطتها أحيانا سلطة المجامع المستقيمة الرأي!!...ولم تختف كليا إلا في الثلث الأخير من القرن السابع» (بنتلي صفحة ٧٦).

### ٣-١-من هو آريوس؟

ولد أريوس في قورينا -ليبيا الحالية- عام٢٧٠ م،لأب اسمه أمونيوس من أصل ليبي بربري. بعد منتصف القرن الثالث بقليل، ودرس تعليمه اللاهوتي بمدرسة الاسكندرية اللاهوتية وتاثر بفكر عمادها اوريجن متاثرا بالفكر الافلاطوني ومن ثم درس أيضا بمدرسة اطاكيا متاثرا بالمنطق الارسطي لوكيانوس بأنطاكية حيث كان زميل دراسة لبعض

الأشخاص الذين أرتقوا فيما بعد إلى درجات الرئاسة الكهنوتية. وهم الذين عضدوه ودفعوا به للمضى في طريق الكفاح لأجل نشر أفكاره.

وكل هؤلاء الزملاء الذين درسوا في مدرسة لوكيانوس صاروا يلقبون باسم «اللوكيانيين» أو «الاتحاد اللوكياني». وهذا لا يمنع أن آريوس درس أيضا في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية قبل دراسته بأنطاكية.

ويمكن أن يقال أن آريوس جمع في تعليمه بين اتجاهين مختلفين لمدرستى أنطاكية والإسكندرية. وفيما بعد أخذ المنتمون لمدرسة أنطاكية يهاجمونه ويتهمونه بأنه سكندرى، في حين أن المنتمين إلى مدرسة الأسكندرية كانوا يحاربونه متهمينه بأنه أنطاكى.

أستوطن أريوس في الإسكندرية حيث رسمه الأسقف بطرس كاهنا.. وأظهر في أول حياته ميولا متعصبة متمردة لأنه قبل رسامته وبعدها كان منضما للأسقف المنشق ميليتوس أسقف ليكوبوليس أسيوط

ولهذا السبب جرد من رتبته الكهنوتية، إلا أنه فيما بعد أعيد مرة أخرى إلى رتبته على يد الأسقف اخيلاس خليفة الأسقف بطرس. وما لبث أن عمل على تأييد انتخاب الكسندروس أسقفا للإسكندرية خلفا لأخيلاس. وإن كان أريوس نفسه قد استطاع بتأثير ثقافته وصفاته الشخصية أن يصير ذو شأن كبير في المدينة.

إلا أنه بعد بضعة سنواتحوالي عام ٣١٨ م اصطدم مع الكسندروس بسبب الاختلاف حول تفسير نص في الكتاب المقدس خاص بشخص ابن الله. وكان الكسندروس قد أعطاه - كما أعتاد الأسقف أن يفعل مع الكهنة - موضوعا ليبحثه. وفى الشرح الذي قدمه أريوس حاول أن يعبر عن ابن الله بمفاهيم مخالفة للإيمان المستقيم.

رأى الكسندروس في تقرير آريوس مخالفة لاعتقاده بالوهية يسوع ... وأثبتت الاتصالات بين الرجلين على أن آريوس أصر على رأيه بان **يسوع مخلوق** واعتبر أفكار

الكسندروس أنها سابيلية[١] أي مستمده من الديانة السابيلية في عبادة الشمس والاوثان. وبالرغم من هذا فإن الأسقف لم يتعجل في اتخاذ أي اجراء ضد كاهنه. إلا أنه فيما بعد اضطر الأسقف أن يتخذ قرارا من مجمع قسوس الكنيسة، بعد « انتشار بدعة آريوس الهرطوقي واضطراب الكنيسة وانزعاج المومنين بسببها. فكتب القديس الأكسندروس يايا الإسطندري الى الملك قسطنطين الكبير طالبا منه عقد مجمه مسكزني لفض هذا النزاع وتقرير مسائل أخرى مختلف عليها. وذهب اوسيوس اسقف قرطبة الى الملك طلب منه الطلب فارتضى قسطنطين وكتب منشورا بستدعي فبه جميع أسافة المملكة للإجتماع في مدينة نيقية...» (الشماس القمص، ١٩٢٤ صفحة ٢٥٠) حيث أدان هذا المجمع -بطريقة ما- القديس آريوس بسبب بدعته وقطعه من شركة الكنيسة.

رحل أريوس إلى فلسطين ثم اتجه إلى سوريا فاسيا الصغرى. وتمكن من أن يجمع حوله عدد من الأساقفة وافقوه على عقيدته التي تعتبرامتداد لعقيدة التلاميذ، وكان من بين هؤلاء «أوسابيوس أسقف نيقوميديا» اللوكياني، «وأوسانيوس أسقف قيصرية» الأوريجاني. وان الأساقفة الذين تجمعوا حوله قد أيدوه وبرأوه في مجمع عقدوه. وطالبوا بأن يعود مرة أخرى إلى الكنيسة.. وسرعان ما كتب أريوس إقرارا وافقوا عليه في مجمع عقدوه في نيقوميديا، وأرسله كرسالة إلى أسقف الإسكندرية الذي رفضه. ودعا بالطبع إلى مجمع بالإسكندرية سنة ٣١٨ م اعتمد ادانة أريوس.

وبعد ذلك بقليل، بسبب الاضطرابات التي نشأت نتيجة للمصادمات التي وقعت بين قسطنطين الكبير وليكينيوس، تمكن آريوس من العودة مرة أخرى إلى الإسكندرية.

---

(١) نسبة إلى سابيليوس صاحبة البدعة السابيلية المعروفة باسمه، والذي ظهر في روما أوائل القرن الثالث. والسابيلية تعلم بأن الآب والابن والروح القدس هم شخص واحد وليس ثلاثة أقانيم. فنقول «أن الآب أعطى الناموس في العهد القديم، ثم ظهر هو نفسه باسم الابن في التجسد، وبعد أن أختفى المسيح بالصعود ظهر هو نفسه باسم الروح القدس. أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية في التاريخ لشخص واحد، وليس ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد.

**حيث أخذ بعمل بحماس شديد وبأساليب مبتكرة لأجل عقيدته بان يسوع مخلوق ونشرها بين الجماهير عن طريق الأحاديث والأشعار**... وقد ساعد على نشر عقيدته ما كان يظهر به أريوس من مظاهر الورع والتقوى وحبه للنضال.. وكان يجرى مباحثاته اللاهوتية مع الشعب. فانتهز الوثنيون تلك الفرصة وأخذوا يسخرون من المسيحية في مسارحهم بسبب تلك المناقشات[١].

لم يزل الألوهيون اليسوعيون يردون الهرطقات بهرطقات أخرى، في هذه النقطة. فقد كانوا يعلمون أتباعهم جملة من الخرافات التي تدين آريوس وكنيسته. ونقصد هنا ما نقله البطريرك ابن بطريق عن القديس الإكسندروس أنه قال إن «بطرس البطريرك قال لنا قبل أن يستشهد إن الله لعن آريوس فلا تقبلوه،ولا تدخلوه معكم في الكنيسة!! فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت: يا سيدي، من شق ثوبك؟، فقال لي: «أريوس»، فاحذروا أن تقبلوه، أو يدخل معكم الكنيسة » (ابن بطريق، ١٩٠٥ صفحة ١٢٤)، فكيف يمكن تصديق هذا من قديس كبير كالاسكندروس، فهل يصدق الإيمان والفكر بالمنامات خصوصا في قضية مثل قضية تحديد الإله وطبيعته وعلاقته مع العالم والوجود؟؟!

إنه صراع اللاهوت، والسباق نحو الرياسة على الأرواح أكثر منه البحث عن الحقيقة التي هي بمثابة ابرة وسط بحر هائج متلاطم الأمواج!

## ٥- هل الآريوسة توحيدية أم هرطقة؟: تعاليم آريوس

ظهر تيار تاريخي في أواسط العهد الإسلامي، يعتبر تعاليم آريوس تعاليما توحيدية، وأن آريوس كان على مقتدى من التعاليم المسيحية الحقة، فسموا لاهوته بالتوحيد الخالص!

قال ابن حزم الظاهري -توفي سنة ٤٥٧هـ- « وَالنَّصَارَى فرق مِنْهُم أَصْحَاب أريوس وَكَانَ قسيساً بالإسكندرية وَمن قَوْله التَّوْحِيد الْمُجَرّد وَأَن عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام عبد مَخْلُوق **وَأَنه كلمة الله تَعَالَى الَّتِي بهَا خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض**» (ابن حزم صفحة الجزء ١، الصفحة ٤٧)

---

(١) انظر «حياة قسطنطين لاوسابيوس المؤرخ» (٢:٦١) والتاريخ الكنسي لسقراط (١:٧).

وقد تابع ابن حزم في موقفه حول آريوس صالح الجعفري الهاشمي[(١)] -توفي سنة ٦٦٨ هـ- وابن تيمية[(٢)] -توفي سنة ٨٢٨ هـ وابن القيم[(٣)] -توفي سنة ٨٥٢هـ وغيرهم كثير.

أما المؤرخ الملي الشهرستاني أبو الفتح، **فيُظهر بعضا من عدم قبول أطروحة ابن حزم** في لاهوت آريوس، إذا قال الشهرستاني عن معتقد آريوس «**وزعم آريوس**: أن الله واحد، سماه أبا. وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء، **وهو مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الأشياء**. وزعم: أن لله تعالى روحا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح، وأنها واسطة بين الآب والابن، تؤدي إليه الوحي. وزعم أن المسيح ابتدأ جوهرا، لطيفا، روحانيا، خالصا، غير مركب، ولا ممزوج بشيء من الطبائع الأربع، وإنما تدرع بالطبائع الأربع عند الاتحاد بالجسم المأخوذ من مريم» (الشهرستاني، د.ت، الجزء الثاني، الصفحة ٣٢).

أما الباحثين المسيحيين والآباء التاريخيين فلم يزالون على موقفهم في اعتبار آريوس والآريوسة «مشركين بالله»، قال القديس اثناثيوس في كتابه -ضد الآريوسيين- «ولكنه -أي آريوس -لأثيث من كل النواحي أنه كافر وذلد بإنكاره الابن، معتبرا اياه من بين المخلوقات» (القديس اثناثيوس ، ١٩٨٤ صفحة ١١). وقد أشار إلى ذلك ابن بطريق

---

(١) صالح الجعفري الهاشمي -توفي سنة ٦٦٨ هـ-: « ذكر المؤرخون وأرباب النقل أنّ الباعث لأوائل للنصارى على ترتيب هذه الأمانة / - الملقبة أيضاً بالتسبيحة والشريعة ولعن من يخالفها منهم وحرمه - **هو أن أريوس أحد أوائلهم، كان يعتقد هو وطائفته توحيد الباري ولا يشرك معه غيره، ولا يرى في المسيح ما يراه النصارى؛ بل يعتقد نبوته ورسالته، وأنه مخلوق بجسمه وروحه**، ففشت مقالته في النصرانية فتكاتبوا واجتمعوا بمدينة نيقية عند الملك قسطنطين وتناظروا...» (الجعفري، ١٩٩٨، الجزء ٢، الصفحة ٤٩٩-٥٠٠).

(٢) وسمى آريوس عبد الله بن آريوس!!، انظر ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢/ ص:٤٩٦، دراسة وتحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٨٤هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) انظر، ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

في المناظـرة الأولية التي دارت بين الإسـكندروس وآريـوس أمام الإمبراطور قسـطنطين» قال آريوس: أقـول ان الآب كان إذ لم يكن الابن الذي يسـمى **كلمة الأمـر، فكان هو خالق السـماوات والأرض وما بينهما كما قال إنجيلـه المقدس.** إذ يقول: قد أعطيت كل سـلطان على السـماوات والأرض. فكان هـو الخالق لهما بما أعطـي من ذلك. ثـم أن تلك الكلمة تجسـدت فيما بعد من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحا واحدا. فالمسيح اذا معنيان: كلمة وحسد الا أنهما جميعا مخلوقان.

فأجابه عند ذلك الإكسـندروس وقال له: أخبرنا أيهما أوجب علينا عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا. قال آريوس: عبادة من خلقنا. قال الإسـكندرس: فإن كان خالقنا الابن كما وصفت وكان الإبن مخلوقـا. فعبادة الابـن المخلوق اذا أوجب من عبـادة الآب الذي ليس بمخلوق، بل تصير عبـادة الآب الخالق كفر وعبـادة الابن المخلـوق ايمانا وذلك من اقبح القبيح...» (ابن بطريق، ١٩٠٥ صفحة ١٢٥).

وايا كان الموقف من لاهـوت آريوس فإننا ومن الناحية العلميـة الموضوعية، يصعب التحقيق من موقف الطرفين، وذلك لسببين اثنين:

السبب الأول: أنا كل ما لدينا عن لاهوت آريوس هي من كتابات أعادئه المخالفين له.

السـبب الثاني: أن كتب آريوس كلها ضاعت، ولم يق لنا منها إلا الثالية ورسـائله إلى بعض أصدقائه، هي أيضا ليـس لها مصداقية كاملة على اعتبار كونهـا منقوله في كتبه اعدائه وهي بذلك قد تكون عرضت للتحريف والتشويه. وهي كالتالي:

### ١-سالة إلى أسقف نيقوميدية

وقد حفظها لنـا إبيفانيوس فـي كتابه «باناريـون»[(١)]. وكذلـك ثيئودوريتـس في كتابه «التاريـخ الكنسـى»[(٢)]. وفى هـذه الرسـالة يحتج علـى تحامل الكسـندروس ضـده وضد

(١) باناريون معناها سلة الخير.

(٢) التاريخ الكنسي لثيئودوريتس.

أتباعه ويعرض أراءه وتعاليمه في صراحة تامة. ويقول أن الابن إله لكنه «ليس غير مولود *Agenntos*» «ولا جزء من غير المولود» وفى النهاية يستنجد باوسابيوس أسقف نيقوميديا مسميا إياه أنه من «الاتحاد اللوكيانى».

## ٢-رسالة إلى الكسندروس أسقف الإسكندرية

حفظت هذه الرسالة في أعمال «أثناسيوس عن المجامع»[١]. وفى كتاب «باناريون» لابيفانيوس[٢]. كما حفظت باللغة اللاتينية في كتاب «الثالوث لايلارى»[٣]. وهي الاعتراف الإجمالي إلى كان قد قدمه لمجمع نيقوميديا الأول والذي عقده الأريوسيون المنفيون. وفى هذه الرسالة تحاشى التعبيرات المثيرة واعتبر أن «الابن قد ولد قبل كل الدهور». إلا أنه لم يكن موجودا من قبل أن يولد.

السبب الثالث: تأيد اكثر المسلمين لآريوس باعتباره -كما يقولون- موحدا، **لا يعني شيئا**. نظرا لكونهم ينقولون عن نفس المصادر التي ننقل عنها نحن اليوم. رغم وجود بعض المحققين من المسلمين الذين انتقدوا آريوس ولم يعتبروه موحدا كما هو حال الشيخ أبي الفتح الشهرستاني، في كتابه « الملل والنحل».

## ٣-اعتراف الإيمان

حفظت هذه الرسالة في التاريخ الكنسى لسقراط[٤] والتاريخ الكنسى لسوزومينوس[٥]. وفى هذه الرسالة حجب عقيدته الحقيقية وقال بأن الابن قد ولد قبل كل الدهور لأنه لو كتبت كلمة *gegennimenos* المولود» بحذف حرف *n* منها أي *gegenimenos* لتغير معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود.

---

(١) انظر «باناريون» لابيفانيوس (٦:٦٩).

(٢) «باناريون» لابيفانيوس (٧:٢٩).

(٣) «ايلاريوس عن الثالوث» (١٢:٤، ٥:٦ هـ).

(٤) التاريخ الكنيسي لسقراط» (٢٦:١).

(٥) التاريخ الكنسي لسوزومينوس» (٢٧:٢).

### ٤- «ثاليا»

حفظ أثناسيوس في كتاباته بعض نصوص هذا الكتاب[١]. وكلمة «ثاليا» معناها مأدبة أدبية. وقد دبجها كلها تقريبا بأبيات منظومة وبلحن جميل. وفى افتتاحيتها نجده يظهر نفسه أنه مملوء بالعقيدة والعواطف الشجية عندما يتحدث عن الله..

«بحسب إيمان مختارى الله... عارفى الله...

ابناء قديسين. ذوى التعاليم الشرعية الثابتة.. حاصلين على روح اللهٰ القدس...

أنا نفسى تعلمت هذا.. من حكمة المشاركين.. السابقين.. عارفى الله..

حسب كل أقوال الحكماء.. أتيت أنا مقتفيا أثر كل هؤلاء..

وأنا ذو السمعة الحميدة.. متمش بنفس العقيدة..

ومتحمل كثيرا من أجل مجد الله.. بنفس حكمة الله.

وفيما عدا هذا، يبدو أنه كان لأريوس مجموعة أخرى من الأشعار لكل مناسبة من مناسبات الحياة[٢]. كما أشار بذلك أثناسيوس في المجموعة التي تسمى «البحرية»، «الرحى» «الرحلة».. الخ.

### ٤-١- في معنى التوحيد في المسيحية

كما درسنا من قبل، فالمسيحة طوائف وتيارات مختلفة، فلاهوتها اختلف بحسب الثقافة التي ينمى فيها ويتفاعل معها. لكن من حيث المبدا فكل الطوائف بلا استثاء آمنت بالتوحيد وأعلنت الحرب على الأصنام وعبادة الأوثان.

لقد عاش المسيحيون الأوائل بين أمم تعبد الأوثان أع ١٧ : ١٦، وكثيرًا ما كان عليهم

(١) أثناسيوس ضد الاريوسيين (١:٥-٦).

(٢) أثناسيوس عن مجمع نيقية وفيلوستورغيوس التاريخ الكنسي (٢:٢).

مواجهة مشاكل الاشتراك في أعيادهم والأكل من اللحوم التي يذبحونها للأوثان، (أع ١٥: ٢٠، ١ بط ٤: ٣، رؤ ٢: ١٤ و٢٠، وبخاصة في كوروثوس١ كو ٨: ١٠).

ونقرأ في العهد الجديد أن الطمع عبادة أوثان كو ٣: ٥، أف ٥: ٥، ويقول الرب: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين.. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» متى ٦: ٢٤، لوقا ١٦: ١٣.

والتحذير الشديد من الشهوات الشريرة لا يرتبط بالعبادات الوثنية التي كانت شائعة في العصور المسيحية الأولى فحسب، بل ما ألزمه لعصرنا هذا المصاب بالهوس الجنسي غلاطية ٥: ١٩ و٢٠، في ٣: ١٩، انظر أيضًا رومية ١٦: ١٨.

إن منبع عبادة الأوثان هو أساسًا القلب النجس والإرادة الشريرة رو ١: ٢١، ويتفق الرسول بولس مع إشعياء النبي، في أن الإنسان قد أنحدر من معرفة الله إلى الوثنية، وليس أنه ارتقى من الوثنية إلى معرفة الله انظر رومية ١، إشعياء ٤٤، ولذلك يأمر الكتاب بالهرب من عبادة الأصنام١ كو ١٠: ١٤، ١ يو ٥: ٢١، قد استشهد الملايين ومن المسيحيين فيما عرف بسنوات الإضطهاد بسبب الإكراه الروماني لهم على عبادة الأصنام، واعتقاد الشرك بالله تعالى، فأبوا فعذبوا بأنواع العذاب التي لم تزل شاهدة على بسالة منقطعة النظير. إذن ماهي طبيعة التوحيد المسيحي؟

**إنها الإيمان بإله واحد لا شريك له خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير.**

لكن الشيطان يكمن في التفاصيل. فمعتقد اصحاب الثالوث المقدس يقدمون التوحيد في صورة ثالوث كما يلي:

فالثالوث المقدس هو: الآب - الابن - الروح القدس. ويتحدث الكتاب المقدس صراحة عن وحدانية الله ذات الطبيعة الثالوثية! بقوله: «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ»رسالة يوحنا الرسول الأولى ٥: ٧، والكلمة هو الابن أو يسوع المسيح عليه السلام.

ويبين ألقديس أوريجانوس في كتابه-ضد الهراطقة- التوحيد الثالوثي قائلا:

« الثالـوث لا يقيم ثلاثة آلهـة بل الها واحـدا. فـإن الآب والابن والـروح القدس وإن كانوا ثلاثـة أقانيـم فهـم ذات واحـدة» (القديـس ألفونسـو، ١٨٦٤ صفحـة ٣٨)، ويفصل القديس ميرللوس الإسـكندري هذا النمط من التوحيـد قائلا: « لأن أقنومـا واحدا أعني به الآب الذي ينبثق من أحد. هو مبدأ اللاهوت لأن الأقنومين الآخرين ينبثقان منه[1]. لكنهما ينبثقان بنوع أنهما ر يبرحان مستمرين فيه كقول كقول سيدنا يسوع المسيح أنا في أبي وأبي في). يوحنا: ١٠: ٣٨،...**فمن حيث أن لهم طبيعة واحـدة وذاتا واحدة الهية فيقيمون لا هوتا واحدا والها واحدا فقط**»(القديس ألفونسو، ١٨٦٤، صفحة ٣٥، بتصرف).

أما منكـري الثالوث كبولـس السميسـاطي وآريوس وغيـره، فيعتقدون وفقـا للمعتقد اليهودي أن الآب هو الواحد المسـتحق للعبـادة والتكريم والتقديـس والقرابين. وأن الابن والروح القـدس هما مخلوقان لله وهـم عبيد له مثل الملائكة وسـائر البشـر. وهـذا ما أكده اللاهوتي البورفيسور ج. يلتر إذ قال: « لقد كانت العقيدة الآريوسية مثل غيرها من التيارات المنكـرة للثالوث وألوهيـة المسـيح-الكاتب **قائمـة بصورة حاذقـة على نصـوص توراتية،** تقدم الآب بوصفه وحـده إلها حقيقيا، في حين أن المسـيح يدعى فيها ربا وحسـب، وعلى آراء آباء الكنيسـة، مثـل دونيز الإسـكندراني وأريجان وهـي آراء تشـوبها «الإئتمارية» أو -الخضوعية-، إذ إن الابن يخضع للآب وعلى الإتجاهات العقلانية للمسيحيين الذين ظلوا تحت تأثير الفلسـفة اليونانية، وأخيـرا على حجج تبسـيطية كتلك التي كانت تنسـتخدم مع النسـاء: « هل كان لديك ابن قبل أن تنجبي واحدا؟» بالطبع لا، الأمر نفسـه يقال بالنسبة لله قبل أن ينجب...» (ويلتر، ٢٠٠٧ صفحة ٧٩).

هو اللاهوت المقدم عند كثير من آباء الكنيسة الأوائل أمثال - لا على سبيل الحصر-

- **القديس براسـيا الفريجي**، كان من أتبـاع القديس مونتانوس. ينكـر الثالوث ويوبخ المثلثة على الشرك بالله.

---

(١) على اختلاف بين الطوائف المسيحية في ذلك.

- **القديس ترتوليانوس**، كان وثنيا ثم تنصر سنة ١٩٧ ميلادية. كان ينكر لاهوت المسيح والثالوث وكان يسمى الكاثوليكيين بيسكيشي أي الحيوانات؟!.القديس دي لكوري، ١٨٦٤، صفحة ٤١.

- **القديس سابليوس الليبي الشهير**، أظهر اعتقاده سنة ٢٠٥ ميلادية.»كان ينكر تمييز الثلاثة ألقانيم في الثالوث الأقدس، قائلا: «أنه توجد ثلاثة أسماء لإله واحد مخترعة لتبيان مفاعيل اللاهوت المختلفة».

- **أسقف القسطنطينية البطريرك مكدونيوس**، الذي يعتقد أنه كسائر المخلوقات، وخادم للابن كأحد الملائكة.

- **القديس آريوس الليبي**

- **والقديس يوسلبيوس النيقوميدي أسقف نيقودنيديا** وغيرهم كثير جداا.

فالذي يظهر أن هذين التيارين هما الأبرز في توحيد الكنيسة المسيحية الأولى، مع حظوظ اكبر للتيار الثاني باعتباره الأكثر قبولا وشعبية على المستوى الأفقي والعمومي للعالم المسيحي القديم في القرون الستة الأولى. نظرا لطبيعته اللاهوتية البسيطة والمقبولة عقلا وفطرة. وأيضا نظرا للاعقلانية التي يتم بها المفهوم التثليثي، الذي يعتبره أصحابه سرا لاهوتيا!!، لا يفقهه إلا الخاصة من اللاهوتيين، وهو بذلك يصير لاهوتا نخبويا. كما يجب ترك العقل خارجا عند الدخول في ملكوته. وهذا ما لم يكن مقبولا لدى الجماهير المسيحية في البلاد الرومانية آنداك.

## ٤-٢-تعليم آريوس: رؤية عامة

لم تقتصر تعاليم القديس آريوس هذه على مدرسة واحدة، -كما قال كثيرون-أي أنها لم تنطلق لا عن وحدانية الله الكتابية التي اعتنقها الأنطاكيون المتطرفون الذين أعتقدوا بأن الابن تهذب وتشكل بهبوط قوة إلهية مجردة على يسوع، كما أنها لم تنطلق عن فكرة الوحدانية التي اعتنقها السكندريون المتطرفون الذين أعتقدوا بأن هذه الوحدانية الإلهية

اتسعت لتحوى كل الموجودات الإلهية، بل هي نشأت عن فلسفة الوحدانية. وحيث أن أريوس كان موحدا متطرفا فإنه أراد أن يؤكد أن الله كان واحدا وأنه في نفس الوقت متحول. أن حل وحدانية الله إنما سيعنى تمييز الله إلى أب وابن. أما حل التحول إنما سيكون بواسطة خليقة هذا العالم..

وبحسب اعتقاده، **فإن الله واحد، غير مولود وحده، سرمدى وحده، ليس له بداية وحده. الحقيقى وحده، الذي له الخلود وحده**[1]. وبجانب الله، لا يوجد كائن آخر.. ولكن عن طريقه توجد قوة عامةلا شخصية هي «الحكمة والكلمة».. وهذه التعاليم مأخوذة عن «الوحدانية المقتدرة» التي للقديس بولس السميساطي. ولكن فكر اللاهوتي يوضح اعتمادا أكثر على «المدافعين». وتأثيرات «الغنوسيين». فيما أن الله كان واحدا فهو لم يكن أبا «الله لم يكن دائما أبا. أما فيما بعد فقد صار أبا».

ولقد صار الله أبا عندما أراد أن يخلق العالم. عندئذ خلق كائنا واحدا. هذا الكائن أسماه الابن، ويسمى استعاريا الكلمة أو الحكمة.

إذن فحسب تعاليم أريوس توجد حكمتان:

- قوة الله الواحدة العامة.

- وكائن إلهى ذاتى واحد. وهذا الكائن هو الحكمة الثانية الذي جاء إلى الوجود من العدم. ومن ثم فهو مخلوق. إذ يقول «كلمة الله ذاته خلق من العدم.. وكان هناك وقت ما حينما لم يكن موجودا. وقبل أن يصير لم يكن موجودا.. بل أنه هو نفسه أول الخليقة لأنه صار» ويقول أيضا «الله وحده كان وحده دون أن يكون هناك الكلمة والحكمة.. ومن بعد ذلك عندما أراد أن يخلقنا عندئذ بالضبط خلق شخصا وهو الذي دعاه الكلمة

---

(١) آريوس في رسالته إلى الكسندروس وجدت في كتاب أثناسيوس عن المجامع ١٦. وسنقدم نصها مترجمة عن الإنجليزية فيما سيأتي آخر هذه النقطة. بحول الله.

والابن، وذلك كي يخلقنا بواسطته»[1] ولكي يؤيد تعاليمه استخدم نصا خاصا اقتبسه من سفر الأمثال: «الرب أقامنى أول طرقه..»أمثال٨:٢٢، وكان أوريجانوس من قبل قد تحدث عن «خضوع الابن»، كما تحدث عن «ميلاد الكلمة الأزلى» وهنا أخذ أريوس الجزء الأول فقط من تعاليم القديس أوريجانوس المبجل، وذلك عندما اضطر فيما بعد أن يقر «بالميلاد قبل الدهور» مفسرا ذلك بأنه يعنى **فقط الزمن الذي سبق خلقه العالم**.

فعند أريوس. يبدأ هذا العالم بخلق الابن، عندما بدأ الزمن أيضا أن يوجد.. والابن هو المولود الأول ومهندس الخليقة.. ومن المستحيل عنده أن يعتبر الابن إله كامل. ويعتبر أن معرفته محدودة لأنه لا يرى الآب ولا يعرفه.. والأمر الأكثر أهمية أنه يمكن أن يتحول ويتغير كما يتحول ويتغير البشر.. «وبحسب الطبيعة فإنه مثل جميع الكائنات، هكذا أيضا الكلمة ذاته قابل للتغيير والتحويل ولكن بنفس أرادته المطلقة، طالما أنه يرغب في أن يبقى صالحا.. حينئذ عندما يريد فإنه في استطاعته هو أيضا أن يتحول مثلنا، حيث أن طبيعته قابلة للتغير» (القديس اثناثيوس ، ١٩٨٤ صفحة ١٥).

استعمل بولس الساموساطى اصطلاح «القدرة على الاكتمال» الذي اتخذ منه أريوس كل تعبيراته.. وفقا لتعليمه وهو أن المسيح هو ظهور بسيط للكلمة في إنسان. ومن ناحية أخرى فهو يعتبر إنسان كامل فقط وليس إله كامل.. وبالتالى فإن الابن يمكن أن يدعى الله استعاريا فقط. وهو نفس الاسم الذي يمكن أن يدعى به البسطاء من الناس أيضا حينما يصلون إلى درجة كاملة من الروحانية والأخلاق.. وهنا يتضح كل تعليم هرطقة «التبنى *Adoption*» عن المسيح.

النتيجة الأولى لهذا التعليم: هو أن الإيمان بالثالوث يتلاشى ويذوب.. بالطبع تحدث أريوس أيضا عن الثالوث إلا أنه اعتبره أنه قد صدر متأخرا ولم يكن أصليا وأزليا. لأنه وفقا لتعليمه فإن الآب وحده كان إلها أزليا.

---

(١) المرجع السابق.

أما النتيجة الثانية:

فهي أن الحياة الجديدة للإنسان التي صيغت كنتيجة لتأنس الكلمة، لا تكون نتيجة تأليه بل بواسطة سمو روحى وأخلاقى.. وبهذا يتمكن أي شخص أن يقول أن هذا الموقف قد اقتبسه أريوس من المدافعين(١) الذين وفقا للتقاليد نشؤوا من مدارس فلسفية. وكانوا قد اتخذوا موقفا مماثلا عن الحياة الجديدة.. إلا أن موقف «المدافعين» يجد له مبررا بسبب العصر الذي عاشوا فيه والعالم الذي كانوا يتوجهون إليه بالحديث. أما فيما يتعلق بأريوس فإن الموقف يظهر ركود أفكاره التي ولو أنها كانت حادة. إلا أنها خالية من الحركة والعمق.

ساءت الأحوال بعد وفاة قسطنطين الكبير، لأن حاكم الشرق قنسطانطيوس، فرض الآريوسة على المناطق التي كان يحكمها.. أما بعد وفاة أخيه قسطنس عام ٣٥٠ م، فقد فرضها على جميع أنحاء الإمبراطورية.. وسحق هذا الحاكم نشاط معارضيه ومقاوميه وانشغل بإحلال أساقفة أريوسيين بدلا من الأساقفة الأولين في أهم مراكز الشرق وبعض جهات الغرب.

وبعد وفاة قنسطانطيوس أنهار فجأة بناء الأريوسيين الشامخ. لأن يوليانوس الذي كان يدين بالعقيدة الوثنية عامل جميع المذاهب المسيحية معاملة متساوية. وعندئذ عاد المنفيون إلى أماكنهم. وبدأ التأليه في إعادة تنظيم شمله.

## ٤-٣-تعليم آريوس: رؤية تفصيلية

إن معظم الكتابات الباقية عن الآريوسة اليوم لم تكتب من قبل آريوسيين، لذلك فإن تحديد مفهوم «الله الآب» كما نادى به آريوس في القرن الرابع لا يمكن تحديده بدقة. هناك رسالة تعتبر هامة في هذا المجال وجهها آريوس بنفسه إلى الأسقف يوسابيوس النيقوميدي

---

(١) هم معلمى الكنيسة الذين قاموا بالدفاع عن المسيحية والمسيحيين أمام الأباطرة الوثنيين. وأمام الفلسفات الوثنية المعاصرة وأحيانا ضد الهجمات اليهودية. خلال القرنين الثاني والثالث، ومن أشهر المدافعين يوستيتوس. وتاتيان واتيناغوراس وأوريجانوس.

الذي يشاطره إيمانه، وتعتبر شرحًا وافيًا للعقيدة، (تشرين الثاني ٢٠١٠) هناك أيضًا كتابات لأحد أساقفة ميلانو الآريوسيين في القرن الرابع يوضح أن معتقدات المذهب. بشكل عام يمكن تحديد نقاط الخلاف بين المسيحية الرسمية وآريوس والتي أدت في النهاية إلى وصمه بالهرطقة باعتباره الأزلية للآب وحده، واعتبار الابن والروح القدس خاضعين للآب ومن غير جوهره، رغم أنه قبل في مرحلة لاحقة بعبارة «شبيهين بجوهره» وكذلك قبل في مرحلة لاحقة مفهوم «موجود مع الآب قبل كل الدهور». الآريوسة تؤمن أن الابن والروح القدس أنصاف آلهة مقابل الآب وهو الإله الكامل المطلق، غير أنها تؤمن بأنه عن طريق الابن خلق العالم وعمِل الآب. (عون، ١٩٩٦ صفحة ٧)

يقول آريوس في رسالته الموجزة إلى يوسابيوس النيقوميدي:

**«إن منهم من يقول أن الابن هو تجشؤ الله، والبعض الآخر أنه إنتاج الله، والبعض الآخر أنه أبدي أيضًا، وهذا هو ما لا نستطيع قبوله أو الاستماع عليه. على الرغم من أنه قد حكمنا بالهرطقة وقتل منا الآلاف، لكننا نقول ونعتقد، كما تعلم وتعلّم، أن الابن ليس أبديًا ولا في أي شكل من الأشكال، بل هو جزء من الأبدي. فالله كامل ووحيد وثابت. إننا مضطهدون لأننا نقول أن للابن بداية لكن الآب هو البداية»** (*Petrers, 1991 p. 41*)

## ٤-٣-أ-الثالوث الأقدس لدى آريوس

الثالوث الآريوسي مخلوق وغير متساو بالجوهر ولذلك حكم على الآريوسة بالهرطقة والمروق في مجمع نيقية سنة ٣٢٥هـ.

فقد اعتبر آريوس أن الآب والابن والروح القدس يشكلون ثلاثة أقانيم متباينة فيما بينها، حيث الروح القدس يخضع للابن الذي بدوره يخضع للآب. (*Wycliff, 1925* صفحة ١٤٩). وعلى الرغم من أن الأقانيم الثلاثة تشترك في الطبيعة الإلهية غير أن هذه الطبيعة متباينة في جوهرها. إن مفهوم الآريوسة يرتكز على نظرية المرؤوسية، فهو يقول إن الكلمة والابن ينبثقان من الآب ويقبلان منه كيانهما، إذ يعطي ذاته لهما، إنما بدءًا لم يكن أصل لهما وبالتالي

يظلان بصورة ما مرؤسين، فهم وإن كانوا آلهة لا يمتلكون الكيان الإلهي المطلق الفريد ( Miller, 2010 صفحة ٢٤). فبحسب آريوس إن الآب ذو جوهر متعالي وأرفع من الابن الذي بالرغم من كونه إلهًا يبقى في درجة أقل منه في السلطة والمجد (عون، ١٩٩٦ صفحة ٨)

### ٤-٣-ب- أزلية الآب وحده

حسب العقيدة الآريوسة، فإنه لو كان الابن أزليًا، فإن هذا سيقود حكمًا لاعتباره كما الآب مبدأً وأساسًا لكل مخلوق، وبما أن العقل لا يمكن أن يقر بمبدأين وأساسين فالابن إذًا بالرغم من أنه موجود قبل كل الخليقة وقبل كل الأزمنة، إلاأنه يرتبط بالآب الذي كان قبله وأخذ منه كيانه؛ هذا يعني أن الابن لم يكن موجودًا في وقت من الأوقات، أي أنه والروح القدس لا يشتركان مع الآب في صفة الأزلية. (بيشوي، ٢٠١٠)

### ٤-٣-ت-الابن الخليق وجوهره

حسب العقيدة الآريوسة فإنه لو كان الابن أزليًا فإن هذا سيقود لاعتباره كما الآب مبدأً وأساسًا لكل مخلوق، وبما أن العقل لا يمكن أن يقر بمبدأين وأساسين فالابن إذًا بالرغم من أنه موجود قبل الخليقة وقبل الأزمنة، إلا أنه يرتبط بالآب الذي كان قبله وأخذ منه الابن كيانه. هذا يعني ابن الابن لم يكن موجودًا والروح القدس في وقت من الأوقات، أي أن الأقنومان الثاني والثالث لا يشتركان مع الأقنوم الأول في الصفة الأزلية.

رفضت الآريوسة أيضًا القول بأن الابن من الآب، أي أنه من طبيعة الآب وعندما قبل آريوس في مرحلة لاحقة بالمصطلح الذي حدده مجمع نيقية: مولود من الآب، **إثر محاولات قسطنطين الأول توحيد الكنيسة**، فإنه حافظ على مبدأ الخلق أي أنه لم يقبل المصطلح وفق الجوهر الذي أرساه مجمع نيقية. فالابن «ولد» بمعنى «خلق» من الآب مباشرة أما سائر المخلوقات الأخرى فقد خلقت بالابن وبإرادة الآب.

حسب القديس آريوس فإنه لو كان الابن مخلوقًا ولو كانت الطبيعة الإلهية غير قابلة للتغير والفساد فإن منح الآب جوهره أو جزءًا منه للابن سيؤدي إلى انقسام الطبيعة الإلهية الغير منقسمة أصلاً، لذلك فقد رفض آريوس وأتباعه مبدأ «الجوهر الواحد».

وإن أشار إلى صفة الولادة مجمع نيقية فهي لا تأتي كما أرادها المجمع بمعنى الخلق، فقانون الإيمان النيقاوي ينص على: مولود **غير مخلوق**[١] أي انّ صفة الولادة استخدمت، من خطب البابا الاكسندروس حفاظًا على جوهر الابن الإلهي. فمن المعروف أنه بالولادة يكون المولد من جوهر والده أي أصله، وبالتالي فإن استخدام مصطلح: مولود من الآب قبل كل الدهور كما جاء في قانون الإيمان النيقاوي لا يشير إلى الخلق بل إلى أن الآب والابن من جوهر إلهي واحد، ما دعي في اليونانية: **هومسيوس** بمعنى أن الابن من ذات جوهر الآب. اقترح آريوس أن يضاف حرف إلى مصطلح **هوميسوس** بحيث يصبح معناها محورًا من ذات جوهر إلى شبيه جوهر.

ملخص تعليم آريوس حول الابن الكلمة، هو كما يوضحه الأب الباحث ميشال عون: «إن الكلمة موجود بفعل إرادي من الآب، ولكونه مخلوقًا فهو بطبيعة قابلة للتغير جسدًا ونفسًا، إنه دون شك أدنى من الآب، ولكنه أقدس جميع الخلائق، إذ لا يمكن أن يخلق كائن أعلى منه. جواب مجمع نيقية جاء حازمًا: الابن والروح القدس أزليان ومن ذات جوهر الآب. عمومًا فإن النقاد واللاهوتيين المعاصرين يأخذون على آريوس عدم تطرقه لموضوع ألوهة الروح القدس. فحتى الشواهد التي ركن إليها آريوس تستند إلى الابن من دون التطرق لموضوع الروح القدس» (عون، ١٩٩٦ صفحة ١٠).

سوى ذلك فإن الآريوسة فسرت مصطلح «ابن الله» الذي يزخر به العهد الجديد بطريقة مغايرة للطريقة المتبعة لدى سائر الطوائف، فالطوائف المسيحية عمومًا تشير إلى أن مصطلح «ابن الله» هو إشارة إلى كون يسوع وهو «الابن المتجسد» و «الكلمة التي أخذت جسدًا» من ذات جوهر الآب، ولا يشير المعتقد المسيحي إلى أنه «ابن» أو «الابن» بالمعنى البشري المتعارف عليه. أما آريوس فقد وجد أن البنوة لله كما وردت في العهد الجديد ليست إلا تبنيًا: الآب تبنى الابن منذ خلقه وفكرة التبني هذه استوحاها آريوس من القديس بولس السمساطي.

---

(١) نظر، كتاب أحمد طه، قانون الإيمان المسيحي: دراسة نقدية، أمتي للنشر الإلكتروني، ٢٠١٣.

ومن الباحثين من يرى أن آريوس قد استلهم تفسيره للابن من فلسفة فيلو اليهودي الأفلاطونية، يقول ج. ويلتر:» هذا وقد تأثر آريوس رغم كل شيء بلوغوس فيلون اليهودي، حين أعلن: « حين أراد الله أن يخلقنا، صنع أولا كائنا سماه كلمة -لوغوس- وحكمة وابنا، لكي يخلقنا بواسطته. هنالك إذا حكمتان: إحداهما هي حكمة الله الخاصة له وهي توجد معه، أما الابن فقد صنع في هذه الحكمة، لأنه من نوعها فهو يدعي حكمو وكلمة، ولكن هذه الأقانيم جواهر متمايزة ومنفصلة، وأكثر من ذلك مختلفة من حيث طبيعتها» (ويلتر، ٢٠٠٧ صفحة ٧٩).

على الرغم من ذلك فإن **اعتبار الآريوسة مسيحية لا ثالوثية ذات عقيدة شبيهة بصيغة التوحيد في الإسلام تبدو غير دقيقة**،-وسنبين أسباب ذلك في ردنا على المهندس فاضل سليمان. ذلك **لأن الآريوسة اعترفت بألوهة المسيح وإن يكن هذا اللاهوت مكتسبًا وليس أصلاً فيه.**

يقول الأنبا بيشوي «اعتبر -أي آريوس- أن اللوغوس الكلمة[1]، يقصد بها يسوع

---

(١) يقول القس الألماني ابراهام ارنولد «منذ وقت المدافعين اليونانيين، أصبح مفهوم اللوغوس كلمة الله متداولا في الفكر المسيحي. فهو فكر الله وإعلانه. وليس من قيل الصدفة أن يذكر يوستينيانوس اللغوس في هذه النصوص وارتباطه مع الفلسفة الشعبية اليونانية ومع هيراقليطس وأيضا سقراط ومع الشعراء اليونانيين بل والمفكرين بصفة عامة. إن فكرة اللوغوس المنتشرة في كل مكان تظهر هنا بالفعل عند فيلو ومشابهة لبعض الأفكار لدى بلاتو.

لقد أصر المدافعون الأوائل على أن اللوغوس قد أظهر بالكامل في المسيح فقط، وبالرغم من ذلك فإن فكرتهم عن اللوغوس قد تشكلت في وضع الايمان المسيحي **إلى جانب الفلسفة اليونانية**، هذا التطور الذي أوضحناه من قبل حتى يساعد القارئ **على تمييز المرحلة الانتقالية من المسيحية البدائية إلى اللاهوت الحديث للكنيسة المؤسسة**. وبالنسبة لمسيحي آسيا الصغرى، يظهر اللوغوس والروح مثل يدي الخالق وواهب الناموس الذي أصبح فاديا. ومع ذلك يظل الله ابعد وأعلى من كل تشبيه. فهو الذي من خلال اللوغوس يحتضن العالم. وقد انبثق اللوغوس من الله لخلق العالم. هكذا رأى يوستيانوس تقريبا على أنه الها آخر. وفي يسوع اصبح اللوغوس انسانا ظهر في الجسد وأتي يسوع الى التاريخ بالخلاص وبالخليقة الجديدة وهكذا محا تاريخ الخطية....» (إبراهارد، ٢٠٠٠ الصفحات ١٥٢-١٥٣).

إلـه، ولكنه إله مخلـوق وليس من جوهـر الآب. وإنه كائن وسـيط بيـن الله الإلـه الحقيقى الآب وبين العالم المخلوق، لأنه لا يليـق أن يتصل الله بالخليقة، وأنه أسـمى من أن تكون له علاقـة مباشـرة بالخليقة. فكيـف يخلق الله العالـم أو المـادة وهو منزه عن هـذا؟ لذلك استخدم اللوغوس -وهو كائن أقل وأدنى من الله- كأداة لخلق العالم. وبهذا فلسف عبارة «كل شـيء به كان»يوحنـا ١ : ٣. وقال أن هـذا الكائن الوسـيط والأدنى لا يمكـن أن يكون مساو لله في الجوهر والأزلية. (بيشوي، ٢٠١٠).

## ٤-٤-نصوص آريوس

قدو القديس آريوس المسيح كإله ثانوي مخلوق. لكن في مجمع نيقية تم الحكم عليه بالحرمان والهرطقة.

وفي هذه النقطة سـأنقل لك أخـي القارئ نصوص آريـوس كما وصلتنا مـن مؤلفات مخالفيه مع شيء من المعلومات عنه، مما لم نذكرها في ترجمته -سابقا- والتي قد توضح لنا سبب كتاب كل نص.

سـيم آريـوس قسّـا فـي الإسـكندريةحوالي عـام ٣١٠م أو ٣١١ميلاديـة (لوريمـر، ١٩٨٨، الجـزء الثالث، الصفحـة ٣٩)، وأوكلت إليه مسـؤلية كنيسـة بوكاليـس *Baucalis* *Phiostorgius, 2007*. سـيم للشموسـيَّة بيد البابا بطرس البطريرك ١٧ وقُطـع آريوس من الشركة في عهد البابا بطرس أيضاً بسـبب إتخاذه جانب ميليتيوس أسقُف ليكوبوليسأسيوط حالياً الذي أنكر الإيمـان في عهد دقلديانـوس، وحينما قُبلت توبة مُنكري الإيمان إستُعيد آريوس للشَّركة سنة ٣١٣م وسيم قسّـاً بيد البابا أرخيلاوسالبطريرك ١٨. بدأ سنة ٣١٨م في نقد التعليم الخريسـتولوجي للبطريرك ألكسـندروس الأوَّل -بطريرك الإسكندريَّة رقم ١٩ آنذاك- الذي من المُرجح أن يكون قد أوكل له الخدمة في كنيسة ضاحية *Baucalis*. ربطته علاقة وثيقة بيوسابيوس النِّيقوميديّ ويوسـابيوس القيصريّ المؤرِّخ الكنسيّ، ودارت بينهم مُراسـلات عديدة كان آريوس يشـكو فيها مما سـمَّاه «إضطهاد البابا الاكسـندروس»، منها الخطاب التَّالي إلى يوسابيوس النِّيقوميديّ:

## ٤-٤-أ: رسالة آريوس إلى صديقه اسقف نيقوميديا يوسابيوس

«إلى رجل الله المحبوب بالأكثر، المؤمن المُستقيم *Orthodox* يوسابيوس، من آريوس، المُضطهَد بغير حقّ من الأب ألكسندروس لأجل الحقّ شديد القوّة الذي تُدافع أنت -يا يوسابيوس- عنهُ. لأن أبي آمونيوس ذاهبٌ إلى نيقوميديَّة، بدا لي أنه من المُناسب واللائق أن أُرسل لك تحيّاتي معه، مُتذكّراً المحبَّة الرّاسخة بالفطرة والعاطفة التي لك تجاه الإخوة في الآب ومسيحهِ، لأن الأسقف الأب الاكسندروس يجتاحنا ويضطهدنا مُثيراً ضدّنا كل شرّ. يطردنا من كُلّ مدينة وكأنَّنا رجالٌ لا إله لنا، لأجل عدم موافقتنا على قوله: «كان دائماً هناك إله ودائماً هُناك ابن، مُنذ كان الآب كان الابنموجوداً. مع الآب يشترك الابن الإبديّ في الكيان، المولود منذ الأزل، المولود بغير إنجاببغير ألم. لا يسبق الآب الابن كيانيَّاً ولا بلحظة زمن، دائماً الآبكائن ودائماً الابنكائن والابن هو من الآب». لأن يوسابيوس -أخيك في قيصاريَّة- وثيودوتُس وبافلينُس وأثناسيوس[١] وغريغوريوس وآيتيوس -وجميع هؤلاء الذين هُم في الشَّرق، القائلين بأن الله قبل الابن بغير بدء- قد قُطعواحُرموا، ما عدا فيلوجونيس وهلّينيكوس ومكاريوس، وهؤلاء الهراطقة الجهلة الذين قالوا بأن الابن قد تُقُيّئ به، وآخرون قالوا بأن الابن كان فيضاً، وبقى آخرون يقولون بأنَّه كان في شركةٍ وغير مُبتدئ. لسنا نستطيع أن نستمع لهذه الأقوال غير التقيَّة، حتى ولو هددنا الهراطقة بعشرة آلاف موت. وكما نقول ونفتكر وعلّمنا ومازلنا نُعلِّم الآن بأن الكلمة غير أزليّ، وليس جزءاً في أي كيان أزليّ، وأنَّه لا يستمد وجوده بأي طريقة، ولكنَّهُ كان موجوداً بالمشيئة والمشورة قبل الوقت، وقبل الأزمنة، الإله الكاملمُمتلئ بالنعمة[٢]، الابن الوحيد وغير المُتغيّر، وقبل أن يُولد أو يُخلق أو يُشكَّل لم يكُن موجوداً إذ هو غير أزلي. ولكنّنا نُضطهد لأننا نقول بأن الابن مُبتدئ[٣] والله غير مُبتدئ، نُضطهد لأجل هذا ولأجل قولنا

---

(١) شخص غير اثناثيوس الرسولي.

(٢) استخدم الآريوسيين هذا التعبير لوصف المسيح بأنه إله بالنعمة لا بالجوهر.

(٣) له بدء بجسده، وهنا يظهر خلط آريوس بين ما للكلمة بلاهوته وما له في تجسّده في التدبير (بحسب تعبير القدّيس كيرلُّس الإسكندريّ).

أنَّه جاء مـن العدماللا كيان، ولأجـل أنَّه ليس جـزءاً من اللـه ولا من أي كيان أساسـي[١]، لأجل هذا نُضطهد وأمَّا الباقي فأنت تعلمهُ. أُودِّعك في الـرَّب مُتذكِّراً آلامنا، يا صديقي في مدرسة لوكيانوس، يا من أنت كما تُدعى بالحقيقة، «يوسابيوس»[٢].

## ٤-٤-ب- رسالة آريوس إلى البطريرك الاسكندروس

يصـف ثيودوريـت آريـوس أمينـا وحافظـا علـى المخطوطـات والكتـب المقدسـة. *Theodoretus*، ١٨٤٣، *Book* ١، *Chapter* ٥.

لم يكن القديس آريوس فقط أميناً على كُتُب الكنيســة بل أيضاً كان أباً روحيّاً لسـبعين عذراء ناسـكة، وحينمـا بدأ فـي نشـر تعاليمه إستجاب لـه وتبعه حوالـي سـبعمائة عذراء مُكرَّسـة من الكنيسة وسبعة قسـوس وإثنى عشر شماسـاً وبعض الأسـاقفة مثل سيكوندس وبتوليمسـمن أسـاقفة ليبيا. ورُبّما يكون دعم أسـاقفة ليبيا له دليلاً كبيراً علـى أصله الليبي، كما يُشـير الملك قُسـطنطين في خطابه لأريوس -بعـد أن أعطاه الحق في العـودة من منفاه إلى موطنه الأصلي- إلى أن آريوس مُقيم في ليبيا، في جميـع الأحوال حظى آريوس بدعم شـديد في شـمال أفريقيا ومن يوسـابيوس النِّيقوميديّ ويوسـابيوس القيصريّ وبعض كهنة الإسكندريَّة ونُسَّاكها.

يُلخِّـص لورينتـز ( *Hanson* صفحـة ٢١) تعاليم آريـوس -التي نادى بهـا في كنائس الإسكندريَّة- كما يلي:

١. الله لم يكُن دائماً أباً، وفي وقت كان هو الله وليس آب.

٢. الكلمة أو الابن هو خالق صنعه الله من العدم.

٣. يوجد كلمتان*Logoi* وحكمتان*Sophiae* وعدَّة قُوى*Denameis* لله.

---

(١) (*εξ υποκειμενου τινος*) تعبير أرسطوطاليس، راجع هامش فيليب شاف على نفس الرسالة.

(٢) لأن معنى اسمه «التَقي».

٤. الابن مُتغيِّر، لكنَّه ظل ثابتاً بنعمة من الله.

٥. الكلمة غريب وبعيد عن الكيان الإلهي، وهو إله غير حقيقي لأنه جاء إلى الوجود بقصد خُلق تحت الزمن.

٦. معرفة الابن لله غير كاملة، لأن الكيانات المخلوقة لا تقدر أن تعرف خالقها بشكل مُطلق.

٧. معرفة الابن لذاته ناقصة.

٨. الابن خُلق لأجلنا، لكي نُخلق نحن به.

٩. الثَّالوث كائن في ثلاثة أقانيم غير مُتساوية في الجوهر.

يُمكن بوضوح أن نرى كتابات آريوس وأفكاره هي مُجرَّد صدى للفكر الغنوسيّ ولكنَّه مُكتسٍ برداء مسيحي كتابي.

ما يلي هو الخطاب الذي أرسله آريوس للبطريرك آلكساندروس حوالي سنة ٣٢٠م إسترضاءاً كي يعترف بهم في الشركة، ويتضح منه فكر آريوس بخصوص الابن، كما تتجلى فيه أفكاره الغنوسيَّة عن الآيونات والمبادئ التي بها خُلقت الأشياء.

يقول آريوس: «الذي ولد الابن الوحيد قبل الأزمنة الآيونيَّةالأبديَّة، الذي فيه عمل الآيونات وكُلّ شيء[١]، الذي صيَّره لا بالمظهر بل بالحقيقة؛ مُعطياً إيَّاه الكيان *υποστησαντα* بمشيئته الذاتيَّة. غير مُتغيِّر وغير مُتحوِّل، مخلوقٌ الله كاملٌ، ولكنَّه ليس كأي المخلوقات، صائر[٢] ولكنه ليس كأحد الأشياء الصائرة[٣]، صائراً بواسطة الله ليس

(١) باعتباره المبدأ الثَّاني به جاءت كل الأيونات الأُخرى للوجود.

(٢) عبَّر الآريوسيين عن الابن بأنه الصائر وعن الآب بأنه غير الصائر، لينسبوا للابن البداية وللآب الأزليَّة.

(٣) بحسب فكر آريوس اللوغوس هو أقرب أيون للجوهر الإلهي وبالتالي هو الآيون الأكثر كمالًا وأعظم من الأيونات الأخرى ومع ذلك فهو أقل من الآب وليس بواحد معه في الجوهر.

كما كتب فالنتينوس عن كونه نزيفاً منه، ولا كما علَّم ماني أنَّـه جُزء جوهريّ من الآب، ولا كما قال سابيليوس قاسماً الواحد إلى أب ابن[(١)]، ولا كقول هيراكليس أنه كنور من نور[(٢)] أو كمصباح إنقسـم إلى إثنين، ولا كواحد موجود مُسـبّقاً قد جُعل ابناً بالتبنِّي أو الخلق[(٣)]. ولكن كما نُصرّ، خُلق بمشـيئة الله قبل الأزمنة وقبل أن تحيا الآيونـات وأن تكون من الآب بأشكال عديدة من المجد، لأنه أعطاه الكيان بجانبه...» (*bradell, 1990 p. 7*).

## ٤-٤-ت- قصية الثاليا للقديس آريوس

قدم الفكر اللاهوتي لآريوس الابن ككائن غير أزلـي أقل من الله الآب ومنفصل عنه. لم يتجاهل اللاهوت النسطوري إذاً فكرة الثالوث لكنه قلل من مساواة الآب للابن وأعتبره غير أزلي «مولود» مـن الله الآب لذا لا يُشـاركه طبيعته، بـل تقوم بينهما علاقـة «تبنّي، كان هناك آب وابن إذاً.

يقول آريوس في قصيدته «ثاليا» *Thalia* الفقرة ١٦: «**إذاً هناك ثالوث، لكن غير متساوٍ في المجد، كيناتهم ليست مختلطة فيما بينهم**».

نقدم هنـا قصيدة «الثاليـا: ومعناه الوليمة الشـعرية، التـي قدم فيها آريـوس تعليمه عن علاقة الابن بالآب، ومنها نسـتطيع أن نفهم جيدًا تعليمه اللاهوتي: (*ATHNASIUS, 1881* الصفحات ٢٥٩-٢٦٠)

---

(١) اعتبر سـابيليوس الآب والابن والرُّوح القُدُس ظهورات لشـخص واحد، وبالتالي فالآب هو شـخص الابن، من هنا جاء تعبير الأب الابن.

(٢) في هذه الصيغة اسـتخدمها يوسـتين الشَّهيد في حواره مع تريفو (الفصل ٦١ والفصل ١٢٨)، إيريناوس (ضـد الهرطقـات ٤: ٩: ٢)، اكليمندس السَّكندريّ (نُصـح للأمميين ١٠): [صـورة الإله هو كلمته، الإبن الحقيقي الذي من العقل، الكلمة المُقدَّس، النور من النور الحقيقي المُطابق].

(٣) كما قال الآبيونيُّون.

| | |
|---|---|
| Αὐτὸς γοῦν ὁ Θεὸς<br>.καθό ἐστιν، ἄῤῥητος ἅπασινὑπάρχει<br>῎Ισον، οὐδὲ ὅμοιον، οὐχ ὁμόδοξον ἔχει μόνος<br>.οὗτος<br>Ἀγέννητον δὲ αὐτόν φαμεν διὰ τὸν τὴν φύσιν<br>،γεννητόν<br>τοῦτον ἄναρχον ἀνυμνοῦμεν διὰ τὸν ἀρχὴν<br>،ἔχοντα<br>ἀΐδιον δὲ αὐτὸν σέβομεν διὰ τὸν ἐν χρόνῳ<br>.γεγαότα | ١ ... والله نفسه، كما هو، لا<br>يوصف للكل<br>هو وحده ليس له مساو، لا احد<br>يشبهه، ولا لأحد نفس مجده<br>نحن نطلق عليه الأبدي، في<br>مقابل الذي جُبل بطبيعته<br>نحمده فهو بلا بداية في مقابل<br>الذي له بداية<br>نحن نعبده فهو بلا زمن، في<br>مقابل الذي في زمن جاء<br>للوجود |
| ،Ἀρχὴν τὸν Υἱὸν ἔθηκε τῶν γενητῶν ὁ ἄναρχος<br>καὶ ἤνεγκεν εἰς Υἱὸν ἑαυτῷ τόνδε<br>،τεκνοποιήσας<br>῎Ιδιον οὐδὲν ἔχει τοῦ Θεοῦ καθ᾽ ὑπόστασιν<br>·ἰδιότητος<br>οὐδὲ γάρ ἐστιν ἴσος، ἀλλ᾽ οὐδὲ ὁμοούσιος<br>.αὐτῷ | ٦ . هو الذي بلا بداية، صنع<br>الابن كبداية لكل الأشياء<br>المخلوقة<br>أحدثه كابن له بولادته له<br>هو الابن ليس له تلك الصفات<br>المميزة لوجود الله نفسه<br>لأنه ليس مساوي له، ولا هو<br>نفس من نفس وجوده جوهره |
| Σοφὸς δέ ἐστιν ὁ Θεός، ὅτι τῆς σοφίας<br>.διδάσκαλος αὐτός<br>،Ἱκανὴ δὲ ἀπόδειξις، ὅτι ὁ Θεὸς ἀόρατος ἅπασι<br>τοῖς τε διὰ Υἱοῦ καὶ αὐτῷ τῷ Υἱῷ ἀόρατος ὁ<br>.αὐτός | ١٠ . الله هو حكيم، لأنه نفسه<br>معلم الحكمة<br>دليل كافي أن الله غير مرئي<br>للجميع:<br>هو غير مرئي على حد سواء<br>للأشياء التي صنعت بواسطة<br>الابن، وأيضا التي صنعن للابن<br>نفسه |

| | |
|---|---|
| ١٣ . سأقول على وجه التحديد<br>كيف أن غير المرئي هو مرئي<br>بواسطة الابن:<br>عبر هذه القوة التي بواسطة الله<br>قادر على الرؤية، كل منهما<br>وفقًا لمقداره<br>الابن يقدر أن يتحمل رؤية<br>الآب، كما هو مقدر | Ῥητῶς δὲ λέξω، πῶς τῷ Υἱῷ ὁρᾶται ὁ ἀόρατος،<br>Τῇ δυνάμει ᾗ δύναται ὁ Θεὸς ἰδεῖν ἰδίοις τε<br>μέτροις<br>ὑπομένει ὁ Υἱὸς ἰδεῖν τὸν Πατέρα، ὡς θέμις<br>ἐστίν. |
| ١٦ . إذًا هناك ثالوث، لكن غير<br>متساوٍ في المجد<br>كياناتهم جواهرهم ليست<br>مختلطة فيما بينها<br>بقدر أمجادهم، واحد بلا<br>حدود أكثر مجدًا من الآخر<br>الآب في جوهرة مختلف عن<br>الابن، لأنه موجود بلا بداية | Ἤγουν Τριάς ἐστι δόξαις οὐχ ὁμοίαις•<br>ἀνεπίμικτοι ἑαυταῖς εἰσιν αἱ ὑποστάσεις αὐτῶν،<br>μία τῆς μιᾶς ἐνδοξοτέρα δόξαις ἐπ᾽ ἄπειρον.<br>Ξένος τοῦ Υἱοῦ κατ᾽ οὐσίαν ὁ Πατήρ، ὅτι<br>ἄναρχος ὑπάρχει. |
| ٢٠ . أفهموا أن الوحدانية أبديًا<br>كانت، لكن الازدواجية لم تكن<br>قبل أن تأتي لحيز الوجود<br>أنها تعقب هذا مباشرة، بالرغم<br>أن الابن لم يكن، الآب كان لا<br>يزال الله<br>ومن ثم الابن كونه غير ازلي<br>جاء للوجود بإرادة الآب<br>هو الإله الوحيد الذي وُلد،<br>وهو مختلف عن كل الآخرين | Σύνες ὅτι ἡ μονὰς ἦν• ἡ δυὰς δὲ οὐκ ἦν، πρὶν<br>ὑπάρξῃ.<br>Αὐτίκα γοῦν، Υἱοῦ μὴ ὄντος، ὁ Πατὴρ Θεός<br>ἐστι.<br>Λοιπὸν ὁ Υἱὸς οὐκ ὢνὑπῆρξε δὲ θελήσει<br>πατρῴᾳ،<br>μονογενὴς Θεός ἐστι، καὶ ἑκατέρων ἀλλότριος<br>οὗτος. |

| | |
|---|---|
| ٢٤. الحكمة أصبحت حكمة<br>بإرادة الله الحكيم<br>ولهذا يمكن تصوره بطرق لا<br>تحصى. هو روح<br>قوة، حكمة، مجد الله، حق،<br>صورة، وكلمة<br>أفهموا أيضًا أنه يمكن تصوره<br>كشعاع بهاء ونور<br>الواحد الفائق يقدر أن يلد<br>واحدًا مساويًا للابن<br>لكن ليس واحدًا بنفس الأهمية،<br>أو التفوق، أو العظمة<br>بمشيئة الله، الابن له العظمة<br>والصفات التي له للابن<br>وجوده منذ متي ومن أين ومنذ<br>ذلك الحين- كله من الله<br>إنه، على الرغم أنه إله قوي،<br>يسبح جزئيًا الذي يفوقه | Ἡ Σοφία σοφία ὑπῆρξε σοφοῦ Θεοῦ θελήσει.<br>Ἐπινοεῖται γοῦν μυρίαις ὅσαις ἐπινοίαις<br>Πνεῦμα،<br>δύναμις، σοφία، δόξα Θεοῦ، ἀλήθειά τε καὶ<br>εἰκὼν καὶ Λόγος οὗτος.<br>Σύνες، ὅτι καὶ ἀπαύγασμα καὶ φῶς ἐπινοεῖται.<br>Ἴσον μὲν τοῦ Υἱοῦ γεννᾷν δυνατός ἐστιν ὁ<br>κρείττων·<br>διαφορώτερον δὲ، ἢ κρείττονα، ἢ μείζονα، οὐχί.<br>Θεοῦ θελήσει ὁ Υἱὸς ἡλίκος καὶ ὅσος ἐστίν،<br>ἐξ ὅτε καὶ ἀφ᾽ οὗ، καὶ ἀπὸ τότε ἐκ τοῦ Θεοῦ<br>ὑπέστη،<br>ἰσχυρὸς Θεὸς ὢν، τὸν κρείττονα ἐκ μέρους<br>ὑμνεῖ. |
| ٣٣. باختصار، الله لا يمكن<br>التعبير عنه لا ينطق في الابن<br>لأنه هو في نفسه هو ما يكونه،<br>هذا، لا يمكن وصفه<br>لهذا فالابن لا يفهم كل هذه<br>الأمور، أو له الفهم لتفسيرها<br>لأنه من المستحيل عليه يسبر<br>أغوار الآب، الذي هو وحده<br>لأن الابن نفسه لا يعرف حتى<br>جوهر نفسه<br>لكونه ابن، وجوده بالتأكيد عند<br>مشيئة الآب | Συνελόντι εἰπεῖν τῷ Υἱῷ ὁ Θεὸς ἄρρητος<br>ὑπάρχει،<br>ἔστι γὰρ ἑαυτῷ ὅ ἐστι، τοῦτ᾽ ἔστιν ἄλεκτος·<br>ὥστε οὐδὲν τῶν λεγομένων κατά τε κατάληψιν<br>συνίει ἐξειπεῖν ὁ Υἱός.<br>Ἀδύνατα γὰρ αὐτῷ τὸν Πατέρα τε ἐξιχνιάσαι، ὅς<br>ἐστιν ἐφ᾽ ἑαυτοῦ.<br>Αὐτὸς γὰρ ὁ Υἱὸς τὴν ἑαυτοῦ οὐσίαν οὐκ οἶδεν،<br>Υἱὸς γὰρ ὢν، θελήσει Πατρὸς ὑπῆρξεν<br>ἀληθῶς. |

| ٣٩. ما هو المنطق الذي يسمح، للذي من الآب أن يفهم ويعرف أباه؟ لأنه من الجلي، أن الذي له بداية لا يستطيع أن يتصور أو يدرك وجود الذي له ليس بداية | *Τίς γοῦν λόγος συγχωρεῖ τὸν ἐκ Πατρὸς ὄντα ;αὐτὸν τὸν γεννήσαντα γνῶναι ἐν καταλήψει δῆλον γὰρ، ὅτι τὸ ἀρχὴν ἔχον، τὸν ἄναρχον، ὡς ،ἔστιν ἐμπερινοῆσαι ἢ ἐμπεριδράξασθαι، οὐχ οἷόν τέ .ἐστιν* |
|---|---|

من الواضح أنه بالنسبه لآريوس مهما سما الابن اللوجوس -المسيح فوق باقي المخلوقات فهو في النهاية مخلوق من الله ولذلك فله بداية، ووجوده هو وجود إختياري بمشيئة الآب وليس وجودًا حتميًا داخل علاقة ثالوثية. الابن أيضًا ليس من جوهر الآب **لكنه إله، أعظم من الإنسان وأقل من الله، من خلاله وُجدت باقي المخلوقات.**

**هكذا كان إعتقاد آريوس والأريوسيين، لم ينكر آريوس الثالوث كفكرة لكنه أنكر المساواة، ولم يقدم آريوس المسيح كإنسان ونبي بل قدمه كإله لكن أقل من الآب وغير مساوٍ له.**

## ٦- في الرد على فاضل سليمان في كتابه أقباط مسلمون قبل محمد ﷺ

كتب الأستاذ المهندس فاضل سليمان كتابا حول الموحدين المسيحيين وامتداداتهم التاريخية. وسمى الكتاب بـ «أقباط مسلمون قبل محمد ﷺ»[١].

لقد أعجبت كثيرا بهذا الكتاب والتنسيق المنهجي والترتيب الأفكاري لدى صاحبه- المهندس فاضل سليمان- الذي أحبه في الله واقدره، رغم أني لم ألتق به قط. لكني رأيت له برامج كثيرة في قناتي الناس والأزهر الإسلاميتين. كما رأيت له مقابلات ومجادلات دينية وسياسية كثيرة في مواد متنوعة على الشبكة العنكبوتية-الأنترنت-.

---

(١) تقديم وتذييل: د. محمد ﷺ عمارة، شركة النور للإنتاج الإعلامي والتوزيع، ٢٠١٠.

وبالرغم من اعجابي بالكاتب وكتابه، لكني واقف على بعض الإجتهادات التي قدمها الأستاذ فاضل سليمان، التي رأيت فيها تكلفا وخروجا عن المنطق العلمي الذي يجب أن يكون ميالا أكثر -قدر المستطاع- نحو الموضوعية، بعيدا عن أي تحيزات دينية دوغمائية تعمي عن الحقيقة وتبعد الباحث عن المنهجية البحثية.

أقصد بالتحديد بالإجتهادات، موقف الكاتب من المعتقد الاريوسي باعتباره تعبيرا آخر عن **التوحيد بمفهومه الإسلامي! وكون الآريوسيين مسلمين قبل الإسلام باعتباره- الإسلام- تتمت للرسالات والنبوات السابقة ومن بينها الديانة النصرانية التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام!**

نحن نتفهم سبب الذي دعاه إلى ذلك، هو قضية الإمتداد اللاهوتي الذي يتحدث عنه القرآن الكريم. حيث تحدث عن وحدة الرسالة والعقيدة التي جاء بها الأنبياء منذ عهد نوح عليه السلام إلى النبي محمد ﷺ: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ (سورة البقرة:١٣٦) وقال تعالى في آية أخرى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (سورة الشورى:١٣).

فما أوحي لمحمد ﷺ وأمته هو نفسه الذي أوتيه عيسى بن مريم، خصوصا على مستوى اللاهوت، على اعتبار استحالة تغير الله وعالم الغيب. غير أن الأدلة التوحيدية التي ذكرها القرآن باعتبارها دينا لكل الأنبياء ومن بينهم عيسى المسيح لا يوجد لها نظير في لاهوت الفرق والطوائف التي تحدث عنها التاريخ الكنسي. وإن تشابهت بعض الفرق مع العقيدة القرآنية في بعض المسائل العقائدية فإنها تتخالف معه في مسائل أخرى.

اللهم إذا اعتمدنا **نظرية تفرق الحقيقة** بين كل الطوائف المسيحية اعتمادا على المرجعية القرآنية، وهذا محال لأن العقيدة لا تقبل التجزء، على الأقل من منظور قرآني،

قال تعالى(وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) سورة آل عمران:٧٢.

وهو إخبار إنكاري لفعل هؤلاء الملفقين بين الأديان، قال السمعاني-ت٤٨٩هـ- في تفسير هذه الآية: « أَي: أول النَّهَار، وَهَذَا فِي الْيَهُود، قَالُوا: نؤمن بِمُحَمد صلى الله عليه وسلم فِي أول النَّهَار، ثمَّ نكفر بِهِ آخر النَّهَار؛ **حَتَّى يتهمه النَّاس ويقولوا: قد ظهر مِنْهُ شَيْء؛ حَتَّى كفرُوا بِهِ،** وَقيل: إِنَّهُم قَالُوا: نصدقه فِي الْبَعْض، ونكذبه فِي الْبَعْض؛ حَتَّى يَقُول النَّاس: صدقوه فِيمَا كَانَ صَادِقا، وكذبوه فِيمَا كَانَ كَاذِبًا فيستريبون بِحَالِهِ» (السمعاني، ١٩٩٨ صفحة الجزء الأول، الصفحة ٣٣١).

وبناء عليه، فهناك تناقض بين ما ورد في القرآن وما عليه الواقع التاريخي للاهوتي الديانة المسيحية في قرنها الأول، من رفع ووفاة السيد المسيح عليه السلام. وهذا في تصورنا ما حاول المهندس فاضل سليمان تجاوزه عن طريق التدليل على الرؤية القرآنية والبحث لها على شواهد من التاريخ المسيحي. خصوصا وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد أثنى على المسيح جدا وأنه ليس بينه وبينه نبي، **إذن فحبل الوصال بينهما متين جداا ودينهما واحد:** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى **وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» (البخاري، ١٤٢٢هـ صفحة الجزء٤، صفحة١٦٤).

في الواقع لم يكن اختيار الكاتب موفقا، حيث اختار شخصية آريوس وفكره كعلامة على الموحدين المسيحيين، والذي لا نشك في وجودهم، غير أنهم فُقدوا من التاريخ كما فقد إنجيل المسيح الذي كرز به الرسل من الحواريين.

فآريوس كما هو معروف كان من مؤلهي المسيح وكان يعتقد قدمه مع الآب وأنه خالق العالم كما أسلفنا الذكر عنه لكن للمؤلف نظرة أخرى، فهذا ما سنبينه فيما يأتي من نقاط بحث.

## ٥-١-تعاليم آريوس وتحريف المتنتصرين/عبارة الابن المولود لله

تعليم آريوس نقلت من كتبه التي نقلها لنا أعداؤه المؤلهين للمسيح وللثالوث. وينقل الكاتب عن د. هانسون نصا في اتهام اثناسيوس وقال» لن يتورع-أي اثناثيوس- عن إساءة تقديم مقولات آريوس « (سليمان، ٢٠١٠ صفحة ٥٥). ويؤكد الكاتب فرضية هانسون بقوله « حيث إن الخطاب في حوزة خصومه من المثلثة من أمثال اسكندر وأثناسيوس فلا يمكن الوثوق بأن ما فيه لم يخضع للتحريف طبقا لهواهم، بل أنه طبقا لما ورد في الخطاب من كون المسيح مخلوق ولكنه الابن المولود لله وهو التعبير الذي أجمع علماء الإنجيل على أن أول من أضافه هو القديس جيروم مترجم الكتاب المقدس من اليونانية للاتينية عام ٣٩٩م-أي بعد كتابة هذا الخطاب بأكثر من ٨٠سنة- للقضاء على البدعة الأريوسية» (سليمان، ٢٠١٠ صفحة ٥٠).

### ٥-١-أ -تحريف المنتصرين!

وهذا في تصوري مبالغة كبيرة، لأن مقالة آريوس لم تكن محصورة بين فئات قليلة ومحدودة من الناس، حتى يتم تحريفها ثم ينطلي هذا التحريف على جماهير المثقفين ورجال الدين والعامة. بل العكس هو الصحيح فقد كانت مقالات آريوس منتشرة في الآفاق ويرددها معه العديد من الأساقفة والقسس والشعب. يقول القس منسي يوحنا في تاريخه «ولم يرضح أريوس للحكم بل ثابر على الخطابة والوعظ مثبتا تعليمه ومباشرا الخدمة الدينية فاستمال اليه الكثيرين وكون له حزبا ابليسيا...هو والأسقفين المذكورين وشماسين أحدهما يسمى أونريوس، كان عضدا كبيرا لآريوس. فغادر آريوس الاسكندرية قاصدا فلسطين...وبذلك أثر على كثيرين وجمه له عددا من الصدقاء على راسهم أوسابيوس أسقف نيكوميديا الذي كان ذا صولة عظيمة. وأوسابيوس اسقف قيصرية واوسيوس اسقف بيسيديه وبوليوس اسقف صور واغريغوريوس اسقف بيروت وجميعهم سمحوا له بعقد جمعيات دينية في أبروشيات مختلفة ليكثر عدد معتنقي بدعته فضلا عن وجود انصار له كهنة الاسكندرية. قيل انه كان ينشر بدعته بواسطة التلحين لما كان يعلمه

من تأثير الصوت في النفس. فأثبت قطعا مشوبة بسموم هرطقته في كتاب معروف باسم « ثاليا» ووقعها على الالات الموسيقية وعلمها للشعب الذي كان يتغنى بها صباح مساء. وفي وقت وجيز امتلأت بلاد الشرق بمؤلفات مشحونة بهرطقات آريوس وبالتنديد على البطريرك الإسكندرية...»(الشماس القمص، ١٩٢٤، صفحة ١٤٤، بتصرف).

إن أي تحريف أو افتراء على آريوس قد يعرض مكانة اثناسيوس للإهتزاز أمام الشعب وأما كنيسته التي تبجله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهذه الإفتراآت قد تزيد من شعبية آريوس وتمنحه قوة الشهيد المفترى عليه والمظلوم. وهذا ما حصل فعلا، فبعد مجمع نيقية توسع سيط آريوس بل وصار فيما بعد ولأكثر من مئة سنة دين الإمبراطورية الرومانية، بل وتعمد قسطنطين الكبير على الآريوسية قبل وفاته بقليل (ويلتر، ٢٠٠٧ صفحة ٨٥). إضافة إلى أنه من المستبعد جدا أن تتفق كل المصادر الكنسية على الكذب والخداع، فتأمل!

### ٥-١-ب- عبارة الابن المولود لله من اختراع القديس جروم

ينقل الكاتب عن الدكتور بول داف مؤكدا له أن عبارة المولد لله الموجودة في نصوص آريوس المنقولة لنا عن طريق أعدائه. لم تظهر إلا مع القديس جيروم سنة ٣٩٩ ميلادية. وهذا خطأ أيضا.

لأن عبارة المولود لله معروفة قبل هذا التاريخ. فمثلا تم تداولها في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ميلادية وقالوا في الأمانة « ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، **الوحيد المولود لله**، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود، غير مخلوق، واحد مع الآب في الجوهر. ومن خلاله كافة الامور قامت». وهو مصطلح تدوول به في مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ ميلادية، فقالوا في قانون الأمانة «واحد في الرب يسوع المسيح، الابن **الوحيد المولود لله**، مولود والده قبل جميع العالمين، نور من نور، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق».

أما في القديم فمصطلح «المولود لله» ظهر مع القديس جستن مارتن الشهيد[(١)] - ٨٩ميلادية-١٦٨ ميلادية، فقد كان يقول ان «**الله ولد قبل بداية كل المخلوقات، الذي كان سلطانا رشيداً انطلاقا من نفسه... وهو حقا اسفر عن الأب، وكان مع الآب قبل كل المخلوقات، والآب مناجي معه**». هذه المربعات بالضبط مع العقيدة النيقية، الذي يعلن الله الابن «مولود غير مخلوق». جستن يوضح كذلك ان «**هذه السلطة لا تتجزأ، وينفصل عن الأب**»، وان كان الابن «مولوداً من الآب، بقوته وإرادته ولكن ليس من البتر، كما لو ان جوهر الآب وانقسمت»، مما يعني ان الابن مولود من نفس جوهر الآب الذي يملك نفسه - لا تقسم الى اجزاء في اللاهوت، بل السماح لكل شخص الالهيه كامل المشاركة في اللاهوت - وهو بالضبط ما تقام عليها عقيدة الثالوث» (*sta*).

كما تداول القديس أوريجانوس١٨٥ - ٢٥٤ ميلادية هذه العبارة فهو يعلم ان «الله هو آب **لابنه المولود الوحيد** الذي في الحقيقة ولد له، ويستمد منه ما هو، ولكن دون أي البداية» (*sta*).

كما تداولها القديس الأمازيغي ترتليانوس -حوالي ١٦٠ إلى ٢٢٠ ميلادية- كان يقول: « الاب يجعله مساويا لنفسه، والابن، انطلاقا من أنه جعل المسيح **ابنه المولود** الأول، حيث انه قد ولد قبل كل شيء، والمولود الوحيد، لانه وحده المولود من الله، بطريقة غريبة الى نفسه من رحم قلبه، والتي حتى الأب نفسه يعطي الشاهد» (١٤٠٧).

---

(١) جستن الشهيد: وُلد في إحدى مدن السامرة في فلسطين سنة ٨٩م وآمن بالمسيحية سنة ١٣٣م واشتهر في سنة ١٤٠م إلى أن استُشهد سنة ١٦٨. وكتب عدَّة كتب دفاعاً عن المسيحية، منها رسالة للإمبراطور تيطس أنطونيوس بيوس، ورسالة للإمبراطور ماركوس أنطونيوس ولأعضاء مجلس الشيوخ في روما ولسكانها. وله محاورة مع تريفو اليهودي باقية إلى الآن تُظهر تبحّره في فلسفة فيثوغورس وأفلاطون، وأنه رأى أن الأسلم التمسّك بالمسيحية. وتكلم عن الأناجيل الأربعة، وقال إن المسيحيين كانوا يتعبدون بتلاوتها في معابدهم، وتكلم عن رسائل بولس وبطرس ويوحنا وسفر الرؤيا. ولشهادته منزلة رفيعة لأنها شهادة فيلسوف علاّمة. (عبد النور صفحة ٧١)

ويقول سيريل القدس-٣٥٠ ميلادية-: «نعتقد ايضا في ابن الله، الوحيد الأوحد، ربنا يسوع المسيح الذي هو الإله الحق **المولود من الله**، الذي هو الحي المولود من الحي الذي هو النور المولود من النور، الموجود في كل شيء مثل الوالد، والذي لم يأت الى الوجود في وقت ولكن كان قبل كل الدعور، الى الابد وبطريقة مبهمه مولود من الآب. وهو حكمة الله»(*catholic.library*).

## ٥-٢-المسيح ليس الها، كونه أجرى المعجزات!

يدافع الكاتب عن موقفه، ويستمر في التشكيك في ما نقله التاريخ الكنسي من بعض مؤلفات آريوس. وقد قدمنا الجواب عليها.

ثم يؤكد الكاتب باجتهاد تأويلي نظريته قائلا: « ورد في منظومة الوليمة الشعرية *Thialia* المنسوبة لآريوس البيت «**هو الذي ليس له بداية. خلق الابن الذي كان بداية لأشياء مخلوقة**». بفرض ثبوت نسبة المنظومة لآريوس والتي سبق أن ذكرنا تشكك المؤرخين في ذلك لعدم ورودها إلا عن طريق اثناسيوس ألد خصوم آريوس، فلا يزال من الممكن التوفيق بين ذلك المعنى ومدلول الآية الكريمة في سورة آل عمران التي تقضي بأن السيد المسيح قد خلق من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فكان طيرا بإذن الله وكذلك أحيا الموتى بإذن الله وكلها من خصوصيات الله تعالى...» (سليمان، ٢٠١٠ صفحة ٦١).

النص الذي بين يدينا من الثاليا ينص على قوله: «**هو الذي بلا بداية، صنع الابن كبداية لكل الأشياء المخلوقة**» لأن الترجمة التي استخدمها الكاتب لا يفهم منها أي معنى اشكالي حتى عند المثلثة. على التأويل الذي ذكره فهو بداية لبعض الأشياء وليس لكل الأشياء، وهذا صحيح بشهادة القرآن باعتباره مصدرا خارجيا معتمدا، كما هو منصوص عليه في الآية ٤٩ من سورة آل عمران مثلا.

لكن المعنى في الترجمة التي بين أيدينا من الثاليا -يستحسن اخي القارئ مراجعة نصها في ص:٢١٨ من كتابنا-عن اليونانية، فإنها تنص على خلقه لكل الأشياء» صنع الابن

كبداية لكل الأشياء المخلوقة» فدور الابن عند آريوس هو خلق بداية وولادة لكل الأشياء. اللهم إذا كان تمت خطأ في الترجمة وهذا مستبعد للأسباب التالية:

١- يقول آريوس في الثاليا، الفقرة « ١٣ ....**الابن يقدر أن يتحمل رؤية الآب، كما هو مقدر**»، وحسب التعليم الإسلامي فلا أحد يقدر على رؤية الآب، وهذا غير مقدر لأحد في الدنيا حتى يوم القيامة. وقد طلب ذلك موسى من الله فأبى قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٣)، ومحمد صلى الله عليه وسلم صعد إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج فلم ينل هذا الشرف: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُهُ فَقَالَ: «**رَأَيْتُ نورًا**» (ابن حبان، ١٩٨٨، ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ، صفحة الجزء١، صفحة ٢٥٥)، (مسلم، كتاب التوحيد: باب قوله عليه الصلاة والسلام: «نور أنى أراه»، صفحة الجزء١، صفحة ١٦١). اذن الابن ليس بشرا عاديا لكنه اله في صورة بشر والا لما استطاع رؤية الله.

٢- قال آريوس في الفقرة ٢٠ من الثاليا ما نصه عن الابن، « ٢٠ ....**هو الإله الوحيد** الذي وُلد، **وهو مختلف عن كل الآخرين...**»، فطاما هو اله، فهو اله مع الله وهذا محض الشرك بالله، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (سورة النمل:٦٠) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الحجر:٩٦) وقال تعالى أيضا: ﴿لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾ (سورة الإسراء:٢٢).

والألوهة هنا بمعنى الربوبية لا بمعنى السيادة والرفعة والمقام الكريم، كما هو معناها في العهد القديم. لأنه قال بأنه الابن اله مختلف عن الآخرين أي مختلف عن باقي المخلوقات التي هي في الحقيقة مثله.

٣- قال آريوس في نص رسالته الى الإسكندروس: «...أحب-أي الآب-الابن الوحيد **المولود قبل الزمان** ومن خلاله خلق كل المخلوقات، جعله باقيا بمشيئته لا يتغير ولا يتبدل مخلوق كامل خلقه الله ليس كأي مخلوقاته».

فطالما خلق الابن قبل الزمان اذن فهو أزلي، وجعله لا يتغير ولا يتبدل فهو إذن أبدي وهو بذلك خارج عن قانون الحياة الطبيعية، ولا يكون هذا الوصف إلا لإله. وهو معتقد لا يقبله الإسلام. اللهم إن كان يقصد كلمة الله التي بها خلق وهي قوله « كن» فيكون. وهذا مستبعد أيضا لأن الكلمة ليست هي الابن. وإن كان هذا الأخير خلق بها لا منها. مثل سائر المخلوقات. فليتأمل.

## ٥-٣- هل الأريسيين هم الآريوسيون؟

كتب الكاتب تحت عنوان موحي «**سبب استعمال النبي اسم الأريسيين عند خطابه لهرقل بينما سماهم أصحاب عيسى بن مريم عندما تكلم عنهم للصحابة**» (سليمان، ٢٠١٠ صفحة ١١٩).

والواقع ألا علاقة للأريسيين بالآريوسيين، مع اشتراكهم الإثنين في الإضطهاد والقتل للعقيدة، من طرف المثلثة واباطرة الرومان. وسنناقش المؤلف في حديث الأريسيين كما جاء في البخاري كما يلي:

قال البخاري دّثَنَا أَبُو اليَمَانِ الحَكَمُ بنُ نَافِعٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ،

فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لاَ قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى

هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ محمد عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ» و﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابن أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ. وَكَانَ ابن النَّاظُورِ، صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ، سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابن النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا اليَهُودُ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ اليَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ العَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي العِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الفَلاَحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ.

(البخاري، ١٤٢٢هـ صفحة بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، الجزء١، صفحة ٨).

إذا كان معنى الأريسيين «الآريوسيين» المضطهدين كما قال الكاتب فهذا لا يسلم له. لأن الآريوسيين ليسوا موحدين أصلا وإن أنكروا لاهوت المسيح، فقد أنكروا كمال اللاهوت -نوع اللاهوت- لا جنسه كما بينا من قبل. مع أنهم لسوا وحدهم المضطهدين، فمعهم الكثير من طبقات المسيحيين المثلثة من أصحاب القلة والضعف الإجتماعي، وهم في حالة اضطهاد اجتماعي وضرائبي كبير جدا، وقد دخل كبير منهم الإسلام تخلصا من الإضطهاد الروماني لهم وإسقاطا للضرائب الكبيرة المفروضة عليهم من طرف الإمبراطور. كما أن ما يسمون بالموحدين كان قلة جدا جدا زمن النبي ﷺ. والدليل على ذلك حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، **فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**...». (مسلم، باب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، الجزء٤، صفحة ٢١٩٧). **والبقايا: دليل قلة وضعفهم وسط المجتمع.** قال أبوجعفر الطحاوي: «فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يدخل في مقت الله ذلك بقايا من أهل الكتاب **وهم عندنا والله أعلم الذين يقولون نحن على ما بعث به عيسى عليه السلام ممن لم يبدله ولم يدخل فيه ما ليس منه** وبقي على ما تعبده الله عزّ وجلّ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ هذا القول والله نسأله التوفيق»

(الطحاوي، ١٩٩٦ صفحة الجزء٢، صفحة ٣٩٦).

بل وقلتهم هذه آلت إلى زوالهم بالكلية قبل فرض الجهاد قبل البعثة بقليل. وهذا ما نستشفه من قصة إسلام سلمان الفارسي. فكيف للنبي أن يجيش الجيوش لنصرة من ليسوا بموجودين أصلا أو من هم قلة القلة؟؟ إنما هم كما قال العلماء: **الفلاحين والمستضعفين**.

## ٥-٣-أ- إنقراض الموحدين قبل بعثة النبي

لا شك أن الموحدين وهم بقايا أهل الكتاب المتمسكين بالتوحيد الخالص، كما كان عليه عيسى بن مريم والحواريين وبولس السميساطي وغيرهم. لكن قصة إسلام الصحابي سلمان الفارسي تتضمن دلائل قوية على أن عددهم زمن النبي قد بلغ حد الإنقارض، بل صاروا أفرادا معدودين على أصابع اليد الواحدة في كل العالم المسيحي. ولسنا مبالغين في ذلك فقد شهد بذلك الرهبان الذين اقام عندهم سلمان حتى انتهوا إلى آخرهم. والذي أشار على سلمان الإلتحاق بنبي العرب الذي تبشر به الكتب القديمة وهو بشارة النبي عيسى المسيح عليه السلام. وسأنقل لك أخي القارئ نص القصة على طولها لنفهم سياقها الكامل ونستشف منها دلائل من استنتجناه من قبل.

فعن عبد الله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي حديثه من فيه قال: «كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لهاجي وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته، أي ملازم النار كما تحبس الجارية وأجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار التي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يوما، فقال لي: يا بني إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، **فمررت بكنيسة من كنائس النصارى**[١]، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون[٢] وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون. قال: فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فو الله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، قال: ثم

---

(١) كانت العرب الوثنيون يسمون المسيحيين بالنصارى، لأنهم أتباع المسيح الناصري.

(٢) هذا دليل على وجود حرية دينية، لأن الفرس كانوا عبدة النار، وقد أعطوا الديانات الأخرى هامش للحركة شريطة عدم تدخلهم في الديانة الرسمية للإمبراطورية، كما سيأتي.

رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته قال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فو الله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك وأجدادك خير منه، قال: قلت: كلا والله إنه خير من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رجلي **قيدا!!**، ثم حبسني بيته. قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، قال: فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم، فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة[(١)]. قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك، قال: فادخل، فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا، قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدا، **فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة!!**. ثم جاؤا برجل آخر فجعلوه بمكانه قال يقول سلمان: فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا منه، قال: فأحببته حبا لم أحبه من قبله وأقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إني

---

(١) وكان على مذهب مؤلهي المسيح ومقدسي الثالوث، أي على الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، وإلا لما عين أسقفا.

كنت معك، وأحببتك حبا لم أحبه من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني! **والله ما أعلم أحدا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل وهو فلان، فهو على ما كنت عليه فالحق به**. قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره. قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني **والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين وهو فلان، فالحق به**. فلما مات وغيب، لحقت بصاحب نصيبين فجئته، فأخبرته بخبري، وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فو الله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قلت له: يا فلان! إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني! **والله ما نعلم أحدا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية، فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته**، قال: فإنه على أمرنا. قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر، قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي وما تأمرني؟ قال: **أي بني ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجرا إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل**. قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجار، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتموها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني،

فباعوني من رجل من اليهود عبدا فكنت عنده ورأيت النخل، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه واحتملني إلى المدينة، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها. **وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر**، مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فو الله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان! قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي، قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟! أقبل على عملك. قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبت عما قال. وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئا، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قال: وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: تحول، فتحولت، فقصصت عليه حديثي - كما حدثتك يا ابن عباس - قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان! فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها لـه بالفقير، بأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ: « أعينوا أخاكم « فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر. يعني الرجل بقدر ما عنده - حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فاتني أكون أنا أضعها بيدي، ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته، فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي على المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟. قال: فدعيت لـه، فقال: خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان! فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: خذها، فإن الله عزوجل سيؤدي بها عنك، قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه مشهد « (الحاكم، ١٩٩٠، باب ذكر سلمان الفارسي، صفحة الجزء ٣، صفحة ٦٩٢)، (الألباني، ١٩٩٥، صفحة الجزء الثاني، الصفحة ٥٥٧، رقم الحديث: ٨٩٤، قلت: **وهذا إسناد حسن**).

**والظاهر** من قصة الأساقفة الثلاث أنهم لم يكونوا على المعتقد المسيحي الرسمي للدولة البيزنطية، والشاهد منه قول الأخير لسلمان، لعندما طلبه أن يدله على من هو على مذهبه وسيرته فقال لـه: « **أي بني ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه**» فكيف يصدق كلامه والشام كلها كنائس وبيع، بل هي مهد المسيحية في ذلك الزمان؟ والظاهر أن هذين الأساقفة الأربعة كانوا آخر الموحدين المتسترين على ديانتهم خوفا من الإضطهاد، ويدل على ذلك بوضوح رواية الحاكم للقصة حيث نشهد التصريح ببعض معتقداتها وبعض طقوسها، والتي حسب ما يظهر، فهي طائفة تنتمي إلى المسيحيين المتشبثين بتعاليم الناموس اليهودي. وتجنح نحو الخلاص بالأعمال كما عليه بطرس وباقي الحواريين.

وفي هـذه الرواية نلحظ إشـارة زمنية لزمـن انقضاء أسـاقفة التوحيد، وذلـك قبل بعثة النبي محمد ﷺ بقليل لأن موت آخر أسـاقفة التوحيد كان قبل مجيئ سـلمان إلى يثرب- المدينة المنورة-. وبعدها بقليل حصلت البعثة النبوية في مكة ودامت ١٣ سنة. إذن فموت آخر موحد كان على الأقل قبل البعثة بـحوالي ١٥ أو ١٦ سنة.

ونـرى مـن المفيـد سـرد روايـة الحاكـم -علـى طولهـا - والتعليـق عليهـا لتضمنها معلومات مهمـة وجديدة عن طبيعـة اللاهوت والليتورجيـا الخاصة لدى هـؤلاء البقايا من الأسـاقفة الموحدين الذين اتصل بهم سـلمان الفارسـي وحفظ لنا آخر مآثرهـم قبيل البعثة النبوية بحوالي ١٦ سنة.

**نص الرواية عند الحاكم:**

أخرج الحاكـم في مسـتدركه (الحاكـم، ١٩٩٠، باب ذكر سـلمان الفارسـي، صفحة الجزء ٣، صفحة ٦٩٢)، عَنْ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ، أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ كَانَا صَدِيقَيْنِ لِزَيْدِ بْنِ صُوحَانَ أَتَيَـاهُ لِيُكَلِّمَ لَهُمَا سَـلْمَانَ أَنْ يُحَدِّثَهُمَا حَدِيثَهُ كَيْفَ كَانَ إِسْـلَامُهُ فَأَقْبَلَا مَعَهُ حَتَّى لَقُوا سَـلْمَانَ، وَهُوَ بِالْمَدَائِنِ أَمِيـرًا عَلَيْهَا، وَإِذَا هُوَ عَلَى كُرْسِـيٍّ قَاعِدٍ، وَإِذَا خُـوصٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُسَـفِّهُ، قَالَا: فَسَـلَّمْنَا وَقَعَدْنَا، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ هَذَيْنِ لِـي صَدِيقَانِ وَلَهُمَا أَخٌ، وَقَدْ أَحَبَّا أَنْ يَسْمَعَا حَدِيثَكَ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ إِسْـلَامِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ سَلْمَانُ: كُنْتُ يَتِيمًا مِنْ رَامَ هُرْمُزَ، وَكَانَ ابن دِهْقَانَ رَامَ هُرْمُزَ يَخْتَلِفُ إِلَى مُعَلِّمٍ يُعَلِّمُهُ، فَلَزِمْتُهُ لِأَكُونَ فِي كَنَفِهِ، وَكَانَ لِي أَخٌ أَكْبَرَ مِنِّي وَكَانَ مُسْـتَغْنِيًا بِنَفْسِـهِ، وَكُنْتُ غُلَامًا قَصِيرًا، وَكَانَ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِـهِ تَفَرَّقَ مَنْ يُحَفِّظُهُـمْ، فَإِذَا تَفَرَّقُـوا خَرَجَ فَيَضَـعُ بِثَوْبِهِ، ثُمَّ صَعِـدَ الْجَبَـلَ، وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِـكَ غَيْرَ مَرَّةٍ مُتَنَكِّرًا، قَـالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّـكَ تَفْعَلُ كَـذَا وَكَذَا، فَلِـمَ لَا تَذْهَبُ بِـي مَعَكَ؟ قَالَ: أَنْـتَ غُلَامٌ، وَأَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ شَيْءٌ، قَالَ: قُلْتُ: لَا تَخَفْ، قَالَ: فَإِنَّ فِي هَذَا الْجَبَلِ قَوْمًا فِي بِرْطِيلِهِمْ لَهُمْ عِبَادَةٌ، وَلَهُـمْ صَلَاحٌ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ تَعَالَى، وَيَذْكُرُونَ الْآخِـرَةَ، وَيَزْعُمُونَنَا عَبَـدَةَ النِّيرَانِ، وَعَبَدَةَ الْأَوْثَانِ، وَأَنَا عَلَى دِينِهِمْ، قَالَ: قُلْتُ فَاذْهَبْ بِي مَعَكَ إِلَيْهِـمْ، قَالَ: لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَسْتَأْمِرُهُمْ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ شَيْءٌ، فَيَعْلَمُ أَبِي فَيُقْتَلُ الْقَوْمَ فَيَكُونُ هَلَاكُهُمْ عَلَى

يَدِي[١]، قَالَ: قُلْتُ: لَنْ يَظْهَرَ مِنِّي ذَلِكَ، فَاسْتَأْمِرْهُمْ، فَأَتَاهُمْ، فَقَالَ: غُلامٌ عِنْدِي يَتِيمٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَأْتِيَكُمْ وَيَسْمَعَ كَلامَكُمْ، قَالُوا: إِنْ كُنْتَ تَثِقُ بِهِ، قَالَ: أَرْجُو أَنْ لا يَجِيءَ مِنْهُ إِلَّا مَا أُحِبُّ، قَالُوا: فَجِيءَ بِهِ، فَقَالَ لِي: لَقَدِ اسْتَأْذَنْتُ فِي أَنْ تَجِيءَ مَعِي، فَإِذَا كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي رَأَيْتَنِي أَخْرَجُ فِيهَا فَأْتِنِي، وَلا يَعْلَمُ بِكَ أَحَدٌ، فَإِنَّ أَبِي إِنْ عَلِمَ بِهِمْ قَتَلَهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي يَخْرُجُ تَبِعْتُهُ فَصَعِدْنَا الْجَبَلَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ فِي بِرْطِيلِهِمْ[٢] قَالَ عَلِيٌّ: وَأُرَاهُ، قَالَ: وَهُمْ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ[٣]، قَالَ:، وَكَأَنَّ الرُّوحَ قَدْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِبَادَةِ يَصُومُونَ النَّهَارَ، وَيَقُومُونَ اللَّيْلَ، وَيَأْكُلُونَ عِنْدَ السَّحَرِ[٤]، مَا وَجَدُوا، فَقَعَدْنَا إِلَيْهِمْ، فَأَثْنَى الدِّهْقَانُ عَلَى خَبْرٍ، فَتَكَلَّمُوا، فَحَمِدُوا اللَّهَ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، وَذَكَرُوا مَنْ مَضَى مِنَ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ حَتَّى خَلَصُوا إِلَى ذِكْرِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، فَقَالُوا: **بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ رَسُولًا** وَسَخَّرَ لَهُ مَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَخَلْقِ الطَّيْرِ، وَإِبْرَاءِ الأَكْمَهِ، وَالأَبْرَصِ، وَالأَعْمَى، فَكَفَرَ بِهِ قَوْمٌ وَتَبِعَهُ قَوْمٌ، **وَإِنَّمَا كَانَ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ ابْتَلَى بِهِ خَلْقَهُ**، قَالَ: وَقَالُوا قَبْلَ ذَلِكَ: يَا غُلامُ، إِنَّ لَكَ لَرَبًّا، وَإِنَّ لَكَ مَعَادًا، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةً وَنَارًا، إِلَيْهِمَا تَصِيرُونَ، وَإِنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ النِّيرَانَ أَهْلُ كُفْرٍ وَضَلالَةٍ لا يَرْضَى اللَّهُ مَا يَصْنَعُونَ وَلَيْسُوا عَلَى دِينٍ، فَلَمَّا حَضَرَتِ السَّاعَةُ الَّتِي يَنْصَرِفُ فِيهَا الْغُلامُ انْصَرَفَ وَانْصَرَفْتُ مَعَهُ، ثُمَّ غَدَوْنَا

---

(١) الظاهر انهم يعيشون نوعا من حرية العبادة، لكنهم يتجنبون الاختلاط بالوثنيين عبادة النار، وأيضا مخافة اثارة الأنظار اليهم فيطردوا من بلاد الفرس التي آوتهم من الاضطهاد في بلادهم البيزنطية المسيحية.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب» البِرْطِيل: حَجَر أَو حَدِيد طَوِيلٌ صُلْب خِلْقة لَيْسَ مِمَّا يُطَوِّله النَّاسُ وَلَا يُحَدِّدونه تُنْقَرُ بِهِ الرَّحى وَقَدْ يُشَبَّهُ بِهِ خَطْم النَّجِيبة، وَالْجَمْعُ بَرَاطِيل» (ابن منظور، ١٤١٤هـ صفحة الجزء١١، صفحة٥١، فيل الباء الموحدة). والمقصود هنا المكان الذين يتعبدون فيه بعيدا عن المجتمع الوثني وهو على شكل حجر البرطيل، طويل الشكل ومجوف من صم.

(٣) عدد قليل جداا. فتأمل

(٤) لعل هذه الطائفة من موحدي النصارى تعتقد الخلاص باتباع الناموس وتطبيق الشريعة والأعمال الصالحة. مثل اليهود الذين قبلوا المسيح كمخلص لبني إسرائيل.

إِلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ وَأَحْسَنَ، وَلَزِمْتُهُمْ فَقَالُوا لِي يَا سَلْمَانُ: إِنَّكَ غُلَامٌ، وَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصْنَعَ كَمَا نَصْنَعُ فَصَلِّ وَنَمْ وَكُلْ وَاشْرَبْ، قَالَ: فَاطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى صَنِيعِ ابنهِ فَرَكِبَ فِي الْخَيْلِ حَتَّى أَتَاهُمْ فِي بِرْطِيلِهِمْ، فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، قَدْ جَاوَرْتُمُونِي فَأَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَلَمْ تَرَوْا مِنِّي سُوءًا فَعَمَدْتُمْ إِلَى ابني فَأَفْسَدْتُمُوهُ عَلَيَّ قَدْ أَجَّلْتُكُمْ ثَلَاثًا، فَإِنْ قَدَرْتُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ أَحْرَقْتُ عَلَيْكُمْ بِرْطِيلَكُمْ هَذَا، فَالْحَقُوا بِبِلَادِكُمْ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنِّي إِلَيْكُمْ سُوءٌ، قَالُوا: نَعَمْ، مَا تَعَمَّدْنَا مُسَاءَتَكَ، وَلَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، فَكَفَّ ابنهُ عَنْ إِتْيَانِهِمْ. فَقُلْتُ لَهُ: اتَّقِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الدِّينَ دِينُ اللَّهِ، وَأَنَّ أَبَاكَ وَنَحْنُ عَلَى غَيْرِ دَيْنٍ إِنَّمَا هُمْ عَبَدَةُ النَّارِ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَلَا تبعْ آخِرَتَكَ بِدَيْنِ غَيْرِكَ، قَالَ: يَا سَلْمَانُ، هُوَ كَمَا تَقُولُ: وَإِنَّمَا أَتَخَلَّفُ عَنِ الْقَوْمِ بَغْيًا عَلَيْهِمْ إِنْ تَبِعْتُ الْقَوْمَ طَلَبَنِي أَبِي فِي الْجَبَلِ وَقَدْ خَرَجَ فِي إِتْيَانِي إِيَّاهُمْ حَتَّى طَرَدَهُمْ، وَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ فِي أَيْدِيهِمْ فَأَتَيْتُهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَرَادُوا أَنْ يَرْتَحِلُوا فِيهِ، فَقَالُوا: يَا سَلْمَانُ: قَدْ كُنَّا نَحْذَرُ مَكَانَ مَا رَأَيْتَ فَاتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ مَا أَوْصَيْنَاكَ بِهِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ عَبَدَةُ النِّيرَانِ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا يَذْكُرُونَهُ، فَلَا يَخْدَعَنَّكَ أَحَدٌ عَنْ دِينِكَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِمُفَارِقِكُمْ، قَالُوا: «أَنْتَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ مَعَنَا **نَحْنُ نَصُومُ النَّهَارَ، وَنَقُومُ اللَّيْلَ وَنَأْكُلُ عِنْدَ السَّحَرِ** مَا أَصَبْنَا وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أُفَارِقُكُمْ، قَالُوا: «أَنْتَ أَعْلَمُ وَقَدْ أَعْلَمْنَاكَ حَالَنَا، فَإِذَا أَتَيْتَ خُذْ مِقْدَارَ حِمْلٍ يَكُونُ مَعَكَ شَيْءٌ تَأْكُلُهُ، فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ مَا نَسْتَطِيعُ بِحَقٍّ» قَالَ: فَفَعَلْتُ وَلَقِينَا أَخِي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَيْتُهُمْ يَمْشُونَ وَأَمْشِي مَعَهُمْ فَرَزَقَ اللَّهُ السَّلَامَةَ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَوْصِلَ فَأَتَيْنَا بِيعَةً بِالْمَوْصِلِ، فَلَمَّا دَخَلُوا احْتَفُّوا بِهِمْ وَقَالُوا: أَيْنَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا فِي بِلَادٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا عَبَدَةُ النِّيرَانِ، **وَكُنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ فَطَرَدُونَا**، فَقَالُوا: مَا هَذَا الْغُلَامُ؟ فَطَفِقُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ، وَقَالُوا: صَحِبَنَا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ فَلَمْ نَرَ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَ سَلْمَانُ فَوَاللَّهِ: إِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ كَهْفِ جَبَلٍ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ فَحَفُّوا بِهِ وَعَظَّمُوهُ أَصْحَابِي الَّذِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ وَأَحْدَقُوا بِهِ[1]، فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْغُلَامُ مَعَكُمْ؟ فَأَثْنَوْا عَلَيَّ خَيْرًا وَأَخْبَرُوهُ بِإِتِّبَاعِي

---

(١) -لأنه كان أسقف الجماعة وعالمها وواعظها.

إِيَّاهُمْ، وَلَمْ أَرَ مِثْلَ إِعْظَامِهِمْ إِيَّاهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ أَرْسَلَ مِنْ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَمَا لَقُوا، وَمَا صَنَعَ بِهِ وَذَكَرَ: **مَوْلِدَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ وُلِدَ بِغَيْرِ ذَكَرٍ فَبَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولًا**، وَأَحْيَا عَلَى يَدَيْهِ الْمَوْتَى، وَأَنَّهُ يَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ[1] وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الإنجيل وَعَلَّمَهُ التَّوْرَاةَ، **وَبَعَثَهُ رَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَفَرَ بِهِ قَوْمٌ وَآمَنَ بِهِ قَوْمٌ**، وَذَكَرَ بَعْضَ مَا لَقِيَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ، **وَأَنهُ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ** فَشَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وحَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَعِظُهُمْ وَيَقُولُ: اتَّقُوا اللَّهَ وَالْزَمُوا مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَا تُخَالِفُوا فَيُخَالِفُ بِكُمْ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ هَذَا شَيْئًا، فَلْيَأْخُذْ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقُومُ فَيَأْخُذُ الْجَرَّةَ مِنَ الْمَاءِ وَالطَّعَامِ فَقَامَ أَصْحَابِي الَّذِينَ جِئْتُ مَعَهُمْ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَعَظَّمُوهُ وَقَالَ لَهُمْ: الْزَمُوا هَذَا الدِّينَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَفَرَّقُوا وَاسْتَوْصُوا بِهَذَا الْغُلَامِ خَيْرًا، وَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ هَذَا دَيْنُ اللَّهِ الَّذِي تَسْمَعُنِي أَقُولُهُ وَمَا سِوَاهُ الْكُفْرُ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِمُفَارِقُكَ، قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ مَعِي إِنِّي لَا أَخْرُجُ مِنْ كَهْفِي هَذَا إِلَّا كُلَّ يَوْمِ أَحَدٍ[2]، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى الْكَيْنُونَةِ مَعِي، قَالَ: وَأَقْبَلَ عَلى أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: يَا غُلَامُ، إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِمُفَارِقُكَ، قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ هَذَا غُلَامٌ وَيُخَافُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: أَنْتَ أَعْلَمُ، قُلْتُ: فَإِنِّي لَا أُفَارِقُكَ، فَبَكَى أَصْحَابِي الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ عِنْدَ فُرَاقِهِمْ إِيَّايَ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، خُذْ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ مَا تَرَى أَنَّهُ يَكْفِيكَ إِلَى الْأَحَدِ الْآخَرِ، وَخُذْ مِنَ الْمَاءِ مَا تَكْتَفِي بِهِ، فَفَعَلْتُ فَمَا رَأَيْتُهُ نَائِمًا وَلَا طَاعِمًا **إِلَّا رَاكِعًا وَسَاجِدًا إِلَى الْأَحَدِ الْآخَرِ**[3]، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، قَالَ لِي: خُذْ جَرَّتَكَ هَذِهِ وَانْطَلِقْ فَخَرَجْتُ مَعَهُ

(١) بعض هذه المعجزات مسجلة في إنجيل توما، وهو من مكتشفات مكتبة نجع حمادي سنة ١٩٤٥. انظر، إنجيل توما، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الايمان-المنصورة.

(٢) الظاهر أن هذه الجماعة من الموحدين المسيحيين كانوا يعظمون الأحد، فيجتمعون فيه للأفخرستيا والصلاة الجماعية والوعظ.

(٣) الركوع والسجود ليس من هيئات الصلاة في المسيحية المثلثة، لكنها من تعليم الناموس اليهودي، ولعل هذه الفرقة من المسيحية المتهودة التي تعتقد الخلاص بالأيمان وتطبيق تعاليم الناموس. كما كان المسيح يجثوا على الأرض ويسجد في صلاته اتباعا للتقاليد اليهودية التي نشأ فيها.

أَتْبَعُهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، وَإِذَا هُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ تِلْكَ الْجِبَالِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ فَقَعَدُوا وَعَادَ فِي حَدِيثِهِ نَحْوَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَقَالَ: الْزَمُوا هَذَا الدِّينَ وَلَا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا «**أَنَّ عِيسَى ابن مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَنِي**»[١]، فَقَالُوا لَهُ: يَا فُلَانُ كَيْفَ وَجَدْتَ هَذَا الْغُلَامَ؟ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَقَالَ خَيْرًا: فَحَمِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَإِذَا خُبْزٌ كَثِيرٌ، وَمَاءٌ كَثِيرٌ[٢] فَأَخَذُوا وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَأْخُذُ مَا يَكْتَفِي بِهِ، وَفَعَلْتُ فَتَفَرَّقُوا فِي تِلْكَ الْجِبَالِ وَرَجَعَ إِلَى كَهْفِهِ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَلَبِثْنَا مَا شَاءَ اللَّهُ يَخْرُجُ فِي كُلِّ يَوْمِ أَحَدٍ، وَيَخْرُجُونَ مَعَهُ وَيَحُفُّونَ بِهِ وَيُوصِيهِمْ بِمَا كَانَ يُوصِيهِمْ بِهِ فَخَرَجَ فِي أَحَدٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَوَعِظَهُمْ وَقَالَ: مِثْلَ مَا كَانَ يَقُولُ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ آخِرَ ذَلِكَ: يَا هَؤُلَاءِ إِنَّهُ قَدْ كَبِرَ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَقَرُبَ أَجَلِي، وَأَنَّهُ لَا عَهْدَ لِي بِهَذَا الْبَيْتِ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا[٣]، وَلَا بُدَّ مِنْ إِتْيَانِهِ فَاسْتَوْصُوا بِهَذَا الْغُلَامِ خَيْرًا، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ لَا بَأْسَ بِهِ، قَالَ: فَجَزِعَ الْقَوْمُ فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ جَزَعِهِمْ، وَقَالُوا: يَا فُلَانُ، أَنْتَ كَبِيرٌ فَأَنْتَ وَحْدَكَ، وَلَا نَأْمَنُ مِنْ أَنْ يُصِيبَكَ شَيْءٌ يُسَاعِدُكَ أَحْوَجُ مَا كُنَّا إِلَيْكَ، قَالَ: لَا تُرَاجِعُونِي، لَا بُدَّ مِنَ اتِّبَاعِهِ، وَلَكِنِ اسْتَوْصُوا بِهَذَا الْغُلَامِ خَيْرًا وَافْعَلُوا وَافْعَلُوا، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِمُفَارِقِكَ، قَالَ: يَا سَلْمَانُ قَدْ رَأَيْتَ حَالِي وَمَا كُنْتُ عَلَيْهِ وَلَيْسَ هَذَا كَذَلِكَ أَنَا أَمْشِي أَصُومُ النَّهَارَ وَأَقُومُ اللَّيْلَ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْمِلَ مَعِي زَادًا وَلَا غَيْرَهُ وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى هَذَا قُلْتُ مَا أَنَا بِمُفَارِقِكَ، قَالَ: أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: فَقَالُوا: يَا فُلَانُ، فَإِنَّا نَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ، قَالَ: فَهُوَ أَعْلَمُ قَدْ أَعْلَمْتَهُ الْحَالَ وَقَدْ رَأَى مَا كَانَ قَبْلَ هَذَا قُلْتُ: لَا أُفَارِقُكَ، قَالَ: فَبَكَوْا وَوَدَّعُوهُ وَقَالَ لَهُمْ: اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا عَلَى مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ فَإِنْ أَعِشْ فَعَلَيَّ أَرْجِعُ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ مِتُّ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَخَرَجَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، وَقَالَ لِي: أَحْمِلْ مَعَكَ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ شَيْئًا تَأْكُلُهُ فَخَرَجَ

---

(١) تأكيد مستمر على التزام عقيدة التوحيد وبشرية المسيحة وسط بيئة تؤله المسيح وتضطهد الطوائف المخالفة لها قتلا وصلبا وحرقا. فهو نوع من التثبيت على التشبث بالمعتقد الأرثوذكسي.

(٢) لعله أتاهم من الصدقات وهو مستبعد. أو مما يزرعه الرهبان من أراضي الوقف للكنائس لضمان عدم احتياج الرهبان للعمل والتفرغ للعبادة. والله اعلم

(٣) يقصد بيت المقدس.

وَخَرَجْتُ مَعَهُ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَقِفُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى إِذَا أَمْسَيْنَا، قَالَ: يَا سَلْمَانُ، صَلِّ أَنْتَ وَنَمْ وَكُلْ وَاشْرَبْ ثُمَّ قَامَ وَهُوَ يُصَلِّي حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، وَإِذَا عَلَى الْبَابِ مُقْعَدٌ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، قَدْ تَرَى حَالِي فَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِشَيْءٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ فَجَعَلَ يَتْبَعُ أَمْكِنَةً مِنَ الْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهَا، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ إِنِّي لَمْ أَنَمْ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ أَجِدْ طَعْمَ النَّوْمِ، فَإِنْ فَعَلْتَ أَنْ تُوقِظَنِي إِذَا بَلَغَ الظِّلُّ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا نِمْتُ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَنَامَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَإِلَّا لَمْ أَنَمْ[١]، قَالَ: قُلْتُ فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: فَإِذَا بَلَغَ الظِّلُّ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَأَيْقِظْنِي إِذَا غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنَامَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا لَمْ يَنَمْ مُذْ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ ذَلِكَ لَأَدَعَنَّهُ يَنَامُ حَتَّى يَشْتَفِيَ مِنَ النَّوْمِ، قَالَ: وَكَانَ فِيمَا يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ يُقْبِلُ عَلَيَّ فَيَعِظُنِي وَيُخْبِرُنِي أَنَّ لِي رَبًّا وَأَنَّ بَيْنَ يَدَيْ جَنَّةً وَنَارًا وَحِسَابًا وَيُعَلِّمُنِي وَيُذَكِّرُنِي نَحْوَ مَا يَذْكُرُ الْقَوْمُ يَوْمَ الْأَحَدِ حَتَّى قَالَ فِيمَا يَقُولُ: يَا سَلْمَانُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَوْفَ يَبْعَثُ رَسُولًا اسْمُهُ أَحْمَدُ يَخْرُجُ بِتُهْمَةَ[٢] - وَكَانَ رَجُلًا أَعْجَمِيًّا لَا يُحْسِنُ الْقَوْلَ - عَلَامَتُهُ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمٌ وَهَذَا زَمَانُهُ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ قَدْ تَقَارَبَ فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ وَلَا أَحْسَبُنِي أُدْرِكُهُ فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ أَنْتَ فَصَدِّقْهُ وَاتَّبِعْهُ، قَالَ: قُلْتُ وَإِنْ أَمَرَنِي بِتَرْكِ دِينِكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ، قَالَ: اتْرُكْهُ فَإِنَّ الْحَقَّ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَرِضَى الرَّحْمَنِ[٣] فِيمَا قَالَ: فَلَمْ يَمْضِ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى اسْتَيْقَظَ فَزِعًا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، فَقَالَ لِي: يَا سَلْمَانُ، مَضَى الْفَيْءُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَلَمْ أَذْكُرْ أَيْنَ مَا كُنْتَ جَعَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ، قَالَ: أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ لَمْ تَنَمْ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ ذَلِكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْتَفِيَ مِنَ النَّوْمِ فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَقَامَ فَخَرَجَ وَتَبِعْتُهُ فَمَرَّ بِالْمُقْعَدِ، فَقَالَ الْمُقْعَدُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ دَخَلْتَ فَسَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي وَخَرَجْتَ فَسَأَلْتُكَ

---

(١) هذا دليل على تقديس هذه الطائفة لبيت المقدس وتنسكها فيه.

(٢) أي أرض تهامة، والمقصود بها أرض العرب.

(٣) هذه البشارة المسيخانية التي كان ينتظرها اليهود وكانوا يسألون المسيح عنها بقولهم؟ هل أنت هو؟؟ هل أنت المسيا؟ وهذا دليل آخر على المسيحية اليهودية لدى هذه الطائفة.

فَلَمْ تُعْطِنِي فَقَامَ يَنْظُرُ هَلْ يَرَى أَحَدًا فَلَمْ يَرَهُ فَدَنَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ: نَاوِلْنِي يَدَكَ فَنَاوَلَهُ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ فَقَامَ كَأَنَّهُ أَنْشَطَ مِنْ عِقَالٍ صَحِيحًا لَا عَيْبَ بِهِ فَخَلَا عَنْ بُعْدِهِ، فَانْطَلَقَ ذَاهِبًا فَكَانَ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ[1] وَلاَ يَقُومُ عَلَيْهِ»، فَقَالَ لِي الْمُقْعَدُ: يَا غُلَامُ احْمِلْ عَلَيَّ ثِيَابِي حَتَّى أَنطَلِقَ فَأَسِيرَ إِلَى أَهْلِي فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَانْطَلَقَ لَا يَلْوِي عَلَيَّ[2] فَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ أَطْلُبُهُ، فَكُلَّمَا سَأَلْتُ عَنْهُ قَالُوا: أَمَامَكَ حَتَّى لَقِيَنِي رَكْبٌ مِنْ كَلْبٍ، فَسَأَلْتُهُمْ: فَلَمَّا سَمِعُوا الْفَتَى[3] أَنَاخَ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِي بَعِيرَهُ فَحَمَلَنِي خَلْفَهُ حَتَّى أَتَوْا بِلَادَهُمْ فَبَاعُونِي[4] فَاشْتَرَتْنِي امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَجَعَلَتْنِي فِي حَائِطٍ بِهَا وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُ بِهِ فَأَخَذْتُ شَيْئًا مِنْ تَمْرِ حَائِطِي فَجَعَلْتُهُ عَلَى شَيْءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ نَاسًا، وَإِذَا أَبُو بَكْرٍ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ مَا هَذَا؟ قُلْتُ: صَدَقَةٌ، قَالَ لِلْقَوْمِ: «كُلُوا، وَلَمْ يَأْكُلْ»، ثُمَّ لَبِثْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَجَعَلْتُ عَلَى شَيْءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ نَاسًا، وَإِذَا أَبُو بَكْرٍ أَقْرَبُ الْقَوْمِ مِنْهُ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا هَذَا؟ قُلْتُ: هَدِيَّةٌ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَأَكَلَ وَأَكَلَ الْقَوْمُ» قُلْتُ: فِي نَفْسِي هَذِهِ مِنْ آيَاتِهِ كَانَ صَاحِبِي رَجُلًا أَعْجَمِيٌّ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ، يَقُولَ: تِهَامَةَ، فَقَالَ: تُهْمَةٌ وَقَالَ: اسْمُهُ أَحْمَدُ فَدُرْتُ خَلْفَهُ فَفَطِنَ بِي فَأَرْخَى ثَوْبًا فَإِذَا الْخَاتَمُ فِي نَاحِيَةِ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ فَتَبَيَّنْتُهُ، ثُمَّ دُرْتُ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مَمْلُوكٌ، قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثِي وَحَدِيثُ الرَّجُلِ الَّذِي كُنْتُ مَعَهُ وَمَا أَمَرَنِي بِهِ، قَالَ: لِمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ جَعَلَتْنِي فِي حَائِطٍ

---

(١) يَزِيدِيُّ: أَلْوَتِ النَّاقَةُ بذنَبها ولَوَّتْ ذنَبها إذا حرَّكته، (ابن منظور، ١٤١٤هـ، صفحة فصل اللام، الجزء١٥، صفحة ٢٦٦). أي أنه لا يتحرك لأحد.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب: لَوِيَ، بِالْكَسْرِ، يَلْوَى لَوًى، مَقْصُورٌ، فَهُوَ لَوٍ. واللَّوَى: اعْوِجاج فِي ظَهْرِ الْفَرَسِ، وَقَدْ لَوِيَ لَوًى. وعُود لَوٍ: مُلْتَوٍ. وذَنَبٌ أَلْوَى: مَعْطُوفٌ خِلْقةً مِثْلَ ذَنَبِ الْعَنْزِ...» (ابن منظور، ١٤١٤هـ صفحة فصل اللام، الجزء١٥، صفحة ٢٦٥). أي انطلق في طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

(٣) يقصد نفسه.

(٤) لعل الرجل المبروء قد غدر بسلمان واتفق مع هؤلاء التجار العرب أن يبعه لهم في الوقت الذي فقد عنه. فكادوا لسلمان الفارسي حتى يقبضوا عليه وهو فتى صغير.

لَهَا، قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ، قَالَ: اشْتَرِهِ فَاشْتَرَانِي أَبُو بَكْرٍ فَأَعْتَقَنِي فَلَبِثْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَلْبَثَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي دِينِ النَّصَارَى، قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا فِي دِينِهِمْ» فَدَخَلَنِي أَمْرٌ عَظِيمٌ فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي هَذَا الَّذِي كُنْتُ مَعَهُ وَرَأَيْتُ مَا رَأَيْتُهُ ثُمَّ رَأَيْتُهُ أَخَذَ بِيَدِ الْمُقْعَدِ فَأَقَامَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَقَالَ: «لَا خَيْرَ فِي هَؤُلَاءِ، وَلَا فِي دِينِهِمْ» فَانْصَرَفْتُ وَفِي نَفْسِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيَّ بِسَلْمَانَ»، فَأَتَى الرَّسُولُ وَأَنَا خَائِفٌ فَجِئْتُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ «فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ «ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ، وَرُهْبَانًا، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» المائدة: ٨٢ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ يَا سَلْمَانُ إِنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ كُنْتَ مَعَهُمْ وَصَاحِبُكَ لَمْ يَكُونُوا نَصَارَى، **إِنَّمَا كَانُوا مُسْلِمِيْنِ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَهُوَ الَّذِي أَمَرَنِي بِاتِّبَاعِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: وَإِنْ أَمَرَنِي بِتَرْكِ دِينِكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَاتْرُكْهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ وَمَا يَجِبُ فِيمَا يَأْمُرُكَ بِهِ».

**وكما هو ظاهر من القصة** التي يرويها الحاكم ويصححها، فإنها تمدنا بمعلومات قيمة عن طائفة الموحدين وبعض طقوسهم ومعتقداتهم في الله والمسيح بن مريم. وهم على العموم كانوا قلة قليلة -ثمانية على رواية الحاكم- ثم أربعة في رواية أحمد التي خرجها الألباني في سلسلته الصحيحة. فيصيرون عشرة أسقفا من الموحدين ومعهم طائفة قليلة من الأتباع. وهذا عدد لا يكفي أن يشن النبي ﷺ حربا من أجل نصرتهم. فقد كان يكفيه دعوتهم اليه وانتهت القضية. ولكن الأريسيين الواردة في رسالته الى هرقل-هركليتوس- قد تعني كما يقول العلماء الفلاحين والمزارعين المضطهدين من الرومان حتى لو آمنوا بالمسيح كاله لإن الاضطهاد أنواع وأشكال....كمثال على ما قلنا نسوق هذا النص للمؤرخ الألوهي يوحنا النيقيوسي -مع بعض التصرف- وهو ممن أدرك الفتح الاسلامي لمصر. قال في الفصل السابع والسبعون من تاريخه «عند ترأس دقليانوس لحكم مصلا، اعترف به الجيس وهبوا **لمساعدة المستبد الأثيم مضطهد المؤمنين**، المرعب الذي لا مثيل له. لكن مدينة الاسكندرية ومصر رفضتا الاعتراف به والخضوع لسلطانه..أشعل دقليانوس النار

في الاسكندرية حتى احترقت تماما، وصيرها تحت سلطانه، **وكان مؤمنا بالعقيدة الوثنية، يقدم القرابين للشياطين النجسة ويضطهد المسيحيين**، متشبها بالحيوانات المفترسة، كارها للفضيلة متحديا لله ومدعيا أنه اله الإمراطورية الرومانية. **لهذا فقد قتل كل الأساقفة والكهنة والرهبان وقتل كثيرين رجالا ونساء وأطفالا**، مستخدما أعدائه أكلى اللحوم البشرية الذين ملأ بهم كل موضع. **فسكب دماء عدد لا يحصى من القديسين**، وبدون رحمة، كما هدم الكنائس وأحرق الكتب الموحاة من الله، ومنذ الوقت الذي صار فيد دقليانوس حاكما لمصر. والذي استمر ١٩ عاما **بدأ اضطهادا عاما للمسيحيين**. في ذلك الوقت أرسل الى الاسكندرية **أمرا بقطع رأس الآب القديس البطريرك أنبا بطرس خاتم الشهداء. كما أمر بقتل كل أساقفة مصر، الذين وجدهم متمسكين بالعقيدة الأرثوذكسية، وكل من يعيشون حياة مقدسة**. وكان الناس يعتقدون أنه عدو المسيح، جاء ليقضي على العالم أجمع....وأما ماكسيميان فكان يمارس شرورا كثرة أكثر من دقليانوس وكان منهمكا في أعمال بشعة، بايحاء من الشيطين **إذ كان يشق بطون الحوامل ويقدم القرابينا من البشر** والحيوانات للشياطين النجسة....» (النيقيوسي الصفحات ٦٥-٦٦).

هذا الإضطهاد استمر على نحو أليم جدا حتى بُعيد وفاة النبي ﷺ حيث تحالف المصريون المسيحيون مع المسلمين بقيادة عمرو بن العاص لكف أذى الرومان عنهم. فهؤلاء الطبقات من المظلومين والمضطهدين وهم بعشرات الآلاف وهم أولى أن يقاتل عنهم المسلمون، وأن يمنحوهم الخلاص بوحدانية الله الخالصة التي جاء بها محمد ﷺ النبي العربي.

## ٥-٣-ب-الأريسيين لا الأريوسيين!

فرضية كون كلمة «الاريسيين» الواردة في رسالة محمد ﷺ الى هرقل هم الفلاحيين أو المزارعيين ليست مقولة شاذة قالها احد المفسرين بل ذكرها كثير من العلماء منهم:

١-النووى فى شرحه لصحيح مسلم.

٢- ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى شرح صحيح البخارى.

٣- ابن تيمية فى الجواب الصحيح.

٤- أحمد بن حنبل فى مسند أهل البيت.

وهذا القول هو الاشهر عند اهل العلم كما قال النووى فى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام، من غير تقدم الإعلام بالإغارة.

قال: «**واختلفوا في المراد بهم على أقوال أصحها وأشهرها أنهم الأكارون أي الفلاحون والزراعون، ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع انقياداً، فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا وهذا القول هو الصحيح.**

وقد جاء مصرحاً به في رواية رويناها في كتاب دلائل النبوة للبيهقي وفي غيره: «فإن عليك إثم الأكارين» وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال وإلا فلا يحل بين الفلاحين وبين الإسلام».

(النووي، ١٣٩٢هـ، صفحة الجزء ١٢ صفحة ١٠٩).

وقال الكشميري في كتابه فيض الباري في شرح صحيح البخاري:

«... وحاصله: أن المراد منه الرعايا وسكانُ بلده. بقي أنه يخالف قوله تعالى:(وَلاَ

تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) الأنعام: ٦٤ فإنها تدل على أنَّ أحَدًا لا يحمل إثمَ أحدٍ، قلت: الإثم إثمان: إثم التسبُّب وإثم المباشرة، وإثم التسبُّب يكون عليه لأنه مِن فعله، ولا يخالف الآية، فإنها في إثم المباشرة، والوجه عندي أن معناه إثم إهلاكهم عليك، وأما إثم كفرهم فعليهم». (الكشميري، ٢٠٠٥ صفحة الجزء١، صفحة ١١٧).



# الفصل الرابع

# النصرانية القرآنية والمسيحية التاريخية

## ١- مركزية القرآن في تقرير التاريخي للمسيحية

إن ضراوة الصراع التاريخي واللاهوتي في المجال المسيحي للقرون الأربعة الأولى -وقد تقدم معنا نماذج منه-. يضع الباحث أمام خيارات عدة ومتضاربة على كل المستويات. عن أي كرازة كرز السيد المسيح لبني قومه من اليهود؟ وأي هذه الطوائف التي نقلها لنا التاريخ الكنسي وحتى التي لم ينقلها لنا أو غفل عنها! هي الممثل الشرعي للتعليم المسيحي الموحى به؟

### ١-أ- فقدان المرجعية المسيحية وشهادة القرآن للمسيح

فقدان المسيحيين الأوائل للمرجعية النهائية، التي تتحاكم اليها الطوائف في ترجيح اللاهوت وفي اعادة العقيدة الى أصلها، أدى الى ظهور صور متعددة من المسيح والمسيحية. ربما هذا التعدد المشهدي للديانة المسيحية أدى بالباحثين، خصوصا بداية القرن العشرين إلى اعادة النظر في الوجود المادي للمسيح نفسه. ليس فقط لتعاليمه التي اندثرت وسط ركام عظيم من الهرطقات والفلسفات التي ابتعدت باللاهوت الالهي عن طبيعته وصفائه. لكن ووسط هذا الشك والريبة والقلق اللاهوتي، يأتي القرآن ليشهد للمسيح من جديد. ويعيد الاعتبار للحقيقة التاريخية والدينية للمسيحية باعتبارها تيارا اصلاحيا لليهودية الفريسية التي شهدت بدورها حالات من الانزياح عن مقاصد التشريع الناموسي الموسوي. بدأت تطالها أيدي البشر باسم الله للتحول إلى ديانة مركزية غالية في الانكماش حول الذات واحقار الآخرين والانعزال عن العالم.

### ١-أ-١- تاريخية المسيح على المحك (طمسن، ٢٠٠٦)

في أوائل القرن العشرين قام عدد من الباحثين والعلماء بدعم فرضية أنَّ المسيح لم يكن أكثر من مجرَّد أسطورة. ومن ضمنهم دافيد استروس-١٨٣٦-١٨٣٥-، وبرونو بور-١٨٤٠- وآرثر دروز-١٩٠٦- وجي. م. روبرتسون، دبليو بي سميث، وإي دوجاردين، وغيرهم من الذين جادلوا أنَّ هوية المسيح قد تمَّ اختلاقها وتلفيقها اعتمادًا على إله ما قبل مسيحي يسمى يسوع أو يوشع/ جوشوا - ربما قد يكون النبي يوشع نفسه. آخرون مثل درو مثلاً جادلوا أنَّ المسيح كان مستعارًا من شخصية المسيًا/ المسيح في سفر إشعياء، وآخرون أمثال ب. ل. كوشو لام القديس بولس لاختراعه شخصية المسيح. لكن آخرون أمثال ت. ويتاكر، ل. ج. ريلاندز، بي. ألفاريو، أ. بايت، ماتشيورو، ر. ستاهل، ب. فان إسينغا، ...إلخ. في كتيّب صغير وممتاز نشر في عام ١٩٢٦ يسوع: أسطورة *Jésus: A Myth*. لخَّص فيه الناقد الدنماركي جورج براندس حججهم بوضوح - وضوح شديد في الحقيقة، حيث أنَّ الحجَّة ضدَّ وجود المسيح تصبح جلية جدًا. وفي عام ١٨٢٨ لخص هنريخ بولس حياة المسيح في ١١٩٢ صفحة وعرض تفسيرا عقليا للمعجزات: أي أنه آمن بوقوعها ولكنه عزاها إلى علل وقوى طبيعية!

كيف أمكن لحجَّة عدم وجود المسيح أن تصبح رائجة إلى هذا الحدِّ؟ في الواقع لأنَّ جميع الوثائق والمدوَّنات عن وجود المسيح مبعثرة ومتفرِّقة. وحتى اسمه يشير إلى وجود عملية اختراع وتلفيق بدلاً من شخص حقيقي، حيث أنَّ كلمة «مسيح» تعني: المدهون أو الممسوح - شخص مدهون بالزيت لتأدية مهمَّة مقدَّسة. لذلك يمكننا ببساطة ترجمة اسم يسوع المسيح بعبارة «يوشع الممسوح»، وإذا أرجعنا اسم يوشع إلى جذره الأصلي: جوشوا *Joshua= Jahweh* أو إله / «يهوه ينقذ»، فإنَّنا نكون أمام تشكيل لغوي مثير للاهتمام، «الله ينقذ الممسوح». ويمكن القول «أنا أؤمن بمنقذي»، «الله يحفظ الممسوح».

والمزعج أيضًا أنَّ الكُتَّاب غير المسيحيين المعاصرين للمسيح لم يذكروه في كتاباتهم. المؤرِّخون الرومان بعد جيل واحد من ظهور المسيح قد قاموا بتأريخ تواريخ اجتماعية وطبيعية كان ينبغي أن يأخذوا إنجازاته بعين الاعتبار، لكنهم لم يوردوا أية إشارة

من أي نوع على حياته أو الظروف التي مرَّ بها. لم يكن هناك أي سبب يدفعهم للتغاضي عنه، فقد كانوا يبحثون عن القصص الأصلية والغريبة، حسب تعبير آني بيسانت عام ١٩٨٧: «لا يمكن إثبات وجود يسوع من خلال الكتابات والنصوص والوثائق المعاصرة لزمانه. الطفل الذي بشَّر بمولده نجم ظهر في السماء والذي يرشد الحكماء والعقلاء الغرباء إلى يهوذا، مجزرة ارتكبت بحق جميع الأطفال الرضَّع في إحدى المدن الرومانية على يد قائد روماني تابع للإمبراطور، معلِّم يشفي المرضى بداء الجذام، الأعمى، الأخرس، الأطرش، الأعرج، ويقيم الأموات وهم جثث متحلِّلة، ملكٌ على اليهود يدخل مدينة القدس بموكب مهيب ومنتصر، بدون أن تعترضه فيالق القيصر، زعيم حراك ثوري متَّهم بالعصيان يتمُّ القبض عليه من قبل ابناء قومه وتسليمه إلى الحاكم الإمبراطورية، ثائر حكم عليه بالموت وفقًا للقانون الروماني، ثلاث ساعات من ظلام لفَّ جميع أنحاء الأرض، هزَّة أرضية تفتح القبور...، أعداد هائلة من الأشباح الهائمة في جميع أنحاء مدينة القدس، جثَّة مصلوبة تبعث من جديد إلى الحياة، وتظهر على مرأى من حوالي ٥٠٠ شخص، رجل يبعث من بين الأموات ويصعد بجسده نحو السماء من دون تستر... هكذا أخبرونا، أنَّ جميع هذه الأحداث قد وقعت، لكن من دون أي إشارة لحدوثها في الأدب المعاصر لها». بمعنى آخر، ربما كان المسيح موجودًا، لكن ليس هناك أي توثيق أو دليل كتابي مدوَّن يثبت وقوع جميع هذه الأحداث التي ورد ذكرها في الكتاب المقدَّس.

هناك كاتبان رومانيان تجاهلا وجود المسيح يمكن إدراجهما بشكل خاص. إذ أن كلاً من سينيكا٣ق.م-٦٥ ميلادية وبليني الكبير٢٣-٧٩ ميلادية وضعا تواريخ تذكارية سُجِّلت فيها جميع الظواهر الطبيعية العظيمة في ذلك الوقت - زلازل، مذنبات، خشوف وكسوف، إلى ما هنالك. كتاب سينيكا التساؤلات الطبيعية يتألف من مجلدين، وعمل بليني التاريخ الطبيعي يتألف من عشرة مجلدات. وكلاهما لا يشيران في عمليهما الضخمين بأي إشارة من أي نوع إلى هذه الأحداث الحياتية للمسيح التي ذكرتها آني بيسانت، وكأنها لم تقع ببساطة. بليني كان مأخوذًا بظاهرة الكسوف والخسوف بشكل خاص حيث أنه ناقش

إمكانية حدوث كسوف جزئي عندما قتل قيصر، لكنه لم يذكر شيئًا عن الكسوف الكلي المفترض الذي دام ثلاث ساعات كاملة والذي يفترض أنَّه وقع خلال عملية صلب المسيح بعد ذلك بسبعين عامًا. (ماير، ١٩٩٠ صفحة ١٠١). كيف يمكن حدوث هكذا كسوف عملاق من دون ذكر أية تقارير أو أخبار عنه ضمن عمل بليني الضخم في التاريخ الطبيعي؟

المؤرِّخ اليهودي يوسيفيوس٣٧-١٠٠ ميلادية من المفترض أنَّه ذكر يسوع في فقرة أو فقرتين، لكن يتمُّ التعامل معها الآن كمحاولات تزييف واضحة تمَّ إدخالها على يد مؤلِّفين مسيحيين في فترة لاحقة. وتعتبر هذه حالة واضحة جدًا من حالات الدَّسِّ والتزييف حيث تمَّ استبعاد وإقصاء الفقرة من الطبعات الحديثة من أعمال يوسيفيوس[١].

هناك مؤرّخ روماني يدعى تاسيتوس -حوالي ٥٥-١١٧ ميلادية- أشار في الحقيقة للمسيح عندما تحدَّث عن «الكريستوس» *Christus* كمؤسِّس لفرقة دينية ألقى نيرون اللوم عليها لإشعال حرائق دمَّرت جزءًا كبيرًا من روما خلال عهده. ويمكن اقتباس المقطع بكامله من السجلاَّت بكليته كإشارة رئيسية إلى المسيح من قبل كاتب روماني خلال فترة المائة وخمسون عامًا التي تلت وفاته. (ماير، ١٩٩٠)-لتبرئة نفسه من إشعال الحريق الذي دمر روما- ألقى نيرون اللوم على فئة مكروهة بسبب هرطقاتها وأنزل على أفرادها أشدَّ وأفظع أنواع العذاب، يسمُّون «المسيحيين» بين العامة. المسيح، أو الشخص الذي يستمدُّون منه اسمهم، عانى كثيرًا وأنزل فيه أشدَّ العقاب خلال عهد تايبيريوس[٢]

---

(١) انظر النسخة الحجرية العربية، التي طبعتها المطبعة العلمية ليوسف ابراهيم صادر في بيروت. دون تاريخ. وقد حذف منها هذا النص.

(٢) تيبريوس قيصر (طِيباريوس قيصر) تيبريوس يوليوس قيصر اوغسطس، ولد تيبريوس كلاوديوس نيرو (١٦ نوفمبر ٤٢ ق.م - ١٦ مارس ٣٧م(. وهو الإمبراطور الروماني الثاني (١٤م - ٣٧م). ولد السنة الـ ٤٢ ق.م. وكان ابناً لأوغسطس بالتبني وصهراً. وفي ملكه حكم اليهودية كواليين فاليريوس كراتوس وبيلاطس البنطي. وقد أبعد اليهود وقتاً ما عن رومية ولكنه ألغى أمره فيما بعد وعوَض عليهم بسبب قساوة حكام الأقاليم. وقد بنى هيرودس انتيباس طبرية على بحر الجليل إجلالاً له وقد عجل بموته (٣٧ ب. م) كاليغولا الذي خلفه. وفي أيام طيباروس صلب المسيح.. ( صالح، ٢٠٠٨)

على يدي أحد ولاتنا، بونتيوس بيلاطس، والخرافة الأبشع - حتى هذه اللحظة - لم تقتصر في انتشارها على مملكة يهوذا فقط، أصل كل الشرور، بل حتى في روما، حيث أنَّ كل هؤلاء البؤساء والأشقياء من جميع أرجاء الأرض وجدوا ضالتهم ومركزهم وأصبحوا هم الأشياع. وفقًا لذلك، تمَّ إلقاء القبض على كل من وُجِدَ مذنبًا، ثمَّ، اعتمادًا على معلوماتهم تمَّت محاكمة جموع غفيرة منهم، لكن ليس بتهمة إحراقهم للمدينة، بل بتهمة أنهم مكروهون ومنبوذون. تمَّت السخرية منهم بأقذع وأبشع الأشكال قبل موتهم. وتمَّ تمزيقهم إربًا من قبل الكلاب حتى اختفوا بعد أن تمَّ إلباسهم جلود الوحوش ووضعت في رؤوسهم رؤوس حيوانات، أو كان يتمُّ صلبهم، أو رميهم في النيران وحرقهم، لينيروا بهم الطرقات، عندما كان يجنُّ الليل[١].

يبدو أن المؤرِّخ الروماني سيتونيوس٦٥ ميلادية-؟ يؤكِّد تصريح تاسيتوس: «المسيحيون، هم عرق من البشر يعتنقون خرافة خيالية، أو سحرية، تمَّت معاقبتهم». وقال سيتونيوس أيضًا عن الإمبراطور كلاوديوس: «دفع اليهود، الذين عاشوا في روما فسادًا وتخريبًا حسب أوامر المسيح/ كريستوس، للخروج منها». بليني الصغير٦٢-١١٣ ميلادية والشاعر مارشال٤٣-١٠٠ ميلادية والفيلسوف الرواقي إيبيكتيتوس٥٠- ١٣٨ميلادية والإمبراطور والفيلسوف الرواقي ماركوس أوريليوس١٢١-١٨٠ميلادية يبدو أنهم أشاروا جميعهم إلى المسيحيين، لكن من دون أن يذكروا المسيح بشكل خاص. (مايكل، ٢٠٠٢). ربما تكون الإشارة الأهم إلى المسيح جاءت من المؤرِّخ بلوتارخ -٤٦-١٢٠ ميلادية- الذي كتب مقالة بعنوان خرافة، ربط فيها المسيحية مع بعض الفرق والمذاهب المعاصرة الأخرى ووصفها بأنَّها «خرافية»، حيث أنَّ كلاً من تاسيتوس وسيتونيوس كانا قد سبقاه في استخدام كلمة «خرافة» لوصف تلك الفرقة الجديدة. عامل بلوتارخ هذه الخرافة بنفس المقت الذي عامل به كل من تاسيتوس وسوتونيوس المسيحية، لذلك من المحتمل أنَّه وجَّه ملاحظاته وتعليقاته بشكل كلي أو جزئي ضدَّ المسيحيين. هل يحتمل أنَّه كان

(١) - السجلاَّت، كتاب XV، المقطع ٤٤، مكتوب حوالي عام ١٠٧ ميلادية.

هناك فرقة أخرى ببال بلوتارخ ليصفها بالخرافة التي «تـزرع الخوف من معاناة أبعد وأطول من الحياة نفسها» مع مفهوم الجحيم الذي وسَّع أفق مخيلة أتباع تلك الخرافة:

تفتح بوابـات الحاوية إلى العالم السـفلي علـى مصراعيها، أنهار من النـار وفروع من السـتيكس تختلط ببعضها، يعمُّ الظلام مع خيالات للعديد من الأشكال الغريبة التي تهاجم ضحاياها بهيئات مرعبة وسـيماء كالحة وهي تصدر أصواتًا مخيفـة ومليئة بالألم، وبجانب كل هذا، تـرى قضـاةً وجلاَّديـن ومعاقِبيـن يفغـرون، الخلجـان والأعمـاق السـحيقة تعجُّ بالأهوال والويلات. هذه الخرافة التعيسـة والمقيتة، من خلال غلوِّها ومبالغتها في التحذير من المحاولة لتفادي كل شـيء يوحي بالفزع والهول، تعرِّض نفسها بشكل غير متعمَّد ومن دون قصد لجميع أشكال الأهوال وعظائم الأمور (بلوتارخ صفحة الجزء٢، صفحة ٤٦٤).

ينبغي الاعتراف بأنَّ بلوتارخ لم يحدِّد المسيحية بالاسم أو يذكر يسوع بالتحديد، لكن كافة الإشارات والأوصاف تشير إليها، والعلاقة واضحة وضوح الشمس.

هذا كل ما لدينا مـن أخبار من مؤرِّخيـن غير مسـيحيين تحدَّثوا عن يسـوع حتى عهد ماركوس أوريليوس الذي انتهى في عام ١٨٠ ميلادية. والقسـم الأكبر من تاريخ المسـيحية تمَّت كتابته بعد هـذه الفترة، لكن في الواقع لم يُشِـر إلى المسـيح بالاسـم سـوى مؤرِّخين رومانيين هما تاسيتوس وسـوتونيوس، وقد فعلا ذلك فقط لتعريفه كمخترع لخرافة مذهبية توصف بالمسيحية.

إذن، لفهم دور المسـيح ما علينا إلا أن نرجـع إلى الأناجيل الأربعة ورسـائل القديس بولس. والحال أنه ليس هناك أيَّة مصادر داخلية موثوقة يمكن اعتمادها كأساس لمعلومات فعلية. رسـائل بولـس المكتوبة في فترة أبكـر لا تقول الكثير حول سـيرة حياة المسـيح ولا تقتبـس أقواله بشـكل فعلي. كمـا أنها لا تشـير إلـى معجزاته، تعاليمـه الأخلاقيـة، أو حتى مولده، ما عدا إشارة بولس في سـفر رومية أنَّ المسيح «مِن نَسـلِ دَاوُدَ مِن جِهَةِ الجَسَدِ»١: ٣، والتي مـن الواضح أنهـا تناقض التأكيد بأنَّ المسـيح كان بـذرة زرعها الرب مباشـرةً في رحم مريم كما جاء في إنجيل كل متَّى ولوقا.

علاوةً على ذلك، هناك فترة زمنية تتجاوز جيلاً كاملاً أو جيلين على الأقل تفصل بين لحظة وفاة المسيح وزمن كتابة الأناجيل. الإنجيل الأول، مرقص، كتب بعد مرور حوالي ثلاثين عامًا على صلب المسيح -حسب بعض الباحثين-، أمَّا الأناجيل الأخرى فكتبت بعد ذلك بفترة طويلة، فإنجيلي متى ولوقا كتبا بعد ذلك بما لا يقل عن أربعين عامًا، أمَّا إنجيل يوحنَّا بستين عامًا على الأقل. (بيرتون، ٢٠٠٧ صفحة ٢٤). والأمر المثير للدهشة والعجب هو أنَّ بعض المعلومات السِيَرية المتوفرة في الأناجيل تتجاوز أقوال المسيح ومعجزاته. وليس هناك أي إشارة واضحة على الفترة التي مرَّت منذ بداية مسيرته النبوية كنبي حتى لحظة صلبه - ربما كان سنة، أو ثلاث سنوات أو حتى خمسة.

علاوةً على ذلك نجد أنَّ الأناجيل تناقض بعضها الآخر باستمرار. حيث تمَّ العثور على ما بين ١٥٠٠٠٠ إلى ١٧٥٠٠٠ تناقض فيما بينها. والأهم من ذلك، اثنان من الأناجيل فقط، متى ولوقا، يشيران إلى مولد المسيح، وهناك اختلافات جذرية بين الروايات التي يرويانها. والمشكلة نفسها تحدث مع حادثة بعث المسيح وعودته إلى الحياة، فهناك العديد من الاختلافات الفعلية في التسلسل والأشخاص المشاركين في هذا الحدث والمرتبطين به خلال الأيام الثلاث الأخيرة من حياة المسيح أو ربما لم تتجاوز الحادثة مدَّة اليوم ونصف اليوم؟ بين لحظة صلبه وصعوده إلى السماء، حيث أنَّ هذه الشهادة بكاملها سترفض من قبل أيَّة محكمة قانونية في هذا العصر. ضمن مجتمع مثقَّف ومتعلِّم حيث تمَّ نشر هذه الأناجيل وتوزيعها بسهولة نسبية، يمكن ترجمة هذا التشويش والارتباط بأنه يوحي بالأصالة، لكن في مجتمع لم يتثقَّف بعد فإنَّه يوحي بوجود عملية تناقل شفهي للخبر خارجة عن السيطرة.

حتى العلماء المسيحيون الأكثر احترامًا وسمعةً حسنة يعترفون بصعوبة إثبات أي شيء جوهري بشأن المسيح، وذلك مردُّه إلى التناقضات والاختلافات بين الأناجيل. راندل هيلمس يقتبس أقوال أربعة من هؤلاء العلماء في مقدِّمة كتابه من كتب الأناجيل (*Helms*)، ومن ضمنهم اثنان من ألمع كتَّاب سيرة المسيح المعاصرين.

## روبرت فنك:

العلماء الإنجيليين لم يقدروا على حسم مسألة ما إذا كانت الروايات والقصص الكتابية تروي أحداثًا حقيقية أو خيالية. ولم يقدروا على تحديد أيها الحقيقي وأيها الخيالي. الاختبار هنا بسيط للغاية: هل القصص المصوَّرة في الإنجيل قد حدثت فعلاً؟ هل الأناجيل خيال أم سيرة واقعية؟ (Funk ١٩٩٧)

## جون كروسَّان:

لكن لا يمكننا صرف إعادة بناء أو البحث عن يسوع التاريخي كعملية إعادة بناء، وكأن إعادة البناء أبطلت كامل المشروع بشكل ما. لأنه ليس هناك سوى إعادة بناء ( كروسَّان، ٢٠٠٠ صفحة ٤٢٦).

## جون ميير:

«ما تقوم به الأناجيل ضمنيًا يتضمَّن ادِّعاء تقديم الحقيقة حول بعض الأحداث التي وقعت من وجهة نظر الإنجيليين في التاريخ البشري الحالي. هذه المزاعم حول الحقيقة، في الواقع الفعلي، قد تكون صحيحة وقد لا تكون. لكن أيَّة طريقة نقدية لا تستطيع معالجة الادِّعاءات الأساسية المتأصِّلة في الأدب الإنجيلي تكون قد فوَّتت جزءًا كبيرًا ممَّا كانت تدور حوله الأناجيل بوصفها بروباغندا دينية إغريقية-رومانية في القرن الميلادي الأول» (ميير، ١٩٨٨ الصفحات ٤١٨-٤١٩).

## رودولف بلتمان:

«-إنَّ أي إنجيل هو-... مصدر أساسي للحالة التاريخية التي خرج منها، وهو مصدر ثانوي للتفاصيل التاريخية للحالة التي يمدُّنا بالمعلومات عنها» (بلتمان، ١٩٦٠ صفحة ٣٨).

وحتى الإنجيل حسب رواية يوحنا يعترف بأنَّ الدقة لم تكن ذات أهمية لإقناع الأتباع:

«وآياتٍ معجزات أخرى كثيرةً صنع يسُوعُ قُدَّامَ تلاميذه لم تكتب في هذا الكتابِ. وأمَّا هذه فقد كُتبَت لتؤمنوا أنَّ يسُوعَ هوَ المسيحُ ابن اللهِ، ولكي تكُونَ لَكُم إذا آمنتُم حياةٌ باسمِهِ». يوحنا ٢٠: ٣٠-٣١.

بمعنى آخر، اعترف يوحنًا بأنَّه شعر بالحرية لإقصاء المعلومات وعدم الحاجة إليها، قاصرًا نصَّه على الروايات والقصص التي تعزِّز الإيمان وتقوِّيه.

بمعنى آخر، هناك دليل إيجابي صغير يثبت الوجود التاريخي للمسيح، لكنه يكفي فقط لتبرير هذا الافتراض. وهذا ما سماه زياد من **بالقولبات الدينية**؟!

وهي على حد تعبيره «... معروفة في مجال العلوم الكتابية ومعترفة بها، وإن ثمة اختلافا حول أبعادها» (منى، ٢٠٠٤ صفحة ٧٤).

لقد أشار كل من تاسيتوس[١] وسرتونيوس إلى المسيح، بغضِّ النظر عن سطحية وصفهما، ومهما كان يوحنا واثقًا من وجود المسيح عندما أعلن عن نيته في وصف انتقائية المسيح من أجل تحسين صورته. في الحقيقة كل هذا مردُّه إلى ثقته بالوجود البشري للمسيح بالإضافة إلى دوره كابن للرب أرسله لنشر دعوته والتبشير بها بأحسن طريقة ممكنة.

---

(١) بابليوس (أوغايوس) كورنِليوس تأسيس (٥٥-١٢٠م). كان مؤرخاً ورئيس قضاة في إحدى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، فقد الكثير من كتاباته وأهم ما تبقى منها أجزاء من كتابي الحوليات والتواريخ والذين يعدان من أعظم أعماله التاريخية، يركز الكتابان على حقبة الأباطرة الرومان تيبريوس وكلوديوس ونيرون وحكام ما يعرف بعام الأباطرة الأربعة، ويغطيان الفترة ما بين موت أغسطس (١٤م) إلى موت دوميتيانوس (٩٦م). يوجد فجوات هائلة في نصوص أعماله المتبقية من بينها واحدة بطول أربعة أسفار (أربعة أجزاء) من كتاب الحوليات. لتأسيس أعمال أخرى كتلك التي تتناول فن الخطابة في صورة حوار (انظر حوار الخطباء «*Dialogues de oratoribus*») أو عادات وتقاليد الشعوب الجرمانية (انظر كتاب جرمانيا «*De origine et situ Germanorum*»(وله تدوينات في السيرة الشخصية لحميه أجريكولا وخاصة أثناء حملة الأخير على بريطانيا (انظر حياة أجريكولا «*De vita et moribus Iulii Agricolae*»). يعتبر تاسيتس أحد كتاب الحقبة الأخيرة من العصر الفضي للأدب اللاتيني ويتميز أسلوبه بالجرأة وخفة الظل والإيجاز وأحياناً الاستخدام غير المألوف للغة اللاتينية.

في بدايات عام ١٩١٣، وبشكل ملحوظ تمامًا، قام الباحث الميثولوجي السير جيمس فريزر بإكمال المجلد السادس من موسوعته الغصن الذهبي حيث كتب يقول فيه: «ظلال الشك الملقاة حول الحقيقة التاريخية للمسيح هي في رأيي لا تستحق منّا كل هذا العناء والاهتمام» (منى، ٢٠٠٤ صفحة ٧٤).

وبالتأكيد فإنَّ أغلب العلماء اليوم يقبلون بالوجود التاريخي للمسيح، بغضِّ النظر عن وضعه وحالته الأسطورية أو اللاهوتية. ولا يسعنا إلا أن نتوصَّل إلى نتيجة مفادها، حسب تعبير جوزيف مكَّابي: «أنه من المحتمل أو بالتأكيد كان هناك نبي يهودي، ثائر ومتمرِّد ضدَّ الديانة الرسمية لقومه، تمَّ إعدامه في القدس، **وليس هناك أيُّ مصادر أخرى موثوقة يمكن اعتمادها كأساس لمعرفتنا عنه**» (*McCabe* صفحة ٣٣٣).

على أيَّة حال، تبقى مشكلة واحدة وهي من أصعب المشكلات التي تواجهنا في قبول واقعية قصَّة المسيح: تتلخَّص في تشابهها مع قصص وروايات الأديان التي سبقتها والتي من الواضح أنها مجرَّد أساطير. المسيح نفسه يبدو حيًا في الأناجيل، لكن أهم الأحداث التي وقعت في حياته هي نسخة عن قصص لآلهة وثنية كانت تُعبَد في نفس الفترة – في الحقيقة كانت عبادة هذه الآلهة تنافس ديانة المسيح خلال القرنين الثالث والرابع. إذن، فإنَّ كافة إنجازات المسيح تبدو أنها كانت تحقُّقًا مستنسخًا لجميع الحاجات والضرورات التي كانت منشودة في قصص هذه الشخصيات الدينية الوثنية والتي من الواضح أنها كانت أسطورية وخرافية. والجميع سيتَّفق على أنَّ: تلك الآلهة الأخرى كانت من صنع المخيلة، لكن قصَّة يسوع والتي جاءت بعد هذه القصص بفترة طويلة في التاريخ القديم قد جاءت إلى الأرض ويمكن اعتبارها حقيقية بالكامل. وهذا على الأرجح يساعد على تفسير التحوُّل **الهائل الذي حدث من الديانات الوثنية إلى المسيحية**. ونستنتج من هنا أنَّ حياة المسيح وإنجازاته العظيمة والهائلة كانت نتيجة النزعة البربرية وأكل لحوم البشر من جهة المسيحيين المتأخرين الذين استعاروا من الديانات الأخرى كلَّ ما لبَّى وأشبع حاجتهم الماورائية مهما يكن، والذي تمَّ دمجه لاحقًا مع الدعوة الماورائية للمسيح.

المضحك في الأمر، أنَّ المدافعين اللاهوتيين المسيحيين في القرن الثاني للميلاد كالقديسين جاستن الشهيد(١) وترتوليان دافعا عن هذا التشابه بين الطوائف والديانات الوثنية وبين المسيحية، لكن أضافا حجَّة أنَّ الشيطان حاول الإيقاع بالمسيحية وبذلك قام بتغييرها وتحريفها لتحاكي ديانات وثنية، وذلك لإدخال الارتباك والحيرة والشك في قلوب المسيحيين المؤمنين. بمعنى آخر، كان الشيطان يتشارك مع الرب قدرته كعالم بكل شيء، لذا كان قادرًا على محاكاة الآلهة والإلهات المبكرة التي تشابهت قصصها مع قصة المسيح بهدف إرباك المؤمنين المسيحيين بفرض احتمال عبثي بأن يكون المسيحيين قد استعاروا من ديانات وثنية سابقة، وليس العكس. ربما قد يكون الأمر كذلك، لكن التفسير الأبسط سيكون في أنَّ المسيحيين قد قاموا فعلاً باستعارة وتزيين القصص الوثنية ليضفوا على يسوع نوعًا من الحالة التنافسية مع الآلهة التي كانت معبودة من قبل معاصريهم. (منى، ٢٠٠٤) في الواقع تحوَّلت المسيحية إلى وثنية بهدف تحويل المؤمنين الوثنيين. لكن لأي مدى بلغت في وثنيتها؟!! هذا هو السؤال الرئيسي...

الاستعارات من هذا النوع كانت ممكنة في ذلك الوقت، كما سبق وقلنا:

١- بما أنَّ قصَّة يسوع تمَّ تناقلها بشكل حصري عن طريق التراث الشفهي لأكثر من ثلاثين عامًا وقد تصل إلى المئة عام أو ما يسمَّى بالعصر الرسولي.

---

(١) جستن الشهيد: وُلد في إحدى مدن السامرة في فلسطين سنة ٨٩م وآمن بالمسيحية سنة ١٣٣م واشتهر في سنة ١٤٠م إلى أن استُشهد سنة ١٦٨م. وكتب عدَّة كتب دفاعاً عن المسيحية، منها رسالة للإمبراطور تيطس أنطونيوس بيوس، ورسالة للإمبراطور ماركوس أنطونيوس ولأعضاء مجلس الشيوخ في روما ولسكانها. وله محاورة معترفو اليهودي باقية إلى الآن تُظهر تبحّره في فلسفة فيثوغورس وأفلاطون، وأنه رأى أن الأسلم التمسّك بالمسيحية. وتكلم عن الأناجيل الأربعة، وقال إن المسيحيين كانوا يتعبدون بتلاوتها في معابدهم، وتكلم عن رسائل بولس وبطرس ويوحنا وسفر الرؤيا. ولشهادته منزلة رفيعة لأنها شهادة فيلسوف علاّمة. (التعريف بجاستن مارتن مأخوذ من كتاب شبهات وهمية الدكتور القس منيس عبد النور).

٢- بما أنَّه كان هناك ازدهار ملحوظ لتشكيلة واسعة ومتنوِّعة من الديانات الوثنية في ذلك الوقت.

٣- بما أنَّ جميع الديانات القديمة قد أخذت من بعضها وتبادلت الأفكار فيما بينها عن طريق ما يسمَّى بـ«الحركة التوفيقية» *syncretism* و«الاختلاط المتبادل» *theocrasia* حيث استعارت المفاهيم والدوافع من بعضها البعض حيثما أمكن ذلك. من بين هذه الديانات العديدة، وكل واحدةً منها تمتلك مزاعمها الخاصة المتعلِّقة بصحَّتها وصلاحيتها، كانت المثرائية، المانوية، الغنوصية، والعبادات المنفصلة ديانة تؤمن بإله سامٍ، إذا لم تكن توحيدية بالكامل لهيراكليس، سيبيل، إيزيس، أوزيريس، أورفيوس، ديونيسوس، والإله سيرابيس كانقسام منفرد بعد أن جرت عملية دمج بين أوزيريس وديونيسوس. أمَّا الديانة اليهودية فإنَّها قد تجنَّبت إلى حدٍ بعيد هذه السوق الدينية التنافسية بين الديانات. والحال أنَّه كان هناك تماثل كبير وكافٍ بين المسيحية والديانات الوثنية في زمن المسيح حيث لا يسعنا سوى التوصُّل إلى نتيجة مفادها أنَّ الديانة المسيحية، كغيرها من باقي الديانات والفرق والألغاز، «نمت عن طريق امتصاص الأفكار اللاهوتية المنافسة ودمجها»

بالإضافة إلى النجاح الذي حقَّقته الديانة المسيحية في منحها يقينًا ملموسًا للأساطير الوثنية، نود أن نضيف هنا أنَّها خلقت التوازن الصحيح بالضبط بين اليهودية وعبادة الخصب عند الوثنيين والتي كان الطلب عليها أوسع بكثير بين الجماهير. وبشكلٍ خاص، يبدو أنَّ المسيحية ربطت بين الهوس الأخلاقي عند اليهودية وبين عبادة مختلف آلهة البعث الربيعية الشرقية المتوسطية وبين الإسكاتولوجيا الزرادشتية أو دراسة المفاهيم الأخروية عند الديانات كالبعث ويوم القيامة والحساب والجنة والنار وما إلى هنالك. والتي أكَّدت على وجود صراع كوني عظيم بين الخير والشر وقرار يوم الحكم الأخير يوم القيامة بين أولئك الذين سيرسلون إلى الجنة والنار. وكنتيجة لذلك، يمكن عبادة يسوع المسيح على أنَّه المسيَّا اليهودي كما جرى التنبُّؤ به في سفر إشعياء ٧: ١٤، ميخا ٥، وزكريا

٩:٩ الذي مات وجرى بعثه كديونيسوس، أوزيريس، وحورس وميثرا وباقي الآلهة، ثمَّ صعد إلى السماء ليحكم إلى جانب الرب في يوم القيامة كما تنبَّأ زرادشت. كما أنَّ هناك عملية تثليث توفيقية تمَّ إدخالها: النبوءات اليهودية عن المسيَّا، التضحية الوثنية من أجل الخصوبة، والإسكاتولوجيا الفارسية. وقد نجح الأمر - لكن ظل ليس حقيقًا بالضرورة. (نايتون، وآخرون صفحة ٩١)

لإزالة كافة هذه الترسُّبات الوثنية والتخلُّص منها للوصول إلى لبِّ الديانة المسيحية، سنجادل أنَّه من المهم جدًا حسم استعاراتها التوفيقية كعملية ترويج معيدة وفعَّالة خلال القرون الثلاثة أو الأربعة التي تلت صلب المسيح. سواء كان «دَين» المسيحية لهذه الديانات الوثنية عرضًا أم لا، فإنَّ الفكرة الرئيسي في جدلنا هنا هي أنَّ دافعها ليس أقل أسطورية من دوافع تلك الديانات، وستتمُّ معالجتها والتعامل معها على هذا الأساس. وهذا ينطبق بشكلٍ خاص على ميلاد المسيح من عذراء، معجزاته، عشاؤه الأخير، وأخيرًا، وليس آخرًا، موته وبعثه. من خلال منهج الاختزالية الفكرية أو التخيلية *Eidetic Reductionis*، وهو مفهوم من مفاهيم الظاهراتية لهوسرل والتي يمكن تطبيقها هنا، أقترح أنَّنا يجب أن نسعى وراء جوهر المسيحية من خلال إقصاء جميع هذه الخصائص والسمات المحدَّدة من اعتبارنا والمشتركة مع العبادات الوثنية في الوقت الذي ظهرت في المسيحية لأول مرة. والأهم في هذه العملية هو التشابه مع المثرائية، وهي الديانة التي سادت في روما لأكثر من قرن كامل من الزمن قبل اعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحية خلال العقد الأول من القرن الرابع للميلاد. (عجيبة، ٢٠٠٦). ومن الطبيعي إذن أن نرى على سبيل المثال لا الحصر تطابقا بين تاريخ ميلاد اله الشمس ميثرا ويسوع المسيح -٢٥ دجنبر...- كما أن هناك الكثير من هذه التماثلات. وينبغي استبعادها كلها بصفتها استعارات محتملة. وهذا يشبه إلى حدٍّ كبير أو ضئيل ما حاوله تولستوي الروسي في عمله التوفيقي «تعاليم يسوع»، وسنقوم بالأمر نفسه. والسؤال لم يعد ما إذا كانت قصة المسيح أسطورة، بل كيف وإلى أي مدى، وما الذي بقي لدينا عندما تمَّ استبعاد الأسطورة وإسقاطها؟

إذن، ما الذي يبقى من المسيحية إذا عرِّيناها من التماثلات والمصادر الوثنية؟ أقل بكثير ممَّا نتوقَّعه. وفي الواقع، يقول البعض، لا شيء على الإطلاق. فالمسيحية كانت ثانوية بالكامل. وحتى مضمونها اليهودي كان مستعارًا. يقول جوزيف مكَّابي، على سبيل المثال: «ولا واحدة من الآراء والأفكار الدينية الأناجيل المنسوبة ليسوع يمكن اعتبارها أصيلة أو مبتكرة» ( *McCabe* صفحة ٣٣٢).

هومر سميث يجادل بطريقة مماثلة بأنَّ الطقس فوق الجبل ربما مأخوذ من الكتاب الذي بات مفقودًا الآن *Logia* أو نصQ لأقوال المسيح التي تناقلها أتباعه، لم يكن شيئًا أكثر من عمل تجميعي توفيقي من المزامير، سفر إشعياء، كتاب سيراخ، أسرار أخنوخ/ إدريس، كتاب شمعون ليسره كتاب صلوات عبرية، ومصادر أخرى.

## ١-أ-٢- إمكانية وجود المسيح

لكن، مرةً أخرى، يتوجَّب علنا دعم إمكانية وجود المسيح، وأعتقد حرفيًا من خلال اعتبارنا وتقديرنا لنجاحه الباهر في نشره وترويجه لأخلاقه بكثافة وزخم لم يسبق لهما مثيل في أي مكان – وأيضًا تفنُّنه المذهل – وخواصِّه الفريدة التي تميِّزه ككائن بشري «ابن الإنسان»، ليس أكثر ليس أقل تعقيدًا وفرادةً من أفلاطون، وشيشرون، أو أي كاتب ومفكِّر وحكيم قديم. المسيح الذي أميِّزه في نهاية الأناجيل الأربعة من غير الممكن اختراعه أو ابتكاره من قبل هيئة أو تجميعه وتلفيقه بعملية ابتكار ذكية. لقد كان حقيقيًا – لكن ربما بشكل قد لا يريح أغلب المسيحيين.

حكم المسيح وأقواله وأمثاله مذهلة بحق، كما هي قدرته على الإقناع الأخلاقي، لكني مندهشٌ أيضًا ببذخه العدواني السلبي في مكافأة البراءة الصافية ببركة أبدية، في الوقت الذي يودع فيه أغلب الجنس البشري على حدٍّ سواء في الجحيم إلى الأبد – وحتى أولئك الذين يحملون في رؤوسهم أفكارًا فظيعة أو الذين يجرؤون ولو لمرة واحدة على إهانة شخص آخر ولو بكلمة غير مؤذية. «أيها الجهَّال والعميان» كان الإنسان ليعاقب في الجحيم إلى الأبد على هكذا تعبير، لكنه مع ذلك يستخدمه بنفسه مرتين ليصف به

الفريسيين مرة متى ٢٣: ١٧ والناموسيين «يا أغبياء» لوقا ١١: ٤٠. والأمر المدهش أنَّ الإنسان لا يستطيع أن ينظر إلى الآخرين نظرة شهوة وهذا ما يفعله أغلبنا معظم الأوقات. فمن الأفضل أن نقطع أطرافًا منَّا - أعيننا، أيدينا، أو أي شيء آخر - على أن نخاطر بالسقوط في الجحيم إلى الأبد: «قد سمعتم أنَّه قيل للقدماء: لاَ تَزنِ. ٢٨ وأمَّا أنا فأقول لكم: إنَّ كلَّ من ينظرُ إلى امرأةٍ ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبِهِ. ٢٩ فإن كانت عينكَ اليمنى تعثركَ فاقلعها وألقها عنك، لأَنَّهُ خيرٌ لكَ أن يهلكَ أحدُ أعضائكَ ولا يلقى جسدكَ كلُّهُ في جهنَّم. ٣٠ وإن كانت يدك اليمنى تعثركَ فاقطعها وألقها عنكَ، لأَنَّهُ خيرٌ لك أن يهلكَ أحدُ أعضائكَ ولا يلقى جسدكَ كلُّهُ في جهنَّم» متى ٥: ٢٧-٣٠.

مرةً أخرى، نلاحظ وجود عدائية سلبية تظهر نفسها؛ فهو يأمر بالحب والإحسان والصدقة، أو الجزاء يكون النار إلى الأبد. ويستمرُّ في طمأنته لنا بأنَّ الطريق إلى الجنَّة مضمون، لكنه ضيِّق - باستثناء قلَّة يستطيعون اجتيازه.

لكن الأمر الأكثر إزعاجًا هو أنَّ المسيح رفض العائلة بالفعل، بالنسبة لأغلبنا، كذلك بالنسبة لليهود الذين عايشهم، العائلة أمر مهم جدًا - لا بل إنها أهم شيء على الإطلاق. لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للمسيح، الذي تحتل العائلة بالنسبة له مكانًا ثانويًا بعد الدين. فقد تكلَّم المسيح بنفس الحماس غير المعتاد عندما تحدَّث عن ترك المرء لعائلته وأهله في سبيل الدين. وهذا كان خيار المسيحي في عمل بونيان «Pilgrim's Progress»، وذلك من أجل الفوز بالحياة الأبدية في الجنة:

لذا رأيت في منامي أنَّ الرجل بدأ يركض. والآن لم يخطو خطوة واحدة أبعد من عتبة داره، لكن زوجته وأولاده، يدركونه، ويأخذون بالبكاء عليه لكي يعود، لكن الرجل يضع أصابعه في أذنيه، ويجري مبتعدًا، وهو يصرخ ويبكي: حياة! حياة! حياة أبدية! لذا لم ينظر إلى الخلف، لكنه اندفع نحو إلى وسط السهل.

ومن هنا تبدأ الحبكة حيث يهرب المسيحيون من العائلة من أجل الفوز بالدخول إلى الجنة. والشيء نفسه قيل في إنجيل متى حيث جادل المسيح أنَّ:

«لا تظنُّوا أنِّي جئتُ لألقي سلامًا على الأرضِ. ما جئتُ لأُلقيَ سلامًا بل سيفًا. ٣٥ فإنِّي جئتُ لأُفرِّق الإنسانَ ضدَّ أبيهِ، والابنةَ ضدَّ أُمِّها، والكنَّةَ ضدَّ حماتها. ٣٦ وأعداءُ الإنسان أهلُ بيته. ٣٧ من أحبَّ أبًا أو أمًّا أكثرَ منِّي فلا يستحقُّني، ومن أحبَّ ابنا أو ابنةً أكثر منِّي فلا يستحقُّني، ومن لا يأخذُ صليبهُ ويتبعني فلا يستحقُّني». متى ١٠: ٣٤-٣٩

قد يستغرب البعض كيف يمكن للمسيح أن يكون مدركًا لأهمية الصليب بشكلٍ جيد قبل أن يصلب، لكن الرسالة سهلة وواضحة: هي أنَّ المسيح كان يريد تفكيك العائلات بغية تحقيق الخلاص لأتباعه. إنَّ محبَّة المسيح كانت أكثر أهمية من محبَّة الأقرباء والأهل. وهذه حالة مميَّزة جدًا من جنون العظمة موجودة ضمن هذه الكلمات.

لكن المسيح تحدَّث بشكلٍ مقتضب أكثر في إنجيل لوقا: «إن كان أحدٌ يأتي إليَّ ولا يبغضُ أباهُ وأُمَّهُ وامرأتهُ وأولادهُ وإخوتهُ وأخواتِهِ، حتَّى نفسهُ أيضًا، فلا يقدرُ أن يكونَ لي تلمِيذًا، ومن لا يحملُ صليبهُ ويأتي ورائي فلا يقدرُ أن يكونَ لي تلميذًا» لوقا ١٤: ٢٦-٢٧

ومرةً أخرى، يجادل المسيح في إنجيل متى: «وكلُّ من تركَ بيوتًا أو إخوةً أو أخواتٍ أو أبًا أو أمًّا أو امرأةً أو أولادًا أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئةَ ضعفٍ ويرثُ الحياة الأبديَّة». متى ١٩: ٢٩

ثم في نفس الإنجيل عندما يطلب أحد التلاميذ العودة إلى عائلته ليحضر جنازة والده، يجيبه المسيح: «اتبعني، ودعِ الموتى يدفنُون موتاهم» متى ٨: ٢٢.

في إنجيل متى، عندما يعيد المسيح تأكيد رفضه للطلاق[1] بحجَّة أنَّ «الذي جمعه الله

---

(١) وجاء إليه الفرِّيسيُّون ليجرِّبوه قائلين له: «هل يحلُّ للرَّجل أن يطلِّق امرأتهُ لكلِّ سببٍ؟» ٤ فأجاب وقال لهم: «أما قرأتم أنَّ الذي خلق من البدءِ خلقهما ذكرًا وأنثى؟ ٥ وقال: من أجل هذا يترك الرَّجل أباهُ وأمَّهُ ويلتصق بامرأتهِ، ويكون الاثنان جسَدًا واحدًا. ٦ إذًا ليسا بعد اثنين بل جسدٌ واحدٌ. فالذي جمعه الله لا يفرِّقه إنسانٌ». ٧ قالوا له: «فلماذا أوصى موسى أن يُعطَى كتابُ طلاق فتُطَلَّق؟» ٨ قال لهم: «إنَّ موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلِّقوا نساءكم. ولكن من البدءِ لم يكن هكذا. ٩ وأقول

لا يفرِّقه إنسان» سأله تلاميذه عن السبب في دفاعه وهجومه على مسألة الزواج في آنٍ معًا، وقد برَّر المسيح ازدواجيته هذه من خلال قوله أنْ «ليس الجميع يقبلون تعاليمه»، لكن تمامًا كما أنَّ هناك خصيان منذ ولادتهم وخصيان هم كذلك نتيجة خيار الآخرين. إذ يمكن للمسيحي أن ينال الخلاص من دون أن يكون خصيًا، فكلاهما - المسيحي والمخصي - بإمكانها الالتزام بهذه الحالة، وكلاهما لديهما فرصة جيدة لنيل الخلاص والحياة الأبدية في الجنة. هذه كلمات قاسية جدًا؛ إمَّا أن تخصي نفسك أو تتعلَّم كيف تفكِّر وتتصرَّف كشخص مخصي، لتضمن الخلاص. لكن ما هذا الخلاص؟ وماذا عن فضيلة الزواج وإنجاب أولاد وتربيتهم؟

حتى أنَّ المسيح قام باستبعاد الزواج من الجنة في إنجيل متى «لأنَّهم الأزواج والزوجات في القيامةِ لا يزوِّجون ولا يتزوَّجونَ، بل يكونون كملائكة الله في السَّماء» متى٢٢: ٣٠. لماذا كل هذه المعاداة للزواج؟ ألا يدفعنا ذلك للشك في أنَّ يسوع كان يعاني من مشاكل مع عائلته الخاصة، وترد إشارة على ذلك في نفس الإنجيل: «وفيما هو يكلِّم الجموع إذا أمُّه وإخوتهُ قد وقفوا خارجًا طالبين أن يكلِّموه. ٤٧ فقال له واحدٌ: «هوذا أمُّك وإخوتك واقفون خارجًا طالبين أن يكلِّموك». ٤٨ فأجاب وقال للقائل له: «من هي أمِّي ومن هم إخوتي؟». ٤٩ ثمَّ مدَّ يده نحو تلاميذه وقال: «ها أمِّي وإخوتي. ٥٠ لأنَّ من يصنع مشيئة أبي الَّذي في السَّماوات هو أخي وأختي وأمِّي». متى ١٢: ٤٦-٥٠. من هو ذلك الشخص الذي يترك عائلته يقفون عند عتبة الباب، العتبة التي لا يستطيعون تجاوزها للدخول. إنَّ إشارة يسوع الوحيدة إلى العائلة التي تربى في كنفها وردت في سفر متى عندما قال لتلاميذه: «ليس نبيٌّ بلا كرامةٍ إلاَّ في وطنه وفي بيتهِ». متى ١٣: ٥٧. وهل يمكن

---

لكم: إنَّ من طلَّق امرأته إلاَّ بسبب الزِّنا وتزوَّج بأخرى يزني، والذي يتزوَّج بمطلَّقةٍ يزني». ١٠ قال له تلاميذه: «إن كان هكذا أمر الرَّجلِ مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوَّج!» ١١ فقال لهم: «ليس الجميع يقبلونَ هذا الكلام بل الذين أُعطِيَ لهم، ١٢ لأنَّه يوجد خصيَانٌ وُلِدُوا هكذا من بطون أمَّهاتهم، ويوجد خصيَانٌ خصَاهُمُ النَّاسُ، ويوجدُ خصيَانٌ خَصَوا أنفسهم لأجل ملكوتِ السَّماواتِ. من استطاع أن يقبل فليقبل». [متى ١٩: ٣-١٢]

القول أن يسوع كان يعاني من خلل نفسي يمنعه من اتخاذ العائلة؟ خصوصا وأن ثمة مقاطع فهمت على أنها نوع من الشذوذ الجنسي كان يمارسه يسوع المسيح مع بعض تلاميذه؟

لقد كان الكاربوكراتيون على يقين من هذا في يسوع!، وقد كانوا يحتجون بمقاطع من إنجيل مرقس تم تحذفها فيما بعد لكن اثبتتها رسالة القديس كلمندوس التي اكتشفها البروفيسور مورتون سميث سنة ١٩٥٨ أثناء فهرسته لمكتبة دير مار سابا جنوب شرقي القدس.(١)

---

(١) نص رسالة كلمنت الى ثيودور: «إلى ثيودور... لقد فعلت حسنا في اسكات التعاليم الرديئة (لكاربوكرات) لأنهم كـ» النجوم الضائعة « المشار اليها في النبوءة، الذين يتيهون من الطريق المحدد للوصايا الى قعر خطيئة الجسد اللامحدودة. لتباهيهم بالمعرفة، كما يقولون، « في الاشياء العميقة للشيطان، فانهم لا يعلمون انهم يطردون انفسهم بعيدا الى « عالم الأموات المظلم « للكذب.، وبتباهيهم أنهم احرار، فقد اصبحوا عبيدا اذلاء للجسد. فمثل هؤلاء البشر يجب ان نقاومهم جميعا بشتى الطرق.
لأنهم حتى لو قالوا شيئا صحيحا، فان من يحب الحقيقة لا يجب عليه ان يتفق معهم. لأن ليس كل الأشياء الصحيحة هي الحقيقة، ولا يجب حتى تفضيل الحقيقة التي تبدو حقيقية لرأي الإنسان على الحقيقية الحقة حسب الإيمان.
الآن بالنسبة للأشياء التي يقولونها باستمرار عن إنجيل مرقص الموحى به من الله. بعضها مزيف، والبعض الآخر حتى لو حوى بعض الحقيقة. فهي على أية حال لم تقدم بالشكل الصحيح. لأن الأمور الحقيقية خلطت مع المزيفة، واسيء تقديمها، اذا، كما يقول المثل، حتى الملح فقد طعمه.
بالنسبة لمرقص، فخلال اقامة بطرس في روما فقد كتب حول اعمال الرب. وليس، على أية حال، جميع اعماله، ولا حتى لمح للأعمال السرية، لكنه اختار ما كان يعتقد ان له فائدة ليزيد من ايمان الذين كان يعلمهم. لكن حين مات بطرس شهيدا. جاء مرقص الى الاسكندرية، محضرا معه كتاباته وكتابات بطرس معه، فنقل (مرقص) الى كتبه الأشياء المناسبة التي تفيد في التقدم نحو المعرفة.
وهكذا ألف إنجيلا اكثر روحية ليستخدمه من يكون كاملا. لكنه على أية حال لم يفشي الأمور التي لا يجب افشائها، ولكن للقصص التي كتبت سلفا فقد زاد عليها. وبالإضافة الى ذلك، فكقائد ديني جلب اقوالا محددة يعرف ان تفسيرها سيقود المتلقين الى سبر اغوار الحقيقة المخفية من وراء سبعة حجُب.
لذلك، ففي الخلاصة، فقد اعد مسائل، لا مُكرها ولا غير حذر، في رأيي، وحين شارف على الموت، ترك مؤلفاته للكنيسة في الاسكندرية، حيث تحرس بعناية كبيرة. وتقرأ فقط لمن تعلموا الخفايا العظيمة. =

= لكن بما ان ( الجان – الارواح الشريرة) تخطط دائما لتدمير الجنس البشري، فان (الكاربوكراتيون)، تعلموا منهم واستخدموا فنون الخداع، فاستعبدوا احد قساوسة الكنيسة بالإسكندرية وحصلوا منه على نسخة من الإنجيل السري، ففسره حسب عقيدته الكفرية والجسدية، علاوة على ذلك، لوث، وخلط مع الكلمات النقية والمقدسة اكاذيب مخزية. ومن هذ الخليط خرجوا بتعاليم ( الكاربوكراتيون)، وبالنسبة لهم فكما قلت عالية، فلا يجب ان نفسح لهم المجال; ولا حتى حين يقدمون ( ادلتهم) الكاذبة، فلا يجب ان نعترف ان الإنجيل السري كتبه مرقص، ولكننا يجب ان ننكره حتى لو اقسمنا على ذلك. لأن « ليس كل الحقائق تقال للناس «. لهذا السبب فان حكمة الله لسليمان تقول « اجب الاحمق بنفس حماقته «، فنور الحقيقة يجب ان يخفى عن العميان بأذهانهم. مرة اخرى تقول ( الحكمة الإلهية)، « منه الذي سوف لن تؤخذ بعيدا « و» دع الاحمق يمشي في الظلام «. لكننا نحن « ابناء النور» تمت انارتنا من قبل « فجر «روح الله «من العالي» و»حيث تكون روح الله «، تقول، « هناك حرية «، لأن « كل الأشياء نقية للنقي».

إليك ( ثيودور)، اذن، سوف لن اتردد في اجابة اسألتك التي سألتها، لدحض الاكاذيب بكلمات الإنجيل، على سبيل المثال، بعد « وكانوا في الطريق ذاهبين الى اورشليم « وما بعدها، حتى « بعد ثلاثة ايام سوف يقوم «، الإنجيل السري يذكر هذا المقطع كلمة بكلمة:

« وجاؤوا الى قرية (بيت حاني) واذا بامرأة قد مات اخيها كانت هناك. وجاءت وسجدت ليسوع قائلة له « يا ابن داود، ارحمني «. فانتهرها التلاميذ. فغضب يسوع منهم وذهب معها الى الحديقة حيث كان الضريح. وفي الحال سمع صوت بكاء عالي من داخل الضريح. فدحرج يسوع الصخرة من امام الضريح. فذهب حيث كان الشاب فمد يسوع يديه واحياه. « فنظر الشاب اليه ( الى يسوع)، فاحبه وتوسله ليبقى معه. وعند خروجهم من الضريح، ذهبوا الى بيت الشاب، لأنه كان غنيا. وبعد ستة ايام قضاها يسوع يعلمه، جاء اليه الشاب في المساء مرتديا ثوبا (خفيفا) من الكتان فوق جسده العاري. فبقى معه تلك الليلة. يعلمه يسوع اسرار ملكوت الله «.وحين استيقظ يسوع، عاد الى الجانب الآخر من الأردن. وهذه الكلمات تتبع النص، « وجاء يعقوب ويوحنا اليه» وكل ذلك المقطع. لكن « رجل عاري مع رجل عاري « والاشياء الاخرى التي كتبتها لي، ليست موجودة. وبعد الكلمات.» وجاء الى اليهودية «، يضيف الإنجيل السري فقط،» واخت الشاب الذي احبه يسوع كانت هناك، مع امه وسالومه، لكن يسوع لم يستقبلهم « لكن اشياء كثيره مما ذكرتها لي يبدو انها اكاذيب وهي كذلك فعلا. انتهى

إذن هنا نقطة أساسية أخرى في تعاليم المسيح التي تحرِّك فضولي التفسيري. فهناك تركيز كبير جدًا على إسكاتولوجيا الجحيم والعقاب - وخصوصًا في إنجيل متى - كما أنَّ هناك تركيز شديد على رفض العائلة وإنكارها من أجل قيم وأهداف روحية. ما هي الصلة التي تربط هذين الهوسين مع بعضهما؟ نحن لا نمتلك الوقت والمكان الكافيين لتناول هذه المسألة بالتحديد، لكنها تؤكِّد ما أصبو إليه:

١. أنَّ رؤيا المسيح كانت في النهاية نتيجة الكاتب نفسه وليس نصِّه وهذا معناه أنَّ المسيح كان موجودًا بالفعل ككائن بشري.

٢. أنَّ نصَّه أفلت التنقيحات التحريرية الفعَّالة بما يكفي للتخلُّص من العواطف والمشاعر الخارجة عن السيطرة جزئيًا والتي تنزع لتأكيد حقيقة أنَّ أكثر أفكار المسيح قسريةً هي من بنات أفكاره الخاصة. بمعنى آخر، المسيح نفسه قفز من فوق القمَّة كما فعل كل من أفلاطون، شكسبير، وعلى الأرجح العديد غيرهم في تاريخ الحضارة الغربية.

من المؤكَّد أنَّ المسيح كان موجودًا، لكن آراءه يجب أن تعرض بعناية وأن تُغَربَل بحذر شديد مقارنةً مع تجربته الخاصة. معظم تعاليمه مفيدة وصالحة بالتأكيد، لكن هناك تعاليم أخرى خطيرة ومؤذية بالنسبة لأغلب الناس.

يمكننا استنتاج ما يلي: أنا نفسي لا أستطيع تقبُّل فكرة ألوهية المسيح، ولا الإسكاتولوجيا الخاصة به والتي تبشِّر بالجحيم والعذاب الأبديين، وبصراحة أنا مروَّعٌ من عدوانيته تجاه الدين، والتي لا يستطيع تجاهلها والتغاضي عنها إلا كل مسيحي أعمى القلب والبصيرة. ولا غرابة أن تمنع الصين الشعبية دخول الكتاب المقدس بدعوى تحريضه على العنف! (المطران دي لاس كازاس). لكنني ما زلت مأخوذًا بعبقرية السيد المسيح الفذَّة والتي تمثَّلت في تمكُّنه من تشكيل وصياغة رؤية لالتزام شخصي ضروري وهام جدًا لتاريخ الحضارة الإنسانية اللاحقة. شاب أعزب وبمفرده، في بدايات مسيرته على الأقل، سعى لتحقيق إنجازات حضارية قريبة من العلمانية، ممهِّدًا الطريق للدخول في عصور مظلمة ووسطى، وفي الصراع الديالكتيكي بين الاعتقاد الأرثوذكسي والاعتقاد العلمي خلال القرون الأربعة الأخيرة.

## ١- ب- القرآن يشهد للمسيح

إننا في المسيحية أمام غياب للمرجعية النهائية التي تقاس عليها المراجع الأخرى، وتتحدد هرطوقيتها من قانونيتها. فقبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، يصعب علينا من الناحية العلمية الموضوعية تحديد البدعي من اللاهوت من القانوني منه. وهذا موقف خطير جدا على الكنيسة ما بعد نيقية. لأننا بذلك سنكون مضطرين إلى تقديس كل رجالات الدين المسيحيين في تلك الفترة المبكرة أو تبدعيهم جميعا!! وإلا فما هو المرجح الذي يعطي الأحقية الالاهية عن الأحقية الأرضية. يقول زياد منى «نرى أن من غير الممكن حل المشكلة عبر توظيف هذين الشاهدين فحسب، خاصة في غياب أي مراجع أخرى» (منى، ٢٠٠٤ صفحة ٧٣). إذن فهي أزمة مرجعية بكل معنى الكلمة. إن معيار التصويت الذي تم اعتماده لاحقا يعد نموذجا للمعايير البائسة، لأن الألوهة لا تحدد بالتصويت ولكن تحدد بمدى التطابق التاريخي مع حقيقة الوحي باعتباره الأصل التشريعي والكرازي للتعليم. وحتى بالمعنى المعتمد عند الأكثرية فأكثر الطوائف كانت مناقضة للاهوت الأرثودوكسي لمجمع نيقية وهو تهديد ايضا للمسيحية المعيارية الحالية. وقد تطور الوضع اللاهوتي فيما بعد مجمع نيقية حتى صارت الآريوسية هي ديانة الإمبراطورية الرومانية وقد احتلت ثلاثة اربع العالم المسيحي.

فإننا بحاجة إلى مرجع الديني الهي يزكي المسيحية من الخارج ويشهد للمسيح ويحكم بين الطوائف المتناحرة من حيث موافقتها للمسيح وتعاليمه أو بعدها عنه. وقد كان القرآن الكريم باعتباره كلام الله - أو على الأقل هذا ما يشهد به لنفسه ويشهد به أهله- ولم يزل الشاهد الصادق على تاريخ المسيحية التي لم تزل تشهد هزات وضربات حتى أتت على إنكار الوجود التاريخي للمسيح نفسه! إذن فالقرآن يشهد للمسيح. كيف ذلك؟

## ١-ب-١- الحقيقة التاريخية في القرآن

يقول الدكتور عماد الدين خليل «في الحقيقة هنالك ثلاثة مستويات في تعامل القرآن مع الوقائع التاريخيـة ذات المعنى الديني، فعلى المستوى الأول السرد التاريخي للوقائع وهذا يغطي مساحات كبيرة من القرآن قد تتجاوز النصف من الكتاب. والمستوى الثاني يذهب إلى ما وراء الحدث لكي يعطينا تصورا عن السنن التي تحرك التاريخ، ما يسميه فلاسفة التاريخ بقوانين الحركة التاريخية. وثمة طبقة ثالثة تحدثنا عن الجانب الحضاري، عن القوة المؤثرة التي تصنع الحضارات والأمم والدول والإمبراطوريات أو تقودها إلى الانكماش والسقوط. فالقرآن الكريم في تعامله مع التاريخ يتحدث في إطار الثلاثة مستويات هذه، المستوى الأولى يُعنى به المؤرخون والمستوى الثاني يُعنى به فلاسفة التاريخ والمستوى الثالث يُعنى به دارسو الحضارات..» (خليل).

ويستشهد القرآن ببعض الوقائع التاريخية ويجعل بعضاً من تلك الأحداث التاريخية دليلاً على صدق القرآن أو النص القرآني فعلى سبيل المثال فرعون الذي أغرق في ملاحقته لموسى في البحر وهو الذي أشار القرآن الكريم إلى أنه سيجعله آية لمن خلفه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً..﴾ (سورة يونس:٩٢).

تبين من خلال الدراسات التاريخية أن رمسيس هذا هو نفسه الذي أغرق في زمن موسى ولا يزال جسده المحنط موجوداً في متحف مصر للآثار القديمة، ومثال آخر عندما يقول القرآن: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ (سورة الروم:٢)، في العصر المكي والمسلمون كانوا مضطهدين تلاحقهم الوثنية من كل مكان ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ﴾ (سورة الروم:٢ - ٥)، هذا وعد تاريخي في أن حدث ما سيقع بعد بضع سنين يعني كما يقول الدارسون سبع إلى تسع سنوات وكان المسلمون قد حزنوا لهزيمة البيزنطيين النصارى باعتبارهم أهل الكتاب على يد الوثنيين الفرس فوعدهم القرآن بأن النصر آت قريباً لا ريب فيه، وفعلاً بعد سبع سنوات استطاعت

الدولة البيزنطية زمن هرقل أن تضرب الفرس ضربة في الجزيرة الفراتية قريبة من الموصل ضربة قاصمة كادت أن تكسر عمودهم الفقري فجاء القرآن الكريم بوعده الصادق مطابقاً للمعطى التاريخي، وكذلك في سورة يوسف لا يرد اسم فرعون على الإطلاق لأن يوسف ظهر في الفترة الهكسوسية التي حكم فيها الهكسوس مصر وأخرجوا الفراعنة ودفعوهم إلى بلاد النوبة وسيطروا على مقدرات مصر وشكلوا مملكة، فالذي كان يحكم مصر آنذاك كان يسمى ملكاً وليس فرعوناً فسنجد اسم الملك يتردد في سورة يوسف ولا نجد أي أثر لاسم فرعون.

إن القرآن ليس كتاب تاريخ في نهاية الأمر، يعني على ما في القرآن من مساحات واسعة أعطيت للتاريخ فهو ليس كتاب تاريخ، بمعنى أنه لا يحاول أن يغطي الأحداث بكل تفاصيلها وإنما يجتزئ من هذه الأحداث الخطوط العريضة التي يمكن أن تستخلص منها العبرة أو المغزى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.. أي لذوي العقول القديرة على استخلاص المغزى من قراءتها للتاريخ.. ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يوسف:١١١)، فكأن قراءة التاريخ تعطينا المغزى وتعطينا التعاليم التي ترحم الأمم والشعوب من أن تقع في مطبات جديدة من أن تنزلق باتجاه ما انزلقت إليه الأمم الأخرى، معلم كبير هذا التاريخ، والقرآن الكريم يمنح هذه المساحات الكبيرة للتاريخ لكي يعلمنا، كأنه يمنحنا موصلة السير في الحياة من أجل ألا نقع في ما وقعت فيه الأمم السابقة. فالقرآن وهو يتعامل مع التاريخ سردا قد يكسر حاجز الزمن لا يذكر الزمن على الإطلاق، قد يكسر حاجز المكان لا يحدد المكان، قد يكسر حتى حاجز الشخوص التاريخية التي يتشكل بواسطتها الحدث التاريخي، وإنما يمضي إلى ما وراء الزمن ما وراء المكان ما وراء الشخوص إلى الواقعة التاريخية في خلاصاتها الأساسية من أجل أن نستخلص منها العبرة والمغزى التي تضيء لنا الطريق في اللحظات الراهنة إلى المستقبل الموعود.

## ١-ب-٢-القرآن وحي من عند الله لا من البشر

لقد ظهر القرآن في بيئة غير بيئة المسيحية. في وسط شبه الجزيرة العربية خصوصا في مكة التي لم تشهد حضورا للمسيحية. وقد كانت مهد الوثنية في شبه الجزيرة كلها ومحج الوثنيين لحج بيت ابراهيم أبو العرب وجدهم المقدس. وما كان صناديد الوثنية أن يقبلوا بدين جديد ينافسهم على أرواح الناس ويبق عليهم تجارتهم. هذا من جهة أولى. ومن جهة ثانية: فنبي القرآن محمد ﷺ كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة حتى لغته الأم فضلا على اللغات الأخرى، بالتالي تسقط نظرية الاستلهام الخارجي، التي أحياها بعض المستشرقين الغربيين مثل آرثر جفري، ١٩٢٦ وتيودور نودلكه، ٢٠٠٠ وباتريشيا كرونه ومايكل كوككرونه وكوك، ١٩٩٩ وبيير كرابون دي كابرونادي كابرونا وغيرهم. وهي نظرية سبق إليها وثنيو العرب وقد دحضها القرآن نفسه. والذي يؤكد على أصالته الربانية ويدافع عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة النحل:١٠٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الحاقة:٤٠-٥٢) وقال تعالى: ﴿الر ۞ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سورة ابراهيم:١). فهو كتاب منزل من الله، الوهية المصدر، ولا دخل للبشر فيه. الهدف منها إخراج الناس من ظلمات الجهل وعدم المعرفة إلى يقين المعرفة بشتى أصنافها التاريخية واللاهوتية والأخروية...الخ ليسير الناس في الدنيا ويوم الدينونة على صراط عزيز حميد. ومن جهة ثالثة: اعتبار القرآن المسيح من اولي العزم من الرسل اي من الرسل والشخصيات الدينية الخمس الأعظم في التاريخ الديني للبشرية. وهذا النظر الإيجابي لشخصية المسيح تحول دون تزييف الحقيقة أو الافتراء عليه، فهو وصف للحقيقة التاريخية كما هي.

## ١-ب-٣-القرآن يشهد بوجود التاريخي المسيح

القرآن حافل بذكر السيد المسيح عليه السلام، بل وخصص سورة كاملة لبيان فضل أمه السيدة مريم تسمى بسورة مريم. وهذا تشريف لم تؤته امرأة قط من العالمين ولا أم النبي محمد ﷺ أو زوجته خديجة التي كان يكن له محبة خاصة.

وقد ذكر المسيح إجملا في القرآن ٣٥ مرة على التفصيل التالي:

*ذكر المسيح عشر مرات في القرآن كما يلي:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٤٥).

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (سورة النساء: ١٥٧).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (سورة النساء: ١٧١).

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (سورة النساء: ١٧٢).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة المائدة: ١٧).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (سورة المائدة: ٧٢).

﴿مَا الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة المائدة: ٧٥).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابن اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابن اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٠).

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابن مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣١).

## ذكر عيسى في القرآن ٢٥ مرة، كما يلي:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨٧).

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٣٦).

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٣).

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٤٥).

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٥٢).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٥٥).

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورةآل عمران: ٥٩).

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٤).

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (سورة النساء: ١٥٧).

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (سورة النساء: ١٦٣).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (سورة النساء: ١٧١).

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابن مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة المائدة: ٤٦).

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (سورة المائدة: ٧٨).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة المائدة: ١١٠).

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٢).

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٤).

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (سورة المائدة: ١١٦).

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٥).

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (سورة مريم: ٣٤).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (سورة الأحزاب: ٧).

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (سورة الشورى: ١٣).

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (سورة الزخرف: ٦٣).

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابن مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد: ٢٧).

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الصف: ٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (سورة الصف: ١٤).

## ١-ب-٤-القرآن يشهد بالميلاد المعجز للمسيح

فبين الانكار التاريخي للمسيح باعتباره شخصية اسطورية من نسيج المخيال المسيحي. وبين اتهامات اليهود للمسيح باعتباره ابن زنى. فقد جاءت به أمه مريم بنت عمران وهي غير متزوجة! فهي أم عازبة والابن ابن غير شرعي!

الناس في **العالمين** بين هذين الفريقين. وكل له موقفه الذي يُرى في الظاهر منطقيته. فكيف يكون الانسان الذي يأكل ويشرب ويقضي حاجته الطبيعية ويخاف ولا يعلم ما يُفعل به إلها. وهو خالق العالم ورب البرية أجمعين؟؟ وفي نفس الوقت كيف يكون قديسا نبيا من ولدته أمه العزباء غير المتزوجة؟. فدخلت به بيت اسرائيل الطاهر. حيث للعرض قدسيته وقد أوصت به الوصايا العشر المقدسة. وعاقب الناموس على انتهاكه بحد الرجم حتى الموت؟؟ -سفر التثنية ٢٢: ٢٣-٢٤-.

هناك حلقة مفودة في الأناجيل القانونية:

لقد اختلفت الأناجيل في كل شيء في نسب يسوع المسيح الا شيئا واحدا فقط هو نسبه إلى يوسف النجار، واوردت النص المثبت لخطبة يوسف النجار ابن التسعين سنة لمريم ام يسوع بنت الاثنا عشر سنة، والذي يشكك في بنوة يسوع ليوسف بالحقيقة!![١]

ولكن هناك نص يثبت بنوة حقيقية ليسوع ابن النجار حسب كلام الانجيل في انجيل لوقا ٢ :٤٨ (وقالت له امه يا بني لم **فعلت بنا هكذا هو ذا ابوك** وانا كنا نطلبك معذبين).

فهذا النص المكتوب في الانجيل على لسان مريم ام يسوع تؤكد فيه له انها وابوه كانا يطلباه معذبين، فهو اعتراف انجيلي بالزنا خصوصا وأن يوسف كان مجرد خطيب لمريم كما في متى ١ :١٨ «وأما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمه **مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا**، وُجدت حبلى من الروح القدس». أي قبل أن يتزوجا رسميا فتحل له. ويؤكد ذلك لوقا قائلا: « وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهَذَا الاِكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ. فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، **لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى**. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابنها الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ» **فالحبل حسب النصين وقع في فترة الخطوبة لا في وقت الزواج الحلال! وبناء عليه فنسبة الأناجيل المسيح للنجار اتهام ضمني لمريم بالزنا.** ويؤكد نظريتنا ما قاله القدّيس جيروم في الرد عليه: «لو أن انسانًا قال: قبل الغذاء في الميناء أبحرت إلى أفريقيا»، فهل كلماته هذه لا تكون صحيحة إلا إذا أرغم على الغذاء بعد رحيله! وإن

(١) مريم كانت من سبط لاوي مثل قريبتها أليصابات بينما يوسف النجار كان من سبط يهوذا. وحسب الشريعة المتضمنة في سفر العدد من العهد القديم فيحرم زواج سبط من سبط. فلا يكون الزواج إلا بين ابناء السبط الواحد. فقد تكون هذه العلاقة بين مريم ويوسف من اقحامات كتاب الأناجيل في محاولة لفك لغز عدم اقامة العقوبة على مريم من الحبل الغير شرعي. فليتأمل

قلت أن «بولس الرسول قُيّد في روما قبل أن يذهب إلى أسبانيا»، أو قلت «أدرك الموت هلفيديوس قبل أن يتوب» فهل يلزم أن يحلّ بولس من الأسر ويمضي مباشرة إلى أسبانيا، أو هل ينبغي لهلفيديوس أن يتوب بعد موته؟... فعندما يقول الإنجيلي «قبل أن يجتمعا» يُشير إلى الوقت الذي سبق الزواج مظهرًا أن الأمور قد تحقّقت بسرعة **حيث كانت هذه المخطوبة على وشك أن تصير زوجة**... وقبل حدوث ذلك وُجدت حُبلى من الروح القدس... لكن لا يتبع هذا أن يجتمع بمريم بعد الولادة» (الملطي). وسواء تزوج بها نكاحا من بعد فأنجبا اخوة يوسف أم لا فليس هذا موضوع البحث لعلنا نبينه في مقام آخر. لكن الشبهات قائمة حول المسيح في نسبه وهي كلها تنحو نحو الأسوء بطبيعة الحال. وهو ما أكده التلموذ وتذكر الموسوعة اليهودية عن يسوع أنه كان يلقب بلقبي المجهول وابن الزنا (*bastard*). كما ويذكر الفيلسوف اليوناني كلاسيوس أن أم يسوع إرتكبت الزنا مع بانديرا -الجندي الروماني- وأنجبت ابن الزنا يسوع وكانت تعيش في خزي وعار.

السؤال التي نطرحه في هذا المقام: هل في الشريعة اليهودية عقوبة على زنا المخطوبة؟ الجواب نعم، فقد جاء في تثنية الاشتراع من العهد القديم «٢٣وَإِذَا **الْتَقَى رَجُلٌ بِفَتَاةٍ مَخْطُوبَةٍ** لِرَجُلٍ آخَرَ فِي الْمَدِينَةِ وَضَاجَعَهَا ٢٤ فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى سَاحَةِ بَوَّابَةِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا، لأَنَّ الْفَتَاةَ لَمْ تَسْتَغِثْ وَهِيَ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلَ لأَنَّهُ اعْتَدَى عَلَى خَطِيبَةِ الرَّجُلِ الآخَرِ، فَتَسْتَأْصِلُونَ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكُمْ» فيكون يوسف النجار قد دنس عرضه واعتدى على شرف نفسه.

كما أن المخطوبة وفي هذه الحالة وحسب الرواية الانجيلية مريم بنت عمران تستحق الحرق والقتل للأنها دنست قدسية بيت أبيها الكاهن الذي تربت فيه وحسبت عليه. المسمى زكريا -وحسب إنجيل بشارة يعقوب أن يوسف من كفل العذراء إثر قرعة قام بها زكريا بعد تجاوز مريم الثانية عشر من عمرها-.فتكون عقوبتها الحرق طبقا لسفر اللاويين ٢١:٩ « وَإِذَا زَنَتِ ابنةُ الْكَاهِنِ فَيَجِبُ حَرْقُهَا لأَنَّهَا دَنَّسَتْ قَدَاسَةَ أَبِيهَا». لكن لماذا لم يتم حرق مريم وانزال العقوبة عليها بعد اتيانها بالوليد الى اليهودية الأوتوذكسية؟؟

ليس لدى الكنيسة في الكتب المعتمدة عندها من الكتاب المقدس جوابا صريحا وقاطعا على هذا الاشكال؟ فقد أجاب الآباء الأولون بما يلي:

أن الكتاب المقدّس يؤكد أن الحبل به في أحشاء القدّيسة مريم تحقّق بالروح القدس، الذي هيّأها وقدّسها ليحل كلمة الله فيها، ابن الله الوحيد. إنه ليس من زرع بشر، إذ تحقق الحبَل وهي مخطوبة للقدّيس يوسف. وكانت الخطبة ليوسف البار أمرًا ضروريًا، لأسباب كثيرة منها ما ذكره القدّيس جيروم:

أولاً: لكي يُنسب للقدّيس يوسف قريب القدّيسة مريم، فيظهر أنه المسيّا الموعود به من نسل داود من سبط يهوذا.

ثانيًا: **لكي لا تُرجم القدّيسة مريم طبقًا للشريعة الموسويّة كزانية**، فقد سلّمها الرب للقدّيس **البار الذي عرف برّ خطيبته**، وأكّد له الملاك سرّ حبلها بالمسيّا المخلّص.

ثالثًا: لكي تجد القدّيسة معها من يعزّيها، خاصة أثناء هروبها إلى أرض مصر» (الملطي)

نقول ردا على القديس جيروم: أين الدليل من شريعة العهد القديم على جواز نسبة الابن لغير أبيه؟ وكيف صدق اليهود هذه الحيلة عندما نسب الولد ليوسف؟ وهل الخطبة كالزواج في بناء الأسر بحسب الناموس؟ مع أن الأصل اليوناني لمتى تحدث عن يوسف النجار كرجل لمريم وليس كخطيب. «ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح.» دون تحديد لصفة هذا الرجل هل تعني صديق او زوج او خطيب، او رفيق او صاحب او اب او اخ او ابن..!! ولحد الساعة فالعلاقة بين مريم ويوسف لا تزال غامضة. لكن الذي عليه أكثر المحققين من الآباء الرسوليين أنهما لم يكونا متزوجين زمن الحبل وولادة المسيح. فلماذا لم يقم عليهما الحد؟؟ لا جواب مقنع إلى يومنا هذا.

والقرآن يشهد مرة أخرى للمسيح وأمه البارين الكاملين.

ما كان لليهود السكوت على جريمة شنعاء وسط اليهودية المحافظة. خصوصا وأن

القضاة اليهود كانت لهم سلطات تفويضية من اللأباطرة الرومان لتطبيق ناموسهم على الشعب. ولنترك القرآن يمارس شهادة البراءة لمريم التي احصنت فرجها ولابنها المسيح ابن الله وكلمته: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا** ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ **قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا** ﴿٢٧﴾ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ **قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** ﴿٢٩﴾ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا** ﴿٣٠﴾ **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴿٣١﴾ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا** ﴿٣٢﴾ **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴿٣٣﴾ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

**لقد وقعت المعجزة غير المنتظرة.** معجزة لم تسجلها حتى المصادر المسيحية القانونية والأبوكريفية -حسب ما وصلنا من مخطوطاتها حتى الآن-. لقد تكلم المسيح في المهد مدافعا بلسان فصيح عن أمه وطهارتها من البهتان، وهو بذلك يدافع عن نفسه أفصح وأبلغ من مدافعة الشخص البالغ أو العالم. لقد اندهش الفريسيون والأحبار والكتبة من هذه المعجزة. وأُحرجوا أمام الشعب في اليهودية الذين باتوا ينظرون لمريم وابنها

كقديسين لا كخاطئين. وأمام هذا الواقع صار من المستحيل اقامة الحد أو العقوبة على مريم لأنها بذلك ستصير في أعين عامة الشعب من الشهداء لا من الخاطئين.

والتراث اليهودي الفريسي وإن لم يستطع للعائلة المقدسة سبيلا، لكنه لم يزل ينظر إلى هذه المعجزة كنوع من أنواع السحر والدجالة التي لن يقبل بها الأحبار ولن يستسيغوها ديانة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة الصف:٦). **كيف يولد ابن من غير أب؟** يرد عليهم القرآن بأن قدرة الله بالغة. والله على كل شيء قدير. ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة مريم:٣٥).

وهنا القرآن يؤكد مرة أخرى على بتولية أم المسيح مريم الطاهرة وبُعدُها عن اي دنس. فقال ردا على اليهود ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء:١٥٦). ويؤكد بيتولية مريم بقوله تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابنتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (سورة التحريم:٢١)، وقال أيضا ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابنهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء:٩١).

لولا القرآن الذي كشف هذه الحقيقة التاريخية، ولولا شهادته في العالمين اليوم للمسيح وأمه ما كان في البشرية أحد سيصدق بوجودهما أو على الاقل سيصدق بكرامتهما وطهارتهما. وسيرة نبي الاسلام محمد ﷺ مليئة بتكريمهما وذكرهما العطر في نفوس المليارين من البشرية على هذه البرية.

## ٢- قصة المسيح عيسى ابن مريم في القرآن

بعد أن بينا فقدان المرجعية في البناء الداخلي للديانة المسيحية الأولى. وإن ما يزيد الباحث دهشت وحيرة عن ماهية الدين المسيحي، وعن القضايا الكبرى التي أرقت ولا تزال العقل الديني المسيحي خصوصا ما يرتبط بطبيعة المسيح وقضية الصلب والعلاقة مع الآب تعالى ذكره.

سنختم كتابنا هذا ببيان موقف المرجعية النهائية للقرآن الكريم في تقرير ما اختلفت فيه الطوائف المسيحية منذ القرن الأول الذي توفي فيه المسيح ورفع.

### ٢-١- عيسى من البشر إلا أنه ليس له أب:

لقد ذكر الله تعالى بشرية المسيح في آيات كثيرة من القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (سورة آل عمران:٥٩). فليس عيسى هو الوحيد الذي خلق من البشر وليس له أب؛ فآدم ـ خلقه الله ولم يكن له أم ولا أب، والله على كل شيءٍ قدير. وقال تعالى:﴿مَا الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة المائدة:٧٥). وقوله «كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ» دليل ظاهر على أنهما عبدان، فقيران محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد.

### ٢-٢-القرآن ينفي بنوة المسيح:

يعتقد النصارى أن المسيح عيسى ابن الله، فنسبوا الولد لله الواحد الأحد. والنصارى متناقضون في حقيقة المسيح وماذا يعني عندهم، ومن الآيات الواردة في نفي ما زعمه النصارى ما يلي: قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة مريم:٣٤).

فجاءت الآية بتعبير « الولد» لا «الابن» لأنه هو العبارة التي تداولها مجمع نيقية في أمانته اللاهوتية فجعلوا المسيح ابن الله «المولود قبل الدهور». وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكاً من قائله لا علم له به، ولهذا قال: ﴿قول الحق الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم. فمن قائل عنه: إنه الله!أو ابن الله! أو ثالث ثلاثة! فـ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ (سورة مريم:٣٥)، أي: ما ينبغي ولا يليق، لأن ذلك من الأمور المستحيلة، لأنه الغني الحميد، المالك لجميع الممالك. فكيف يتخذ من عباده ومماليكه، ولداً؟! سُبْحَانَهُ أي: تنزه وتقدس عن الولد والنقص.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۞ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۞ إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۞ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (سورة مريم:٨٨). وهذا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولداً، كقول النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزير ابن الله، والمشركين: الملائكة بنات الله.

## ٢-٣-المسيح عبدٌ من عباد الله تعالى:

إن الله قد خلق جميع الخلق لعبادته وطاعته، والمسيح من خلق الله ومن عباد الله، لذلك فإنه أول ما تكلم قال:﴿إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِى بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (سورة مريم:٣٠). وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (سورة مريم:٣٦)، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ (سورة النساء:١٧٢)، ولن يستنكف بمعنى أن المسيح لن يمتنع عن عبادة الله كما أنه لن يستكبر.

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِى إِسْرَايِيلَ﴾ (سورة الزخرف: ٥٩).

## ٢-٤-عيسى رسول مُرْسَلٌ من عند الله:

إن عيسى هو أحد الرسل أولوا العزم الخمسة وهم:نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ. وقد ذكرهم القرآن في آيتين: احداهما في سورة الأحزاب والثانية في سورة الشورى. وقد قال الله تعالى في إثبات أنه رسول من عنده:﴿مَا الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾سورة المائدة:٧٥. وقال تعالى ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابن مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإنجيل وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ سورة الحديد: ٤٦. عيسى رسول إلى بني إسرائيل خاصة، ومتبع ومكمل لشريعة موسى:لقد أرسل الله تعالى عيسى لدعوة بني إسرائيل خاصة ومما يدل على ذلك:

قوله تعالى ﴿رَسُولًا إِلَى بَنِى إِسْرَايِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ سورة آل عمران:٤٩. ولم يزل الحواريون يكرزون بالإنجيل لليهود حتى جاء بولس فقبلوه على مضض، كما أخبر برنابا في إنجيله، فكرز للأمميين، فغير الناموس الموسوي وحول الخلاص من الإيمان بالله والعمل الصالح إلى الايمان بيسوع المسيح وحده (ماكبي).

قال مايكل هارت «**وبولس الرسول** هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى. وهو المسؤول الأول عن -تأليه المسيح-. بل ان بعذ الفلاسفة يرون أنه هو الذي اقام المسيحية وليس المسيح. ولكن مكا كان يمكن أن يكون لبولس هذا القدر العظيم لولا المسيح نفسه» (هارت صفحة ٢١، ترجمة ٦).

وقوله تعالى ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾سورة آل عمران:٥٠.

## ٢-٥-المسيح دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له:

كل الأنبياء دعوا إلى توحيد الله وعبادته وحده، ونهوا وحذروا من الشرك في عبادته. وقد كانت دعوة عيسى إلى عبادة الله جل وعلا، قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ سورة مريم:٣٦ وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة المائدة:١١٦).

## ٢-٦-القرآن ينفي ألوهية المسيح:

لقد عبد النصارى عيسى ابن مريم وجعلوه إلهاً وغلوا فيه غلواً كبيراً فادعوا أنه الرب وأنه المعبود والإله وقد اجتهد المسيح في دعوة النصارى وإثبات أنه عبد لله تعالى وبلغ البلاغ المبين، فقد انقسمت الطوائف إلى ثلاث في موقفهم من عيسى: فاليهود قد كفروا به وعادوه وأرادوا قتله فرفعه الله إلى السماء.وغلا فيه النصارى وعبدوه واتخذوه إلهاً من دون الله وهذه هي الطائفة الثانية، واتبعه قلة وهم الحواريون الذين نصروه وآزروه وأثنى عليهم القرآن الكريم في عدة آيات.

وقد قال محمد ﷺ النبي محذراً من الغلو الذي وقع فيه النصارى:» لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» (البخاري، ١٤٢٢هـ). وقال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ سورة المائدة:١٧١. وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ سورة المائد:٧٢.

## ٢-٧-معجزات عيسى:

لقد أيّد الله رسله بالآيات التي تدل على صدقهم، وأنهم مرسلون من عنده. كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ، أَوْ آمَنَ، عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ) (البخاري، ١٤٢٢هـ كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، ج٩ صفحة ٩٢). وقد أُيد المسيح عيسى ابن مريم بآيات ومعجزات؛ وبيّن المسيح أن هذه الآيات من عند الله تعالى، وليست من عند نفسه، وهذا ما درج عليه الأنبياء، حيث إنهم يستدلون بالمعجزات على صدقهم وصحة أخبارهم عن الله تعالى في دعوتهم ليعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً.

ومن هذه المعجزات: كلامه في المهد قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ سورة مريم:٢٧. وهذه معجزة لم يعرفها التقليد المسيحي ولا الكتابي من قبل. حسب ما وقفنا عليه من تراثهم. فهي خصيصة قرآنية محضة.

ومنها: إحياؤه الموتى بإذن الله وإبراؤه ذوي العاهات مثل الأكمه والأبرص والأعمى بإذن الله ونفخه في الطين الذي كهيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله قال الله تعالى عنه:

﴿وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران:٤٩. وقد سجلت هذه المعجزات في إنجيل توما المكتشف سنة ١٩٤٥. وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنجيل وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ سورة المائدة:١١٧.

ومنها: المائدة التي أنزلها الله عز وجل من السماء، قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أنزل عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾سورة المائدة: ١١٥. وقصتها من معجزات التاريخ المسيحي القرآني، لأنها غير مذكورة في أي إنجيل من الناجيل القانونية أو الأبوكريفية المكتشفة.

## ٢-٨-الحواريون يضرب بهم المثل في النصرة وصدق الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾سورة المائدة:١١١.

إن من فضل الله تعالى ومنته على المسيح عيسى أن جعل له أنصاراً وأصحاباً آمنوا به وصدقوه ونصروه وامتثلوا أمر الله تعالى، ولذلك فقد مدحهم الله وأثنى عليهم.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ

لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ سورة الصف:١٤. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾سورة آل عمران:٥٢.

أما خيانة الحواري يهوذا الأسخريوطي فهذا معتقد لم يتم تقريره حتى القرن الرابع في مجمع نيقية والمجامع بعده. ولم تزل مكانة يهوذا الأسخريوطي محل تقدير اكثر الطوائف المسيحية الأولى ماعدا البولسية من لأأتباع رسول الوثنيين شاؤول بولس. تؤمن بعض الطوائف المسيحية بأن يهوذا برئ من تهمة الخيانة، وبأنه إنما قام بفعلته تلك لخدمة السيده المسيح، وهو المعتقد الذي بشر به انجيل يهوذا الذي يرجع الى القرن الثاني الميلادي. وقد ذكره القديس ايريناوس -١٣٠-٢٠٠ميلادية- في «ضد الهراطقة». وتذهب جماعة القايينيين إلى أبعد من ذلك فتبجل شخص يهوذا وتعتبر ان قيامه بتسليم يسوع للموت كان لغاية نبيلة وهي تخليص العالم من الخطيئة، لذك يجب احترام وتقديس يهوذا بل وشكره على مساعدته المسيح، فيهوذا علم بأن يسوع كان خائفا مما هو مقدم عليه فخشي أن يتراجع نهائيا عن فداء البشر لذلك «خانه» أو سلمه لرؤساء الكهنة لكي لا تعاق عملية الخلاص.

وقد نقل أثناسيوس عن أريوس وشيعته وقد كان معاصرا له تعظيمه ليهوذا وابقائه له ضمن الرسل قال اثناثيوس «**وأيضا لا يزالون يحسبون يهوذا الخائن بين الرسل** ويقولون عن أولئك الذين طلبوا بإطلاق سراح باراباس بدلا من المخهلص أنهم ما اقترفوا أي اثم، وهم يمدحزن هيميناس والاسكندر على اعتقادهما القويم، ويعتبرون ان الرسول يكذب بخصوصهما» (القديس اثناثيوس ، ١٩٨٤ صفحة ٩). ووفقا لصرح القرآن فكل الرسل أخلصت للمسيح وسارت على هديه حتى لقوا الاضطهاد الموت في سبيل الله ورسوله المسيح العبد المخلوق.

## ٢-٩-رفعه ونفي قتله أو صلبه:

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ سورة آل عمران:٥٥.

والمراد بالوفاة هنا: النوم؛ فإن النوم يسمى موتاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل﴾سورة الأنعام:٦٠. وقال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها﴾ اسورة الزمر:٤٢.وكان الرسول يقول إذا قام من النوم:الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (البخاري، ١٤٢٢هـ صفحة الجزء٨، صفحة ٦٩، باب مايقول إذا نام)، (مسلم، الجزء ٤، صفحة ١٢٣٨، الجزء باب مايقول اذا نام وأخذ المضجع).

وقال الله تعالى عن اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا. وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۞ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ سورة النساء:١٥٥.

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ما قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي قال: ثم قال: أيكم يُلْقَى عليه شبهي فيُقْتَل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم

سـنا. فقال له: اجلس.ثم أعـاد عليهم، فقام ذلك الشـاب فقال: اجلس ثم أعـاد عليهم فقام الشـاب فقال: أنا، فقال: هو أنت ذاك، فأُلقي عليه شـبه عيسـى ورُفِعَ عيسـى مـن روزنة في البيت إلى السـماء، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشـبه فقتلوه ثـم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشـرة مرة بعد أن آمن بـه، وافترقوا ثلاث فـرق فقالت فرقـة: كان الله فينا ما شـاء ثم صعد إلى السـماء وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شـاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمد ﷺ» (ابن أبي حاتم، ١٤١٩هـ صفحـة الجزء٤، صفحة ١١١٠).قال ابن كثير في تفسـيره: «وَهَذَا إِسْـنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابن عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ النَّسَـائِيُّ عَـنْ أَبِي كُرَيب، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، بِنَحْوِهِ وَكَذَا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّـلَفِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فيقتلَ مَكَانِي، وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟». (ابن كثيـر، ١٩٩٩ صفحة الجزء ٢، صفحة ٤٤٩). وهـذه الرواية الاسـلامية العربية، تؤيدهـا رواية إنجيل يهـوذا الأسـخريوطي، الذي ضحى بنفسـه فداء للمسـيح وعلى علم من الحواريين، ولعل ابن عباس قد أخذه من بعض مسلمة النصارى. وهو دليل على انتشار هذه العقيدة بين نصارى المشرق في بدايات الاسلام.

إن الله قد بيّـن في كتابـه الكريـم حقيقة ما صار للمسـيح عيسـى ابن مريـم من: عدم قتله ونفـي صلبه وأنه رفعه إلى السـماء. كما بيّن القـرآن الكريم وتواترت السـنة النبوية بأنه سينزل في آخر الزمان وأن نزوله من علامات الساعة. وبيّن أيضا أن اليهود الذين ادعوا قتل المسـيح وصلْبه والنصارى الذين جاروهم في اعتقاد ذلك. وبيّن أنهـم ليس لهم بذلك من علم؛ وإنما لديهم الشـكوك واتباع الظن. قال جـل ذكره ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِـيحَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُـبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ سورة النساء:١٥٧.

وربما يسـأل سـائلٌ فيقول: إذا كان اليهود يتبجحون أنهم قتلوا المسـيح بل صلبوه لأنه عدوّهـم؛ والصلب عندهم يستلزم اللعنة!! فمـاذا يقول النصـارى ـ وقد وافقـوا اليهود في

قولهم بصلب المسيح ـ ماذا يقولون في سبب صلب من يعتقدون أنه الرب أو ابن الرب؟!!

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن النصارى يوافقون اليهود ويعتقدون أن المسيح مات مصلوباً وتعليلهم لذلك: أنه صُلِب فداءً للبشر لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم التي انتقلت إلى ابنائه بالوراثة !! وهي أكله من الشجرة التي نهي عنها ! فيقول النصارى: إن هذه الخطيئة أغضبت الرب على ابناء آدم، ومنذ أن وقع آدم في الخطيئة والرب غضبان على بني آدم ! فكان لا بد من وسيط يتحمل هذا الإثم ويرضى بأن يموت على الصليب !! وهذا الوسيط لا بد أن يكون ذا وضع مميز خالٍ من الإثم والخطأ ولا يكون هذا إلا ابن الله وبعد قتله وصلبه يرضى الله على بني آدم !!

## ٢-١٠-نقض عقيدة الصلب والفداء لدى النصارى

ولابد من تأكيد حقيقة مهمة وهي: أن المسيحية كلها تقوم على مسألة الصلب، وأن الدعوة إلى النصرانية تقوم عليها، إذ ليس في النصرانية أي عامل جذب يمكن أن يجذب به الناس إليها، وليس فيها ما يمكن أن يتحدث فيه ويقدم للناس سوى هذه القضية التي يركزون عليها تركيزاً شديداً، وهي مسألة: الصلب والفداء، وذلك بإيحائهم للناس أنهم هالكون مردودة عليهم أعمالهم مغضوب عليهم منذ ولادتهم وقبل أن يولدوا، مما يجعل الإنسان الجاهل بحقيقة الأمر يحس بثقل عظيم على كاهله من تلك الرزية والخطيئة التي لم يكن له دور فيها، ثم إنهم بعد أن يوقعوا الإنسان فريسة الشعور بالذنب والخطيئة، وتأنيب الضمير، والخوف من الهلكة، يفتحوا له باب الرجاء بالمسيح المصلوب، فيزينوا له ذلك العمل العظيم الذي قام به المسيح لأجل الناس ويدعونه إلى الإيمان به، فإذا كان ممن لم يتنور عقله بنور الهداية الربانية ونور الإسلام يجد أن هذه هي الفرصة العظيمة التي يتخلص بها، وما علم أن الأمر كله دعوى كاذبة وخطة للإيقاع به وبأمثاله.

إن أناجيل النصارى قد اختلفت اختلافاً كثيراً وتباينت في ذكر قضية الصلب المزعوم وتفاصيله، وذلك فيما ذكر فيها مثل وقت الحكم على المسيح والصلب

وكيفيته ووقته وتلاميذ المسيح وغير ذلك، وقد دونت هذه الاختلافات وهي مجموعة في مباحث في الكتب المتخصصة في ذلك، ولا تكاد جزئية من أجزاء هذا الحدث إلا وقد اختلفت عليها الأناجيل، خاصة إنجيل «يوحنا» مقارنة بإنجيل «لوقا ومرقص ومتى».بل العجيب أن بعض النصوص في كتب النصارى تنفي الصلب كما في رسالة بولس إلى العبرانيين من أن المسيح تقدم إلى الله بتضرعات ودموع أن يخلصه من الموت، وأن الله سبحانه استجاب لدعائه من أجل تقواه.

والنصارى في شك من أمرهم ولم يكونوا على بينة، وقد سبق ذكر قول الله تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ سورة النساء:١٥٧ .

وأما قضية الفداء لنفي السُبّة والعار التي يترتب على اعتقادهم بصلب المسيح، وإن هذه القضية مما يكفي في نقضها: أن جميع النصوص التي يذكرها النصارى في الدلالة على أن الصلب وقع فداءً للبشر ليس فيها نص واحد يعيّن الخطيئة التي يقولون أن الفداء كان لأجلها. وتحديدها بخطيئة آدم محض تكلف. فعلى فرض وجود خطيئة فقد تكون قتل قابيل لهابيل أو غيرها من الخطايا التي تملؤ العهد القديم. إنها محاولة لارضاء الأمميين على حساب اليهودية التي أمر المسيح باتباعها فـ« مادام أن بولس قد تصور أن عيسى بن مريم هو المخلص، فإنه سوف يعمل ذهنه لتكميل هذا التصور، وشخص هذه العقلية الواعية لا يتصور أن يعجز أن يقدم حلولا مرضية للوثنيين الذين هم مجال تبشيره- عما أشيع من أن عيسى بم مريم صلب والصلب بعني اللعنة أي أن كل مصلوب ملعون، كما تنص التوراة التي تؤمنون بها -ملعون كل من علق على خشبة-، وهذه العقيدة لا يرضى عنها أهل الأوثال، وهنا أعمل بولس ذهنه ففكر وقدر، واستطاع أن يصل إلى الحل المرضي لهؤلاء الوثنيين، وهو لا يخرج عن دائرة ما اعتقدوه من أن هذا المصلوب ما هو إلا شخصية الهية نزل من عند الله ليخلص البشرية من أوزارها، وأنه هو الذي افتدى البشرية من اللعنة بصلبه» (عجيبة، ٢٠٠٦ صفحة ١٩٣).

وكون جميع النصوص لم تحدد هذه الخطيئة فإن هذا مما يؤكد بجلاء أن قضية الفداء من مخترعات النصارى المتأخرين.

ولتوضيح اعتقاد النصارى في ايمانهم بالصلب والفداء، فإننا نسوق النقاط التالية. نبين فيها وجهة النظر القرآنية:

١-إن آدم الذي يدعي النصارى أن الصلب والفداء كان لأجل خطيئته قد تاب من خطيئته بقوله عز وجل: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ سورة طه:١٢٢، فما الذي يُكَفِّر بصلب المسيح؟ وقد قبل الله توبته كما أنه عوقب بإخراجه من الجنة وتأثر ابناؤه بالعقوبة، وإن لم يكونوا مقصودين بها.وقد ورد في العهد القديم قول الله لآدم: لأنك يوم تأكل من الشجرة موتاً تموت «سفر التكوين». وقد وقع هذا لآدم بعد الأكل من الشجرة بإخراجه وزوجته من الجنة إلى الأرض ثم موتهما فيها، فقد عوقبا بذلك، كما ينص اليهود على إخراجهما من الجنة إلى الأرض التي فيها الكد والتعب.

فمن أين أتى النصارى بنظرية الخطيئة الأصلية، وأحيوها هذا الإحياء وألبسوها هذا اللبوس؟

٢- إن ما وقع من آدم هو أكله من الشجرة بإغواء الشيطان له وهذا ذنب منه في حق الله الذي نهاه عن الأكل منها، فالذنب بهذا لم يكن يلزم لتكفيره أن ينزل الرب ليصلب على الصليب، بعد أن يهان ويذل من أجل أن يرضي نفسه، بل الأمر يكفي فيه قبول التوبة ومغفرة الذنب فقط، وهذا الذي وقع كما نص على ذلك القران الكريم.

٣- إن ما وقع من آدم يعتبر يسيراً بالنسبة لما فعله كثير من ابنائه من سب الله عز وجل والاستهزاء به وعبادة غيره، والإفساد في الأرض بالقتل، ونشر الفساد والفتن، وقتل أنبيائه ومحاربة أوليائه إلى غير ذلك... فهذا أعظم بكثير من خطيئة آدم.وما فعله المسيحيون القانونيون بالمسيحيين الموحدينقره باشي السرياني، **الدم المسفوك: مجازر ومذابح السريان في ما بين النهرين،** ٢٠٠٥ وغيرهم بل وبالوثنيينالمطران دي لاس كازاس،

**المسيحية والسيف: وثائق ابادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الاسبان**-رواية شاهد عيان باسم المسيح لأكبر جرما ونكاية من فعل آدم، فكان على الله النزول مرة أخرة للتكفير على الخطايا المرتكبة باسمه من هؤلاء القتلة أولى!!

فعلى كلام النصارى: أن الله لابد أن ينزل كل وقت ليصلب حتى يجمع بين عدله ورحمته!!

٤- إن صلب المسيح ـ الذي هو الله قد تم بلا فائدة تذكر، وذلك لأن خطيئة آدم ليست على بال بنيه ولا تقض مضاجعهم، إنما الذي يقلق الإنسان ويخيفه: ذنوبه وجرائمه وهذه لا تدخل في كفارة المسيح.

٥-إن الأنبياء السابقين ليس فيهم من ذَكَرَ خطيئة آدم وسأل الله أن يغفرها له مما يدل على أنها من مخترعات النصارى.

٦-إن الأنبياء السابقين والدعاة والصالحين قبل المسيح ـ بناء على اعتقاد النصارى هذا ـ كانوا يدعون إلى ضلالة وقد أخطأوا الطريق إذ لم يرشدوا الناس إلى حقيقة تلك الخطيئة ويوعوهم بخطورتها كما يفهمها النصارى !!

٧- إن الأنبياء السابقين وعباد الله الصالحين كلهم هالكون إذ لم تكفر عنهم تلك الخطيئة، لأنه لا يتم تكفيرها إلا عن طريق المسيح المصلوب.

٨-إن بين آدم وعيسى عليهما السلام زمناً طويلاً، فمعنى ذلك أن الله بقي متحيراً كل هذه المدة إلى أن اهتدى إلى الوسيلة التي يعقد المصالحة فيها بين الناس ونفسه !!!

٩-إن الخطيئة وقعت من آدم فلا تنتقل إلى ابنائه ولا يستحقون هم العقوبة عليها،لأنه لا أحد يعاقب بذنب غيره بل هذا ينافي قواعد العدل، وقد نص الله عز وجل على هذا في القران بقوله: ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾سورة النجم:٣٨. وكذلك ورد في التوراة:لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل سفر التثنية. والمسحي جاء ليتمم الناموس لا لينقضه.

١٠- هل من العدل أن يعاقب غير المذنب؟! والمسيح في لاهوت النصارى ابن الله !! فهو ليس من جنس بني آدم فكيف يعاقب بدلاً عن آدم وذريته ـ وهم بشر ودعواهم أنه تقمص الجسد البشري لا يزيل هذه الحقيقة لأنه ليس من جنس البشر حسب كلامهم.

١١- أن المسيح عند النصارى ابن الله !! فأين الرحمة التي جعلت الله يشفق على عبيده وخلقه ويترك ابنه للعذاب والبلاء والإهانة واللعن والموتة الشنيعة؟!

١٢-هل يليق أو يعقل أن ينزل الله جل جلاله ويسمح لأعدائه اليهود قتلة ألأنبياء، والرومان أن يهينوه ويعذبوه ويصلبوه؟ ثم هو يفعل هذا لماذا؟! لأجل أن يرضي نفسه؟! لأجل عبيده؟! لأجل من؟!

١٣-حسب عقيدة الفداء لدى النصارى يكون أعظم الناس براً وفضلاً على النصارى خصوصاً والبشرية عموماً: اليهود والرومان والواشي بالمسيح، لأنهم هم الذين تحقق على أيديهم في الهدف الأسمى الذي جاء من أجله المسيح «المخلّص»: وهو الموت على الصليب. لذلك امتدحت فرقا مسيحية يهوذا الأسخريوطي الخائن لأنه كان سببا للخلاص !!.

١٤-بناءً على دعوى النصارى في أن المسيح فدى البشر بدمه، فمعنى ذلك أنه لا حاجة إلى الإيمان به واعتقاد صلبه وألوهيته وما إلى ذلك، لأن الخطيئة قد ارتفعت عن جميع البشر ببذله نفسه، مثل من كان عليه ديْنٌ فجاء أحد من الناس فقضى ذلك الدين عنه، فإن المطالبة تسقط عنه بمجرد القضاء وهذا ما لا يقول به النصارى مخالفين في ذلك دليل العقل.

١٦-إن دعوى النصارى بأن الصلب وقع في الجسد البشري الذي حمل الخطيئة وأن هذا الجسد مات. بدعوى تنقضها وتبطلها قصة قيامة المسيح، فلو كان تجسد لأجل الخطيئة فالواجب أن يفني ذلك الجسد بعد حلول العقوبة عليه.

١٧-إن دعوى أن المسيح قام من قبره ولمسوه وتأكدوا منه، ثم ارتفع إلى السماء تنقض دعوى أنه ابن الله وأنه تجسد بالصورة البشرية لأن الدورالذي تجسد من أجله قد أداه وانتهى، ثم إن الجسد البشري لا حاجة إليه حيث يذهب المسيح إلى يمين أبيه!! وهذا من أوضح القضايا لو كانوا يعقلون.

١٨-لقد أنكرت طوائف مسيحية من القرن الأول دعوى الخلاص المسيحي وأسطورة الخطيئة. بل وكان لهم إنجيل مقدس يدعى «إنجيل مريم المجدلية». يقول اندريه نايتون وادغار ويند» أول ما يلفت النظر في -إنجيل مريم المجدلية- أنه ينفي الأساس الذي قامت عليه المسيحية التاريخية، وهو عقيدة الايمان بالخطيئة الأصلية. وكانت الكنيسة في لاهوتها قد جعلت هذه الخطيئة الأصلية مبررا لمجيئ المسيح...في هذا الإنجيل يقول المسيح لمريم المجدلية حين تسأله عن الخطيئة الكونية، خطيئة آدم التي تقول الكنيسة أن ابناءه يتوارثونها جيلا بعد جيل: «**ليست هناك خطيئة**»، بل إنه يربط مفهوم الخطيئة بما يعمله كل انسان، أي بحريته واختياره..» (نايتون وويند، صفحة ١٥٩). ولعله وهم من الكاتبين!! فجواب يسوع على سؤال بطرس وليس مريم المجدلية. جاء في إنجيل مريم المجدلية «... قال له بطرس: بما انك وضحت لنا كل شيء، فاخبرنا بهذا ايضا: **ما هي خطيئة العالم**؟ قال المخلص: **ليس هناك خطيئة**، لكن أنتم من تصنعون الخطايا حين تعملون الاشياء التي لها طبيعة الزنى، التي تسمى خطيئة»

والنقاط السابقة توجه لقول المتأخرين من النصارى الذين حددوا الخطيئة وهي: أكل آدم من الشجرة، أما على كلام المتقدمين من النصارى الذي لم يحددوا الخطيئة فإننا نقول لهم:

إن المراد من كون المسيح كفارة للخطايا أحد أمرين:

أحدهما: تكفير لخطايا الناس التي اقترفوها في الماضي، أو التي سيقترفونها في المستقبل، وكلاهما باطل.

أما الخطايا الماضية فلا تستحق هذا الفداء الإلهي، وقد كان يتم تكفيرها بالتوبة والقربان لدى اليهود قبلهم أو بدعاء الأنبياء والقدسين وبركاتهم وقد كان كافياً.

أما الخطايا الماضية المستقبلية فلا يستطيع النصارى أن يزعموا أن صلب المسيح مكفر لها، لأن ذلك يعني إباحتها، وعدم ترتب العقوبة على ذنب من الذنوب مهما عظم، وفي هذا إبطال لدعوة المسيح ودعوة الحواريين وبولس إلى تنقية النفس من الآثام والخطايا.

مع العلم أن تكفير الخطايا إذا أطلق لا يراد به سوى ما وقع فيه الإنسان من الآثام وهي الخطايا الماضية، إذ التكفير من كفر أي: ستر وغطى ولا يكون ذلك إلا فيما وقع وحدث.

وبناء على هذه العقائد فإنهم يعيشون في شكوك وأوهام يكتمها أكثرهم ويصرح بها بعضهم، وممن صرح بهذه الحيرة اللاهوتي ج. ر. وستوت في كتابه «المسيحية الأصلية» حيث افتتح الكلام عن معنى الصليب بقوله:ولكن لا أجسر أن أتناول الموضوعيعني معنى الصلب قبل أن أعترف بصراحة بأن الكثير منه سوف يبقى سراً خفياً، ذلكم لأن الصليب هو المحور الذي تدور حوله أحداث التاريخ؟! ويا للعجب كيف أن عقولنا الضعيفة لا تدركه تماماً ولا بد أن يأتي اليوم الذي فيه ينقشع الحجاب وتحل كل الألغاز، ونرى المسيح كما هو ...ومن المدهش أن هذه القصة الخاصة بيسوع ابن الله الذي حمل الخطايا ليست محبوبة في عصرنا الحاضر، ويقال عن حمله خطايانا ورفعه قصاصها عنا إنه عمل غير عادل وغير أدبي وغير لائق ويمكن تحويله إلى سخرية وهزء ...وفوق الكل يجب أن لا ننسى أن الكل من الله نتيجة رحمته ونعمه المتفاضلة، فلم يفرض على المسيح قصاصاً لم يكن هو نفسه مستعداً له فإن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه فكيف يمكن أن يكون الله في المسيح بينما جعل المسيح خطيّة لأجلنا؟.هذا ما لا أستطيع أن أجيب عنه. ولكن الرسول عينه يضع هاتين الحقيقتين جنباً إلى جنب، وأنا أقبل الفكرة تماماً كما قبلت أن يسوع الناصري هو إنسان وإله في شخص واحد.وإن كانت تبدو ظاهرياً على شيء من التناقض، لكني أراه في عمله كما أراه في شخصه، وإن كنا لا نستطيع أن نحل هذا التناقض أو نفك رموزهذا السر فينبغي أن نقبل الحق كما أعلنه المسيح وتلاميذه بأنه احتمل خطايانا بمعنى أنه احتمل قصاص الخطيّة عنا كماتُعَلِّمنا الكتب (ستوت، ١٩٧٨ صفحة ١٧٥، بتصرف).

وإننا لنعجب غاية العجب من هذا الاعتراف بعدم معقولية هذه العقيدة ثم الإصرار عليها، وكان الأولى بهم إذ لم يعقلوا هذه المسائل أن يبحثوا في مصادرها، فإن تلك المصادر أساس اللاعقلانية التي توجد لدى النصارى سواء في ذلك: الأناجيل أو الرسائل الملحقة بها.

## ٢-١١-نقض عقيدة التليث عند النصارى

إن معنى التلثيث أو الثالوث عند النصارى ـ كما في قاموس الكتاب المقدس ـ:إله واحد: الأب والابن والروح القدس، إله واحد؛ ذات واحدة متساوين في القدرة والمجد.

ويفسرون هذه العقيدة بأن تعليم الثالوث يتضمن ما يلي:

١-وحدانية الله.

٢-لاهوت الأب والابن والروح القدس.

٣-أن الأب والابن والروح القدس يمتاز كل منهم عن الآخر منذ الأزل وإلى الأبد.

٤-أنهم واحد في الذات والجوهر متساوون في القدرة والمجد.

٥-أن بين أقانيم الثالوث تمييزاً في الوظائف والعمل.

٦-أن بعض أعمال اللاهوت تنسب ـ في الكتاب المقدس ـ إلى الأب والابن والروح القدس مثل خلق العالم وحفظه، وبعض الأعمال تنسب على الخصوص إلى الأب مثل الاختيار والدعوة، وبعض الأعمال تنسب خصوصاً إلى الابن مثل الفداء، وبعض الأعمال تنسب خصوصاً إلى الروح القدس مثل التجديد والتقديس.

وليعلم إخوتي القراء أن النصارى مع حيرتهم في اعتقادهم بالتثليث إلا أنهم ليس لديهم دليل يستدلون به عليه، وإنما يتحججون بما هو أوهى من خيوط العنكبوت.

وقد ابتدع النصارى هذه العقيدة واخترعوها في عصور متأخرة، وقداستوردوها من الأديان الوثنية التي كانت تحيط بهم، فإن من المعلوم أنالتثليث كان منتشراً في كثير من المناطق قبل أن يدعيه النصارى. (عجيبة، ٢٠٠٦ صفحة ٤٩٣).

لقد كان البابليون هم أول من قال بالثالوث وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد، فجعلوا الآلهة مجموعات وكل مجموعة ثلاثة!!

وتدل الرموز التي اكتشفت عن الثالوث المقدس عندقدماء المصريين على مشابهته تماماً للثالوث النصراني سواء في عدد الأقانيم أو في خاصية كل أقنوم منها، ويقرر بعض الباحثين وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث النصراني (عبد المحسن، ٢٠٠٢ صفحة ٥٢).

وجاء في الكتب الصينية أن أصل كل شيء واحد وهذا الواحد الذي هو أصل الوجود اضطر إلى إيجاد ثانٍ والأول والثاني انبثق منهما ثالث ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء. وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود تماماً، وأيضاًالتتر الوثنيون عبدوا إلهاً مثلث الأقانيم وعلى أحد نقودهم الموجودة في متحف بطرسبرج صورة هذا الإله المثلث الأقانيم. (نايتون، وآخرون الصفحات ٤٢-٤٥).

وبالتالي فإن من الأمور الواضحة جداً أن مصدر هذه العقيدة الباطلة من الوثنيين الضالين قبل النصارى، وقد حذر الله تبارك وتعالى النصارى من ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾سورة النساء:١٧١. وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابن اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾سورة التوبة:٣٠.

إن أناجيل النصارى قد حرفت ولذلك فقد تناقضت فيما بينها لكن لا يمنع ذلك من إلزام النصارى ببعض ما ورد فيها ومن ذلك ما يلي:

ورد في سفر التثنية ٤/ ٣٥:»إنك قد أريت لتعلم أن الرب إلهنا رب واحد«. وورد فينفس السفر أيضاً٦/ ٤:»اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد«. وفي إنجيل يوحنا ١٧/ ٣ أن المسيح قال في آخر أيامه: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

ومثل هـذه النصوص كثيـر جداً في الكتـاب المقدس. فأيـن هذا الـكلام الواضح من دعوى التثليث المظلمة التي افتراها النصارى وقالوا بها على الله غير الحق. قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ سورة النساء:١٧١.

يقول المستشـار محمد مجدي مرجان ـ وقد كان نصرانياً ثم أسـلم ـ في كتابه الله واحد أم ثالوث:هكـذا تبين لنـا مجافاة عقيـدة الثالوث لأبسـط قواعد العقـل والمنطق والحسـاب ومدى بعدها عن الواقع والحق والصواب ثم يحكي عـن كثير من أقاربه من النصارى الحيرة والتيـه بقوله:أخبَروني أنهم لا يسـتطيعون فهم كنـه الثالوث المقدس، وأن كثيرين منهم يعيشـون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم، وحين تناقشـت في ذلك مع بعض الآباء الكهنـة أخبروني أنه يجب الإيمان بالثالـوث دون أي تمحيص أو تفكيـر، وأنه يلـزم التسـليم بهذا الاعتقـاد تسـليماً أعمى، فعلـى المسيحي أن يؤمن ويعتقد أولاً فـي الثالـوث المقدس، ثـم يمكنـه أن يجتهد بعد ذلـك في فهم مـا اعتقد، فإذا لـم يفلح في ذلـك فإنه خير له أن يلغـي عقله ولا يلغي عقائد الآبـاء وتراث الأجداد وتعاليم القسوس (مرجان، ٢٠٠٤ صفحة ٧٥).

لقد عجز القساوسـة وفلاسـفة النصارى عن فهم هذا الثالوث!! فمن يا ترى يسـتطيع فهمه؟!! وما موقف البسطاء والعامة من فهمه؟!!

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وقال أيضا: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ

قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة المائدة: ١١٥-١١٧).



# خاتمة

وفي ختام هذا البحث، اقر لك أخي اقارئ الكريم أنه لم يكن علي سهلا الانفكاك منه. فهو موضوع شديد التشعب شديد التعقيد شديد التشابك.

فمن غياب المعلومة إلى تشويهها مرورا بالخطإ فيها الى تحريفها. ووسط هذا الزخم الهائل من التاريخ المسيحي، فإن الباحث لا يستطيع الفصل فيما أنتهت اليه دراسته بسبب ما اسميناه بـ»غياب المرجعية». فقد ضيع المسيحيون الأولون المنهج النقدي والنصي للنصوص الدينية، لأنهم غفلوا بداية الأمر بسبب الاضطهاد والتشرذم عن تأمين نصوص الوحي حتى ضاعت وخضعت لإرادة البشر بدل أن تخضع لإرادة الله.

وقد خلصنا في بحثنا هذا إلى الخلاصات التالية:

- الاختلاف اللاهوتي والتناقض المعتقدي ابتدأ مذ عهد الحواريين وعقب وفاة المسيح.
- شهدت المسيحية المبكرة جدلية المصادر القانونية وغير القانونية ما اثر على اللاهوت فيما بعد.
- ساهم بولس في تعقيد الوضع الديني للجاعة المسيحية الأولى، بتعميده وكراوته في الأمميين الوثنيين.
- ألغى شاول بولس الخلاص بالناموس والعمل الصالح لإرضاء الأمميين الذين لم يكونوا ليقبلوا المسيح بجانب الناموس اليهودي الطقوسي.
- الكنيسة المسيحية عرفت مخاضات وتطورات خلال الأربعة قرون الأولى، إلى مجمع نيقية.

- الكنيسة المسيحية الأولى، كانت تؤمن ببشرية المسيح وعدم صلبه، وأن المصلوب هو الشبيه.
- ألوهية المسيح لم تعرف حتى القرن الثاني الميلادي، وإن كان لها امتداد في كتابات بولس نهاية القرن الأول-أي ابتداء من ٧٠ ميلادية-.
- الآريوسية ليست مذهبا توحيديا خالصا كالاسلام المحمدي القرآني.
- القرآن يشهد للمسيح بعد حملات النقد الكتابي التي أثبتت عدم تاريخية المسيح.
- القرآن يشهد لأم المسيح مريم العذراء بحملها العجائبي، وطهارتها من العار. وبميلاد المسيح المعجز بعد الانكار الكوني لهذه الولادة، وشهادة اليهود منذ العصر الأول بزنا مريم المحصنة الكاملة.
- شهادة الأناجيل بلاعلاقة المشبوهة التي كانت بين مريم ويوسف دليل على عدم شهودية كاتبيها. وبالتالي فكتابها ليسوا من الحواريين.
- القرآن ومعه مليار وسبعمائة مليون شخص يقدرون المسيح والمسيحية ويعتبرون من الى العزم من الرسل، وهي شهادة خلود منحت لهذه الشخصيات المقدسة.
- القرآن هو المرجعية النهائية التي ينبغي أن يتحاكم اليها للفصل بين الطوائف المسيحية المتصارعة. باعتباره الناقل الوحيد والشاهد التاريخي الأصح للرواية المسيحية الدقيقة. والله أعلم.



# قائمة المصادر والمراجع

## أ-المصادر والمراجع باللغة العربية


١. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم الكوفي

٢. أبوكريفا العهد الجديد: تجميع لكتابات الأبوكريفا المسيحية-ج٢. الطرزي ابراهيم سالم.: د.ط، ٢٠٠٥.

٣. أسطورة تجسدالإله في يسوع المسيح. هك جون // يسوع..الإنسان ذو القدر العالي ميكائيل غولدر. صبحي نبيل. دار القلم، ١٩٨٥. - ١.

٤. أسطورة مخطوطات نجع حمادي وقمران. أبو إسلام أحمد عبد الله. - القاهرة: مركز التنوير الإسلامي، ٢٠٠٦.

٥. اكتشاف الكتاب المقدس: قيامة المسيح في سيناء. بنتلي جيمس. الطريحي آسيا محمد: سينا للنشر.

٦. الآباء الرسوليون. البطريرك الرابع معوض إلياس: منشورات النور، ١٩٨٢. - ٢.

٧. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. ابن حبان محمد البستي. الأرنؤوط شعيب. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨. - ١. - باب ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ.

٨. الأخلاق. بلوتارخ.

٩. الأرطقات مع دحضها. القديس دي لكوري ألفونسو . الخوري يوسف إلياس. - مقاطعة كسروان: مطبعة الرهبنة اللبنانية، ١٨٦٤.

١٠. الأصول الوثنية للمسيحية نايتون أندريه ويند ادغار. عزمي الزين سميرة. منشورات المعهد الدولي للدراسات الانسانية.

١١. الأقباط مسلمون قبل محمد سليمان فاضل. - الجيزة: شركة النور للإنتاج الإعلامي والتوزيع، ٢٠١٠.

١٢. الأقباط مسلمون قبل محمد سليمان فاضل: شركة النور للإنتاج الإعلامي، ٢٠١٠.

١٣. الانجيل المفقود: كتاب -ك- والأصول المسيحية. بيرتون ل. ماك. - دمشق: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.

١٤. الإيمان بالثالوث: الفكر اللاهوتي الكتابي للكنيسة الجامعة في القرون الأولى تورانس توماس مويس عماد اسكندر. - القاهرة: مكتبة باناريون، ٢٠٠٧.

١٥. التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق. ابن بطريق افتيشيوس سعيد. - بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٥.

١٦. التجسد . القديس اثناسيوس. - ١٩٩٨.

١٧. الخالدون مائة. هارت مايكل.

١٨. الدم المسفوك: مجازر ومذابح السريان في ما بين النهرين. قره باشي السرياني عبد المسيح نعمان . جورج صليبا ثاوفيلوس. - جبل لبنان: مطبعة توما، ٢٠٠٥. - ١.

١٩. الديداخي أي تعليم الرسل راهب. راهب قبطي. - القاهرة: مكتبة المنار، ٢٠٠٠. - ١.

٢٠. الدين الغنوصي. جوناس هانسفؤاد هاني: دار الطليعة للنشر والتوزيع، ١٩٥٨. - ١.

٢١. الرسالة إلى ديوجيتوس مجهول. - القاهرة: «مؤسسة القديس أنطونيوس: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٤.

٢٢. الرموز الغنوصية للذات يونغ كارل. - ١٩٩٢.

٢٣. الشريعة والحياة. خليل عماد الدين/ الجزيرة نت. عثمان عثمان. الجزيرة. - ٢٣ ٠٧ ٢٠١٤.

- *http://www.aljazeera.net/programs/religionandlife/2009/7/1/%D8%A7%D9%.*

٢٤. العرب وتاريخ المسألة المسيحية سحاب فيكتور. - بيروت: دار الوحدة للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

٢٥. الفارق بين المخلوق والخالق باجه جي عبد الرحمن . درويش عبدالمنعم فرج. - ١٩٨٧.

٢٦. الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام خياطة نهاد. - دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٢.

٢٧. الفصل الثاني: سحابة من الشهود . يونغ فرانسيس . أسطورة تجسد الإله في المسيحهك جون. صبحي نبيل. - الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٨٥. - ١.

٢٨. الفصل في الملل زالأهواء والنحل ابن حزم علي بن محمد القرطبي الظاهري. - القاهرة: مكتبة الخانجي.

٢٩. القاموس الموسوعي للعهد الجديد فيربروج فيرلين. - ٢٠٠٥.

٣٠. القديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية: الروح القدس باسيليوس. بباوي جورج حبيب. -: موقع الدراسات القبطية والأورثوذكسية، ٢٠١٤.

٣١. القرآن: ينابيع الوحي الالهي البنية اليقاعية في السور المكية دي كابرونا بيير كرابون.

٣٢. الكتاب المقدس–النسخة اليسوعية– المقدس الكتاب. بسيم بولس. – بيروت: دار المشرق، ١٩٩٣. – ٣.

٣٣. الله واحد أم ثالوث مرجان محمد مجدي. – الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٤. – ٢.

٣٤. المستدرك على الصحيحين الحاكم محمد النيسابوري. – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠. – ١. – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٣٥. المسند ابن حنبل أحمد . الأرنؤوط شعيب التركي عبد المحسن. –: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١. – ١.

٣٦. المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب عبد الوهاب أحمد.

٣٧. المسيحية في جوهرها ستوت جون. غالي نجيب. –: دار يوسف كمال للطباعة، ١٩٧٨.

٣٨. المسيحية والتاريخ لوقا اسكندر اسكندر. – القاهرة: ، ١٩٩٧.

٣٩. المسيحية والسيف: وثائق ابادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الاسبان–رواية شاهد عيان المطران دي لاس كازاس برتولومي. الزين سميرة عزمي. –: منشورات المعهد الدولي للدراسات الانسانية.

٤٠. المسيحيون الأوائل إبراهارد أرنولد. حبيب هناء عزيز. – مصر الجديدة: مكتبة المنار، ٢٠٠٠.

٤١. الملامح الشخصية لأجدر حاكم للإمبراطورية الرومانية صالح أشرف. –: دار ناشري، ٢٠٠٨.

٤٢. الملل والنحل الشهرستاني محمد بن عبد الكريم أبو الفتح. –: مؤسسة الحلبي، د.ت.

٤٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج النووي محيي الدين أبوزكريا. - -بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

٤٤. الموسوعة العربية المسيحية . - تشرين الثاني ٢٠١٠.

٤٥. الهاجريون كرونه باتريشيا كوك مايكل. فياض نبيل. -: د.ن، ١٩٩٩. - ١.

٤٦. الهرطقات في القرنين الثاني والثالث الميلادي مينا فؤاد توفيق. -: د.ط، ٢٠٠٨.

٤٧. الهرطقة في المسيحية ويلتر ج. سالم جمال. - بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧. - دار الفرابي للطباعة والنشر.

٤٨. الهرطقة في المسيحية: تاريخ البدع الدينية المسيحية ويلتر ج.. سالم جمال. - بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧. - ١.

٤٩. الوجود والايمان بلتمان رودولف. - ١٩٦٠.

٥٠. إيران في عهد الساسانيين كريستنسن آرثر.

٥١. باقات عطرة من سير الأبرار والقديسين الأنبا يؤانس.

٥٢. بحثا عن محمد التاريخي جفري آرثر. مسلماني مالك. - ١٩٢٦.

٥٣. بولس وتحريف المسيحية ماكبي هيم. الزين سميرة. -: العهد الدولي للدراسات الانسانية.

٥٤. تأثر المسيحية بالأديان الوضعية عجيبة أحمد علي. - القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٦.

٥٥. تأثير بولس على المسيحيه فليدرر أوتو.

٥٦. تاريخ الأرطقات مع دحضها القديس ألفونسو مريا دي ليكوري. - كسروان: مطبعة الرهبنة اللبنانية في دير سيدة طاميش، ١٨٦٤.

٥٧. تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر النيقيوسي يوحنا. عبد المسيح بيشوي.

٥٨. تاريخ الغنوصية فيلورامو جيوفاني. بسام سعد الدين. -: دار التنوير، ١٩٩٢. - ١.

٥٩. تاريخ القرآن نودلكه تيودور. شفالي فريديريش. - هيلدسهايم-زوريخ-نيويورك: دار نشر جورج ألمز، ٢٠٠٠.

٦٠. تاريخ الكنيسة القيصري يوسابيوس. القمص مرقص عزيز. - القاهرة: مكتبة المحبة، القاهرة الحديثة للطباعة، ١٩٧٩.

٦١. تاريخ الكنيسة لوريمر جون. - عمان: دار الثقافة، ١٩٨٨.

٦٢. تاريخ الكنيسة القبطية الشماس القمص منسي. -: مطبعة اليقظة، ١٩٢٤. - ١.

٦٣. تاريخ قانون العهد الجديد كرافيذوبولوس يوحنا. خميس عامر. - دمشق: جديدة عرطوز، ٢٠٠٤.

٦٤. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل . الجعفري صالح بن الحسين أبو البقاء قدح محمد عبد الرحمن. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨. - ١. - *Vol*. ٢.

٦٥. تفسير العهد الجديد باركلي وليم. صابر جوزيف. -: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

٦٦. تفسير القرآن السمعاني منصور بن محمود التميمي الحنفي. - الرياض: دار الوطن، ١٩٩٨. - ١. - تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.

٦٧. تفسير القرآن العظيم ابن أبي حاتم محمد الحنظلي . الطيب اسعد محمد. -: كتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ. - ٣.

٦٨. تفسير القرآن العظيم ابن كثير أبو الفداء . سلامة سامي بن محمد. -: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

٦٩. تفسير انجيل متى الملطي تادروس يعقوب.

٧٠. تلفيق صورة الآخر في التلمود-يسوع المسيح والعرلاب والمسيحيين وألمين- منى زياد. - بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤. - ٣.

٧١. داود ويسوع: بين التاريخ والتراث الشرقي طمسن توماس. حسن عدنان. -: شركة قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦. - ١.

٧٢. دائرة المعارف الكتابية لاهوتيين مجموعة. -: دار الثقافة.

٧٣. دائرة المعارف الكتابية لاهوتيين محموعة من كبار.

٧٤. دليل البحث والتقويم التربوي الخطيب أحمد. - بيروت: دار العلم، ١٩٨٥. - ١.

٧٥. رسالة بطليموس إلى السيدة فلورة القديس بطليموس.

٧٦. سفر الرؤيا يوحنا.

٧٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها الألباني محمد ناصر الدين. - الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٥. - ١.

٧٨. شبهات وهمية حول الكتاب المقدس عبد النور منيس القس. - القاهرة، جاردن سيتي: كنيسة قصر دوبارة الإنجيلية.

٧٩. صحيح البخاري البخاري محمد بن عبد الله . الناصر محمد زهير بن ناصر. -: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٨٠. صحيح مسلم مسلم القشيري. - بيروت: دار إحياء التراث العربي. - في التوحيد: باب قوله عليه الصلاة والسلام: «نور أنى أراه».

٨١. فيض الباري على صحيح البخاري الكشميري محمد أنور شاه. - بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥. - ١. - لمحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل.

٨٢. قانونية العهد الجديد ميتزجر بروس.

٨٣. كيف تعد رسالة دكتوراه: تقنيات وطرائق البحث والدراسة والكتابة ايكو امبيرتو. منوفي علي. - القاهرة: المجدلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢.

٨٤. كيف تكتب بحثا علميًا وتنشره روبرت. ا. داي، جاستيل باربرا. محمد إبراهيم حسن وآخرون،. - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨. - ١.

٨٥. لبدعة الآريوسية . عون ميشال / / لمجلة الكهنوتية المارونية. - بيروت: ، كانون الثاني ١٩٩٦. - السنة السادسة والعشرون، العدد الأول. - *p*. ٧.

٨٦. لسان العرب ابن منظور الافريقي. - بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ. - ٣.

٨٧. مجمع القسطنطينة الأول . -: الموسوعة العربية المسيحية،، تشرين الثاني ٢٠١٠.

٨٨. مدخل إلى...تاريخ الكنيسة الكنسية مجموعة الحياة. -: مكتبة اسقفية الشباب- مرطز تدريب الخدام، ٢٠٠١.

٨٩. مدخل إلى نظرية الادب الإسلامي خليل عماد الدين. - بيروت: مؤسسة الرسالة،.

٩٠. مشكل الآثار الطحاوي أبوجعفر. - بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦.

٩١. مشكلة التأليه في الفكر الهندي عبد المحسن عبد الراضي محمد. - الرياض: دار القيصل الثقافية، ٢٠٠٢. - ١.

٩٢. مقالة ضد الآريوسيين القديس اثناثيوس / *trad*. كامل صموئيل عبد الشهيد نصحي. - القاهرة: مركز دراسات الآباء-بيت التكريس، ١٩٨٤. - ١.

٩٣. موت يسوع المسيح مايكل كارل. - ٢٠٠٢.

٩٤. موقع الرحمة. بيشوي الأنبا / / مجمع نيقية. - ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٠.

٩٥. نشأة المسيحية مايركلاس. الجمل أحمد. - عمان: دار الثقافة، ١٩٩٠.

٩٦. هل المسيح حقيقة أم أسطورة؟ ريمارس هرمان // الحوار المتمدن.
*- 22 07 2014. - http://m.ahewar.org/s.asp?aid=410746&r=0&cid=0&u=&i=0&q=.*

٩٧. وحدة الكنيسة كبريانوس القديس. مرقوريوس الأنبا بيشوي. -: مكتبة النسر للطباعة، ٢٠٠٢. - ١.

٩٨. وحي الكتاب المقدس رياض يوسف. -: د.م، د.م.

٩٩. يسوع التاريخي كروسّان جون. - ٢٠٠٠.

١٠٠. يهودي هامشي ميِيَر جون. المصطفى طلعون. - دمشق: دار المنير، ١٩٨٨.

ب-المصادر والمراجع باللغة الأجنبية


1. .A Rationalist Encyclopedia McCabe Joseph.
2. McKinsey C. Dennis.
3. A collection of the Athos codex of the shepherd of Hermas Hermas. Robinson J. Armitage. - Cambridge: J. Armitage Robinson. Cambridge. 1988. - introduction by Sp. P. Lampros.
4. A History of the Church in Five Books Theodorus. - London: Samuel Bagster and Sons. 1843.
5. Ancient Christian Gospels: Their History and Development Koester Helmut. - 1990.
6. Book 1:4; Philostorgius. Church History Phiostorgius. Amidon Philip R.. -: Sociy of Biblical Literature. 2007.
7. Canon Muratori. Date and Provenance Ferguson Evert. -: Studia Patristica. 1982.
8. Canon Muratori: A Fourth Century List Sundberg A. C. -: HTR66. 1973.
9. catholic.library [En ligne] // ernal_Sonship_of_Christ. - 21 07 2014. - http://www.catholic.com/library/ernal_Sonship_of_Christ.asp.
10. Epoca del Fragmento Muratoriano Campos Julio. -: Helmantica. 1960.
11. Expositor Seventh series Robinson T. H.. - 1906.
12. Expositor Seventh series. ii Bartlt V Robinson T. H.. - 1906.
13. Heresy and Authority in Medieval Europe Prers. - 1991.
14. Heresy and Criticism: The Serach for Authenticity in Early

Christian Literature Grant R. M.. - 1993.

15. Martin Luther were part of God›s organization Wycliff Waldo John. -: Watchtower. 1925.
16. New Testament Apocrypha: Gospels and Related Writings Schneemelcher Wilhelm. Wilson R. McL.. - Louisville: John Knox Press. 1992.
17. New testament Apocrypha .
18. On Distinguishing Historical Fiction from Fictive Narrative [Revue] . Funk Robert. - 1997.
19. patrologie Quansten J.. - laval: uni.laval press. 1987.
20. Re- Examining New Testament Canon History. Kalin Evert. -: The Cnon of Origen. 1990.
21. Religion in the Roman Empire Blackwell Wiley Rives James B..
22. Revue Biblique xxxv Lagrange M. J.. - 1926.
23. scribd [En ligne] . Miller Matthew P. // Early Heresies: Arianism and Sabellianism. - 2014 07 20 - .2010 تشرين الثاني. - http://fr.scribd.com/doc/69763010/Early-Heresies-Research-Arianism-Sabellianism.
24. Search for the Christian Doctrine of God bradell Tomas. - Oxford: Clarendo. 1990.
25. Search for the Christian Doctrine of God Hanson P. C.. -: The Arian Controversy PDF.
26. staycatholic [En ligne] // the_early_church_fathers_trinitarian. - 20 07 2014. - http://www.staycatholic.com/were_the_early_church_fathers_trinitarian.htm.
27. The Apostolic Fathers . - LONDON: Clement of Rome. 1890.

28. *The Canon Debate Gamble Harry Y..*

29. *The Historical Writings of St. Athanasius according to the Benedictine . - Oxford: Clarendon. 1881.*

30. *The History of the Primitive Church Lebron j..*

31. *The Muratorian Fragment and the Development of the Canon Hahenman G.M. -: Oxford. Clarendon. 1992.*

32. *The Other Gospels: Non-Canonical Gospel Texts Cameron Ron. - Philadelphia. PA:: The Westminster Press. 1982.*

33. *Who Wrote The Gospels. Helms Randel.*



❖❖❖❖

# فهرس المحتويات

